المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

حكايات شعبية أفريقية

(الجزء الأول)

اختيار: روجر د. أبراهامز

ترجمة وتقديم: عزت عامر

1568

هذه المجموعة البارعة من الحكايات الشعبية الأفريقية تلقى ضوءاً ساطعاً على التراث القديم لرواية القصص عبر القارة الأفريقية. من أعماق الغابات وأرض السافانا الاستوائية الشاسعة، ومن مواقع التخييم، والقرى الصغيرة المحاطة بالحواجز، وقرى أكثر من أربعين قبيلة، ينسج صوت رواة القصص أساطير مبتكرة عن الخلق وحكايات عن المآثر الملحمية، وقصصاً عن أرواح الموتى المرتجفة مع شياطين كابوسية وتحولات عنيفة، وحكايات هزلية عن الأذى والسحر فى مملكتى الحيوان والإنسان.

ومن الحكايات المستخرجة من مصادر تتراوح بين ملاحظات المبشرين الأوائل والأعمال الأكثر حداثة لعلماء الأنثروبولوجيا والإثنوجرافيا، يقدم عالم الفلكلور الأمريكى البارز روجر أبراهامز ما يقترب من مائة قصة بصوت يردد صدى إيقاع الطبول، ويكشف لنا عن الجوانب العالمية فى هذه الحكايات الغريبة، وهى تكشف بحيوية ونشاط عن جذورها الدرامية الفريدة فى الأغنية والرقص والأداء الطقسى فى العالم الأفريقى.

الفوتوغرافيا وتصميم الغلاف: هشام نوار

حكايات شعبية أفريقية
(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1568
- حكايات شعبية أفريقية (الجزء الأول)
- روجر د. أبراهامز
- عزت عامر
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب
African Folktales
Traditional Stories of the Black world
Selected and Retold by Roger D. Abrahams

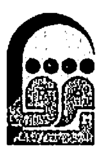
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ - فاكس : ٢٧٣٥٤٥٥٤
EL- Gabalaya st., Opera House, El Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 2735424 – 2735426 Fax: 27354554

حكايات شعبية أفريقية

(الجزء الأول)

اختيـــــــــــار: روجر د . أبراهامز

ترجـــمة وتقـــديم: عـزت عـامر



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

د. أبراهامز، روجر
حكايات شعبية أفريقية (ج١)/ اختيار: روجر د. أبراهامز، ترجمة وتقديم: عزت عامر.
ط١- القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٠
٣٠٨ ص، ٢٤ سم
١- القصص الشعبية
(أ) عامر، عزت (مترجم ومقدم)
(ب) العنوان ٣٩٨,٥

رقم الإيداع ١١٨١٩ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N -978 - 977- 479 - 405 -6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

إلى جانيت

مقدمة المترجم

قدّم مؤلف هذا الكتاب مقدمات وافية تغطى العديد من جوانب دراسة القصص الشعبية الإفريقية، وما لفت نظرى بشكل خاص من خلال هذه المقدمات ونصوص القصص نفسها، تلك الخاصية الواضحة فى أغلب هذه القصص، والتى يمكن تحديدها بأنها استحضار الروح الجماعية لإحياء أعمق مدلولات الكلمات. فنحن هنا أمام طقس جماعى يتمثل فى طرق الأداء المبتكرة والملابس الموحية والأغانى الملحمية والأخرى بالغة الرقة، وقد تضاف إلى صوت الراوى أصوات طبول وآلات موسيقية أخرى، مما يؤدى فى النهاية إلى استحواذ الراوى على أعمق أحاسيس المستمعين، وكما لو أنها تتحول تحت سيطرته إلى آلة عزف أخرى، حيث يشارك المستمعون بحضورهم وبتعليقاتهم الخاصة فى أدائه.

الكلمة هنا تعود إلى طفولة نشأتها، كما يتلقاها الأطفال طازجة حية صنو الكائنات والبيئات المحيطة بهم، كلمة تتراقص على حواف التجسد نفسه فتكتسب كينونة منافسة لعالم الواقع المادي. كلمة قد يؤدى النطق بها إلى تحطيم صلادة الواقع الملموس واختراقه بكائنات خرافية صنيعة الخيال. كلمة قد تغير مصائر البشر وتعيد تشكيل حياتهم.

من هنا لا نصبح أمام نصوص قصصية شعبية مكتوبة فقط، لأن المؤلف يساعدنا على إعادة إقامة مسرح الأحداث، فننضم إلى المستمعين المتفاعلين مع رواة هذه القصص.

وروايـة القصص هنا طقس جمـــاعى للتفتيـــت المتتـــالى للعـــادى والمبتذل، وإعادة إنشائه ليفشى أسرار الأسطورى والعجائبى، الكامنـــة فـــى الواقع الطبيعى والاجتماعى.

عزت عامر

مقدمة المؤلف

محاولة جمع انتقاء نموذجى لحكايات إفريقيا السوداء فى عمل واحد قد يبدو غير ذى جدوى لهؤلاء الذين يعرفون شبه القارة. ومثل أى منطقة شاسعة جغرافيًا، هناك نطاق هائل من الأحجام والصفات والتعقد فى مجتمعات وثقافات إفريقيا ونطاق يتراوح بين ثقافات المدن القديمة الأنيقة الحاذقة وشعوب الغابة والصحراء المستمرين فى الحياة على أبسط تقنيات الصيد وجمع الطعام. وتتعايش ممالك ضخمة وقوميات فى جماعات صغيرة بكل تقاليدها العميقة الجديرة بالاحترام.

وجاء أحد أكبر الإنجازات الاجتماعية والثقافية غير المسبوقة إلى شبه القارة، عندما نقل شعب زراعى عظيم، خلال بضعة آلاف من السنوات، الحضارة إلى الجزء الأكبر من شبه القارة. ويعكس إنجازهم القيمة العالية لمثل هذا الاقتصاد الزراعى، الذى يقوم على الأرض والعائلات واسعة الانتشار.

لكن إفريقيا السوداء تتضمن أنواعًا من الشعوب الرحل: مجموعات صغيرة مثل شعب الغابة فى مقاطعة إتارى (شمال شرق الكنغو) وشعب كلاهارى الصحراوي، وكلاهما ينتقل باستمرار بحثًا عن الطعام، والرحل الرعاة، الذين يقودون، مع شعبهم، قطعانًا ضخمة فى الأماكن التى يتوافر فيها الماء باستمرار، والمزارعون الذين يقطعون الأشجار ويحرقونها لتمهيد

أرض للزراعة، الذين ينقلون قرى بالكامل، عندما تصبح أرضهم مجهـدة، وهذه ظاهرة معاصرة منتشرة على نطاق واسع، والنازحون الباحثون عـن الأجر، الذين ينتقلون إلى المزارع أو المدينة، بل يعودون أحيانًا إلى بلـدهم. ويضاف إلى ذلك، أن هناك شعوبًا لا حصر لها يتبعون الديانات القديمة فـي العالم الشفهى، وعددًا هائلًا أيضًا يتبع المسيح أو محمدًا، مع كل التـضمينات الثقافية التى تحملها ديانات الكتاب المقدس هذه. وأخيرًا، هناك حرفيًا الآلاف من اللغات المختلفة، التى يتم الكلام بها فى هذه المنطقة، وهى كثيـرة جـدًا بالفعل، حتى إن واحدة من أهم لغتين للتجارة، اللغة المختلطة Creole[١] واللغة السواحلية[٢]، تطورت بشكل خاص كوسيلة يفهم بها الإفريقيون المختلفـون بعضهم البعض.

فى مواجهة هذا التنوع الذى يغطى مناطق شاسعة جغرافيًا، كيف يمكن التطلع إلى إمكانية وجود أى بيان ثقافى ذى معنى فى جمع مختارات أدبيـة نموذجية؟ لحسن الحظ، تلقينا إجابة عن هذا السؤال المرة تلو المـرة، قدمـه الإفريقيون السود بأنفسهم، وقدمه مراقبون أوربيون وأمريكيون: رغم نطاق التنوع الثقافي، فهناك استمراريات يمكن ملاحظتها، خاصة فى مجال علـم الجمال، يمكن العثور عليها فى جماعات فى كل القارة. وتكشف أنواع المواد المتضمنة فى هذه المجموعة من المختارات الأدبية، عـن تـراث عظـيم. وترتبط هذه القصص من خلال طريقتها فى الأداء بعدد من طـرق التعبيـر

---

(١) اللغة المختلطة Creole: لغة منشقة عن خليط من لغتين أو أكثر إلا أن قواعـدها ومفرداتهـا تكون أكثر تعقيدًا لأنها أصبحت لغة أصلية محكية لمجتمع ما. - المترجم

(٢) السواحلية: لغة البانتو الرسمية فى تنزانيا، تنتشر كلغة تجارية مشتركة فى شـرق وأواسـط إفريقيا - المترجم

الأخرى التى يعرفها الغربيون عن إفريقيا السوداء، خاصة الـــرقص وقـــرع الطبول. إنه تراث عظيم، تراث يقوم على السمات المـــشتركة للكثيـــر مـــن مجموعات التراث القليلة لمن يعيشون فى البيئة المبدعة لمجتمعات متقاربة. وكما يعبر عن ذلك جاك ماكيت Jacques Maquet فى نظرته الشاملة حـــول الكتابات التاريخية والإثنوغرافية(٣) "الإفريقانيـــة Africanity"، فإنـــه يمكـــن ملاحظة وحدة ما فى كل منطقة تحت الصحراء الكبرى (فى أواسط إفريقيا) حتى بواسطة الرحالة المراقب، وبشكل أساسى "وحدة ثقافية" تـــصدر عـــن شعور بـــ "الوحدة الكاملة للمعرفة والسلوك، والأفكار والأشياء، التى يتكون منها الميراث المشترك لـــ (شعب مـــا)" (ترجمـــة: Joan Rayfield [Oxford: Oxford University Press, 1972], p.4).

ومن الطبيعى أن تقوم مجموعة المختارات الأدبية هذه، على مجهودات هؤلاء الذين راقبوا هذه الثقافات مباشرة من المصدر الأصلى، وجمعوا هـــذه الحكايات بأدائها الفعلي. وهنا يكون التسجيل مدهشًا، حيث إنـــه لـــم يـــسبق تسجيل مثل هذا المخزون الشفهى على نطاق واسع فى أى مكان فى العـــالم. هناك ما يزيد كثيرًا على ألف مجموعة رئيسية، أغلبهـــا أنجـــزه مبـــشرون وموظفون فى المستعمرات فى منعطف القرن. وهم يعكسون فى الغالب تحيز هؤلاء المراسلين، لكن حديثًا أصبح من المتـــاح تـــسجيلات حكـــى أكثـــر "موضوعية" من خلال تقارير من علماء إنثروبولوجيا، وعاملين فى مجـــال الفلكلور. وبالطبع لم يحدث إلا مع ظهور المسجلات على شرائط أنه تم اتباع

(٣) الإثنوغرافيا ethnography: وصف الأعراق البشرية، وهى فرع من فـــروع الإنثروبولوجيـــا الذى يبحث فى وصف الأعراق والأجناس البشرية وثقافاتها _ المترجم

مثل هذه المعايير الموضوعية بشكل واقعي. ومن الواضح أن تسجيل النصوص يدويًا أبطأ بكثير، وأقل دقة من إنجازه بوسائل ميكانيكية، ويميل الشخص القائم بالتدوين إلى حذف المزيد من تفاصيل الأداء النابضة بالحياة. لكن حتى وراء الاختصار فى هذه الطريقة، علينا أن نعرف أن الموظفين فى المجالين التبشيرى والاستعمارى كانوا يسجلون هذه القصص لأهداف أخرى، غير فهم ثقافة ما، ووظيفة الأداء فيها.

فى البداية تم تسجيل الحكايات فى شكل، المقصود منه استخدامه إما لتعلم لغة الشعب، موضوع الدراسة، أو لمتعة قارئ عند العودة إلى الوطن، متعود بالفعل، على قراءة الحكايات الشعبية. لكن بسبب أن الحكايات الشعبية المعروفة بالفعل كانت من نوع أدبى خاص _ الحكايات الرائعة لجريمس Grimms، و"ألف ليلية وليلة" الأكثر إثارة للاهتمام، والحكايات الشرقية الأخرى، ثم بعد ذلك مجموعة جويل شاندلر هاريف Joel Chandler Harris، لحكايات المحتالين الهزليين فى أمريكا الجنوبية _ فلعل أول مترجمين جامعين للقصص الإفريقية تبنوا الأسلوب الأدبى، الذى من الواضح أنه يثير اهتمام القارئ العادي. أو، وللتعبير عن ذلك بكلمات أكثر وضوحًا، كانت هذه المجموعات بالغة الحيوية، والتشويق، والممتعة فى قراءتها عن القصص الإفريقية، تصدر جزئيًا عن تقاليد الأسلوب المستخدم فى مجموعات الحكايات الشعبية الغربية المعروفة الراهنة.

وعلى جامع المختارات الأدبية المعاصر، وهو يواجه مشكلة ما إذا كانت هذه الجهود المبكرة تعكس الحكايات الأكثر تمييزًا لعالم إفريقيا السوداء، أن يعرف أنها تفعل ذلك بشكل جزئى فقط. إنها تمثل فقط نوعًا من

القصص، تمت حكايتها بواسطة الموظفين التبشيريين والاستعماريين أو، فى أفضل الأحوال، سمعوها، خلال حياتهم بين "شعب" هذه الحكايات. وهو نوع القصة الأكثر شعبية، فضلاً عن أنه النوع، الذى يتم فهمه بسهولة أكثر. لكن مع الدراسة الأكثر أهمية للثقافات المختلفة بواسطة جامعى المختارات الأدبية _ وحاليًا بواسطة إفريقيين مدربين فى مجال الأنثروبولوجيا _ أصبح من الواضح، بشكل غير مسبوق، أن هذه الحكايات مجرد جزء من محيط القصة الإفريقي.

وأتاحت اختراعات حديثة تسجيل الجلسات الواقعية لحكى الحكاية وبحث النطاق الواسع لأنواع تلقى قبولاً أكثر. ومن خلالها عرفنا الكثير عن أداء هذه الأعمال الأدبية: من يقوم بالإداء ولمن، وفى أى شروط، وما تكشفه القصص عن حياة الناس التى تنتمى إليهم. ومع ذلك، عندما يتم تسجيل الحكايات بهذه الطريقة ويتم تدوينها حرفيًا، فإن أول ما يؤثر بقوة وعمق فى القارئ، أنها تكون فى الغالب إلى حد كبير غير ملائمة للقراءة، بل حتى مملة. والنص، حتى عندما يُترجم ببعض الإدراك للأسلوب، يكون مليئًا بالتكرارات وحالات الحيرة، وهو ما يسيطر على الأداء الشفهي، ويصعب التسليم به فى النص المكتوب. ولحسن الحظ، فإن القليل من جامعى الحكايات المعاصرين هم الذين اعتبروا مثل هذه المشكلات تحديًا، وقدموا إلينا ترجمات، ليست مجرد ترجمات جديرة بالثقة فقط للقصص، كما تم عرضها، لكنهم قدموها فى أسلوب ملائم للقراءة ومثير للمتعة تمامًا.

لقد انجذبت إلى النصوص التى اتسمت بأعلى قدرة على التأثير خلال القراءة، والحكايات التى يمكننا التمتع بها فى حد ذاتها. (ورد فعلنا، بالطبع،

ليس بنفس المقدار والميزة، كما هو الحال فى الانخراط فى الأداء الشفهى فى المجتمع المحلي). أحيانًا، يبدو كما لو أننى كنت منجذبًا إلى طرق حكى المبشرين، لأنها على وجه الدقة لم تكن مسجلة كما تم أداؤها، لكن تم إملاؤها ببطء، أو إعادة حكيها، وأعيد تنسيقها بعد الأداء. وغالبًا ما تكون نصوصًا مختصرة تمسك بالحبكة الرئيسية وأخلاقيات القصة أو رسالتها.

ولم أتردد أيضًا فى التنقيح، لمحاولة تعزيز تدفق أسلوب السرد. وفى النصوص الأقدم، كان التعديل حتميًا بسبب اللغة غير الملائمة _ فمن جانب، كانت حرفية إلى حد كبير فى محاولة ترجمتها، ومن جانب آخر كانت متكلفة أدبيًا على طريقة القرن التاسع عشر. ورغم تعديلاتي، مع ذلك، فسوف تكتشف فورًا - وأثق أنك ستتمتع بذلك - التفاوت الواسع فى الأسلوب واللغة، وسوف يكون فى استطاعتك "الشعور" بمدى التغيير فى نكهة الحكايات، من أسلوب السرد التقليدى (أى الغربي) إلى فن القصص الخرافية القصيرة البليغة، مع عناصر متنافرة، وغريبة، وتهكمية، تحتل مكانها المناسب.

ورغم أننى كنت متشددًا غالبًا فى عملى على هذه النصوص، فلم أحاول جعلها متسقة أسلوبيًا. وبالأحرى، حاولت المحافظة على النكهة المميزة لكل منها، مع حذف فقط تلك السمات التى تجعل من الصعب قراءتها وفهمها. لذلك سوف يجد القارئ تنوعًا واسعًا من أنواع القصص، وهى تُحكى بـ "أصوات" وبأساليب مختلفة، قد يبدو بعضها غريبًا تمامًا فى البداية.

وإنه لأمر أساسى بالنسبة للنصوص التى تم إعداد تقارير عنها من أداءات حكى قصص أنها كانت تتطلب أحيانًا تنقيحًا شاملاً. وفى الأداء

الفعلي يضع راوى القصة فى اعتباره معرفة المستمع لعناصر حياة المجتمع: يكون كل شخص من المستمعين عادة على علم بالقصة، ويعرفون بعضهم البعض، ولديهم كمية كبيرة من التجربة المشتركة يتم الاعتماد عليها فى الحكي. ونتيجة ذلك يكون هناك تأثير مضاعف: يصبح الأداء تلميحيًا على الفور إلى حد مفرط (وقد انخفضت تفاصيل السرد) وشديد الواقعية (وقد زادت التفاصيل الاجتماعية الثانوية). وكما هو المعهود، يكون هناك تأثير قليل لتعليقات من يقص الحكاية على الأحداث، لكن تأثيرها كبير على كيفية تفسير المستمع للقصة ومتعته فى الأداء. ولو أراد شخص ما، قراءة هذه القصص كوسيلة لفهم كيف يعيش التيف Tiv[٤]، أو الكيكايو Kikuyu[٥]، أو البوندى Bondei[٦]، أو الكيبسيجيس Kipsigis[٧]، عندئذ تقدم هذه التفاصيل مفاتيح بالغة الأهمية لما يجب أخذه فى الاعتبار بالنسبة لهذه المجموعات، وما يثير هتافها أو ما يضحكها. لكن بالنسبة للقارئ الذى يتمتع بهذه القصص بوصفها مجرد قصص، تعتبر هذه التفاصيل ببساطة سببًا فى الإعاقة.

ومع ذلك، فإننى أذكر فى التقديم شرحًا عامًا للمحتوى الثقافى للحكايات، وأمام هذه الخلفية، أشرح كيف تتلاءم هذه القصص مع حياة هؤلاء الذين يستمرون فى حكيها والاستماع إليها. فى الثقافات الشفهية، يكون حكى القصص طريقة أساسية لجمع وتصنيف الحقائق صعبة المنال، ولتقديم

---

(٤) جماعة عرقية تمثل نحو ٢,٥ فى المائة من سكان نيجيريا، ويتجاوز تعداد قبائلها ٥,٦ مليون فى نيجيريا والكاميرون _ المترجم

(٥) المجموعة العرقية الغالبة فى كينيا _ المترجم

(٦) جماعة عرقية فى تنزانيا _ المترجم

(٧) مجموعة عرقية فى كينيا _ المترجم

أعمال فنية حول الأساس المنطقى الكامن فى التقاليد. بذلك سوف تنتهى الحكايات غالبًا بـ "رسالة"، برأي، بحقيقة يجب تذكرها عندما يواجه الشخص مشكلات الحياة. ولأنها تُحكَى حول الموقد أو فى المنطقة السكنية المغلقة الخاصة بالأسرة، فإن هذه القصص تكون معروفة لكل شخص - باستثناء الأطفال والغرباء - وتكون مألوفة إلى حد أنه يمكن الإشارة إليها فقط، أكثر من إعادة حكيها بالكامل، كطريقة لاعتبارها شيئًا أساسيًا فى مناقشة أو جدال. وهى تتيح مصادر للتلميح _ تلميحات تعتمد على إلقاء الخطب بأسلوب فخم، أو فى غناء تمجيدات للزعيم العظيم، أو فى أغنية تهكم موجهة إلى متهم لكشف نقائصه. حتى إنهم قد يقومون بالتمثيل لتفسير الشكل الناشئ عن أصداف بحرية تم رميها فى جلسة عرافة. وبعبارة أخرى، فإنهم يجسدون الحكمة الموروثة - الاجتماعية، والشخصية، والأخلاقية - للشعب الذى نرى عالمه من خلال مصفاة الفلكلور.

فى التدوين والتنقيح لم أقم بأى محاولة إدراج نصوص ناتجة عن كل الحالات التى تُحكى القصص من خلالها. وعلى سبيل المثال، هناك تراث غنى من القصص التى تحكى فى الجلسات الشعائرية أو فى عرض أحداث ماضية. لكن، للأسباب المذكورة سابقًا، ليس هناك الكثير من النصوص المتاحة التى تكفى لتوضيح هذه المتطلبات الخاصة. والأكثر أهمية، حتى لو كانت هذه النصوص موجودة، أن حجم المعرفة الخاصة المطلوبة لفهم النص تجعله غير قابل للاستخدام لغرض تكوين مختارات أدبية. ومع ذلك، أوردت، مع نوع من أغنية التمجيد، الملحمة، نصًا أساسيًا، نظرًا لأن من قام بجمعه، دانيل بيبايك Daniel Biebuyck، استطاع العمل مع المغنى الذى يحكى

القصص خلال مدة طويلة بما فيه الكفاية، لاستخراج القصة المتضمنة فـــى الغناء. ومن خلال ملحمة موينِدو Mwindo Epic، نستطيع إلقاء نظرة ســـريعة على إحدى طرق استخدام القصص فى ما يتجاوز جلـــسة حكـــى قـــصص واحدة، فى أداء يمتد عدة أيام.

أيضًا لم أعتمد على أساطير، وأنساب وتـــاريخ الثقافـــات الإفريقيـــة المختلفة. ومرة أخرى، نقول إن التاريخ يتطلب وسائل أكثر بكثير لجعله قابلاً للفهم لدى البعيد عنه، قابلاً للفهم بمعنى تمكينه للقارئ من إدراك مـــا يثيـــر الاهتمام فى هذا التاريخ وجعله جديرًا بأن يُذكر _ وبذلك يكون قابلاً للحكي. وبشكل أساسي، اعتمدت على القصص التى تحكى باعتبارها حكايات خيالية، وتحكى دائمًا على هذا الاعتبار، وليس بشكل تلميحى فقط. وهناك قـــصص تُحكى عادة فى المساء، فى جلسة عامة، وتعتبر وسيطًا مهمًا فـــى الترفيـــه والتعليم.

ويحاول تنسيق هذا الكتاب أن يؤسس التجميعات علـــى اســـتخدامات القصص، أكثر من تأسيسه على معيار مألوف أكثر، يقوم علـــى الـــشكل أو المحتوي. ومع ذلك، ولأن الكثير من هذه القصص تبـــدو غريبـــة بالنـــسبة للأذواق الغربية، فإن الجزء الأول، من خلال التقديم، تم تخصيصه لـــبعض الحكايات الغريبة من النوع الذى تعوَّدَ عليه الأوروبيون والأمريكيون أكثـــر من غيره، لكنه يرد هنا بطريقة الأداء الإفريقية، كما هى العادة. والأجـــزاء التى تليه هي: قصص أقصر، تُستخدم فـــى تقـــديم موضـــوع للمناقـــشات الأخلاقية، وقصص أخلاقية مخصصة لمشكلات المحافظـــة علـــى الأســـرة والجماعة معًا (والتى قد توصف لذلك بأنها دراما منزلية)، وحكايـــات فـــى

تمجيد الأعمال، وأخيرًا، جزء كبير للقصص المتهورة، تحكى مـــن الناحيـــة الأساسية من أجل الترفيه، حول أعمال إحدى الشخصيات المحتالة التى تنتهك النظام الاجتماعي.

وتدين مجموعة المختارات الأدبية من هذا النوع بدين هائـــل لمئـــات الجامعين والمتخصصين فى هذا المجال، الذين جمعوا هذه المواد معًا بطريقة ذات معنى. وأنا مدان بشكل أساسى لهارولد سشويب Harold Scheub، الـــذى قدم نظامًا رائعًا، وباقيًا وشاملاً للشأن الإفريقـــى فـــى كتابـــه African Oral Narratives, Proverbs, Riddles, Poetry & Song: An Annotated Bibliography (Boston: G. K. Hall, 1978)، وهناك أيضًا عمل مفيد بأسلوب أكثر تـــصنيفًا واستطرادًا هو الاستطلاع الممتاز لـــروث فينيجـــان Ruth Finnegan، Oral Literature in Africa (Oxford: Oxford University Press, 1970)، وكتاب كوفى أوونـــور Kofi Awoonor، The Breast of the Earth (Garden City, N. Y.: Anchor Press/Doubleday, 1975)، الذى يعتبر بعثًا، يقدمـــه شـــاعر وعـــالم أنثربولوجيا إفريقي، لمكانة الأداء الشفهى والمكتوب لقارته إفريقيا. وكتـــاب إســـادور أوكبووهـــو Isador Okpowho، The Epic in Africa (New York: Columbia University Press, 1979)، الذى يركز فقط على غنـــاء الحكايـــات البطولية فى شبه القارة، ويفحص عن قرب، ويحلل بوضـــوح، عـــددًا مـــن النصوص الملحمية، الشفاهية والمكتوبة. وكتاب وليـــام باســـكوم William Bascom، African Dilemma Tales (The Hague: Mouton, 1976)، المكرس فقط لهذا الشكل من أحجية القيام بالعمل (كما هى العادة) بشمولية ممتازة. وبميزة أكثر تحليلية لقائمة الحكاية، وهو مجال محبوب للمختـــصين فـــى الفلكلـــور

المقارن، تم تقديم إفريقيا بشكل جيد، إن لم يكن حتى بشكل أكثـــر شـــمولية، مقارنة بأوروبا والهند. والكثير من هذه الأعمال كانـــت أطروحـــات لنيـــل الدكتوراه وظلت دون نشر. والوثائق التى وجدت نفسى منجذبًا إليهـــا فـــى الغالبية العظمى من الحالات؛ كلها متاحة من خـــلال University Microfilms International, Ann Arbor, Michigen كانت: Kenneth W. Clark`s A Motif _ Index of the Folktales Of CultureArea V. West Africa (1958); Mary A Klippie`s African Folktales With the Forein Analoues (1938); E. Ojo Arewa`s A Classification of the Folktales of the Northern East African Cattle Area by Types (1966); and Winifred Lambrecht`s A Tale Type Index for Central Africa (1967).

ويضاف إلى ذلك، قدمت لى ثلاثة مقالات، مراجعات نقدية مـــساعدة ضخمة فى ما يتعلق بمشكلة "غابة للأشجار": Philip M. Peek`s "The Power of Words in African Verbal Arts", (Journal of American Folklore 94 [1981]: 19 _ 13); Dan Ben _ Amos`s "Introductin: Folklore in African Society", (in Forms of Folklore in Africa, ed. Bernth Lindfors [Austin: University of Texas Press, 1977: pp. 1 _ 36]); and Richard Dorson [Garden City, N. Y.: Anchor Press/Doulbleday, 1972: pp. 3 _ 67]).

وإذا كان هذا الكتاب يُظهر تحيزًا تجاه مجموعـــة كـــوا Kwa (التـــى تتضمن شعوب يوروبى Yoruba "جنوب غـــرب نيجيريـــا(٨) "، وداهـــومى Dahomey(٩)، وبينى Bini(١٠)، وإوي Ewe (١١))، فإن ذلك يعود إلى أن الكثير

---

(٨) يوروبى Yoruba : شعب يعيش فى جنوب غرب نيجيريا - المترجم

(٩) داهومى Dahomey: شعب يعيش فى ما يسمى حاليًا جمهورية بنين فى غرب إفريقيا - المترجم

جدا من أصدقائى ومن مقدمى النصائح، كانوا يعملون فى تلـك المنـاطق: الراحلان ملفيل هيرسكوفيتس Melville Herskovits ووليام باسـكوم William Bascom، دان بن أموس Dan Ben _ Amos، كوفى أوونور Kofi Awoonor، إ. أوجو أريوا E. Ojo Arewa، وروبـرت فـاريس تومبـسون Robert Farris Thompson. وبالغ شكرى لكل هؤلاء، للخـدمات الكثيـرة التـى قـدموها. ويضاف إليهم دونالد كوسينتينو Donald Cosentino، روبرت كانسيل Robert Cancel، دانيل بيبايك Daniel Biebuyck، إليزابيث تـاكر Elizabeth Tucker، تشارلز بيرد Charles Bird، لى هارنج Lee Haring، وبيرنث لندفورس Bernth Lindfors الذين شاركوا بلمحاتهم وبحماس فى هذه المادة الأدبية الـضخمة، كما فعلت فيرونيكا جوروج Veronika Gorog. وعلّمنى بيتـر سـيتيل Peter Seitel الكثير حول كيفية دراسة تراث، الهايا Haya[12]، بالحساسية والعمـق معًا فى فهم التعقدات الثقافية. وساعدنى جون زويد John Szwed فى التحاور حول الكثير من هذه الأمور، وكان يضيف باستمرار نفـاذ بـصيرة مّهمًـا، بوجهة نظره بالغة الخصوصية. وريتشارد دورسون Richard Dorson، الذى قام بالتنسيق ودعوتى إلى معهد الفلكلور الإفريقي، وهو ما ساهم حقًا فى أن أبدأ فى التفكير فى هذا الاتجاه. وكان كاى تارنر Kay Turner مساعدى الكـفء والمؤهل للعمل الشاق خلال العمل. واقترح رونالد راسـنر Ronald Rassner بعض التغييرات المفيدة.

---

(١٠) بينى Bini: شعب يعيش فى نيجيريا – المترجم

(١١) إوى Ewe: مجموعة عرقية فى غانا وبنين وتوجو – المترجم

(١٢) الهايا Haya: مجموعة عرقية فى تنزانيا – المترجم

وعلاوة على ذلك، يدين هذا الكتاب فى وجوده إلى أندريـه شـيفرين Andre Schiffrin ووينديى وولف Wendy Wolf، اللذين نظرا إليه كأمر يمكـن تحقيقه، ومرة أخرى من جديد إلى ويندي، وزميلتهـا نـان جراهـام Nan Graham، لمثابرتهما فى العمل معي، وللتنقيح وحثهما إياي، وفى التحريـر، بشكل فطن، وخلاف ذلك. ولكن على المدى البعيد، هذا كتاب جانيت، التى لم تناقش فقط مجمل الكتاب، وكل ما يتعلق به، لكنها كانت تتابعه أيضًا بإلحاح حتى اكتمل .

تــقــديم

واحدة من أكثر القصص شيوعًا فى إفريقيا تصف لقـــاء بـــين رجــل وجمجمة بشرية فى الدغل. وبين النوبيين فى نيجيريا، على ســـبيل المثـــال، يحكون عن الصياد الذى تعثر فى جمجمة، عندما كان فى مطـــاردة خـــلال صيد برى ويصرخ فى دهشة، "ما هذا؟ كيف جئت إلى هنا؟" "الكلام أتى بى إلى هنا"، تجيب الجمجمة إجابة مبهمة. وبالطبع يصاب الـــصياد بالـــذهول، ويهرول عائدًا بسرعة إلى قريته، صارخًا يعلن عما وجده. وأخيرًا، يـــسمع الملك بهذه المعجزة ويطلب من الصياد أن يأخذه ليراها. يعودان إلى المكان فى الدغل حيث توجد الجمجمة، ويوجه ملكه إليها، الذى يريـــد بـــالطبع أن يسمع تصريح الجمجمة. يكرر الصياد السؤال: "كيف جئت إلى هنـــا" لكـــن الجمجة لا ترد. والملك، وقد أصبح غاضبًا، يتهم الصياد بالخـــداع، ويـــأمر بقطع رأسه فى الموقع. وعندما تغادر الجماعـــة الملكيـــة المكـــان، تـــتكلم الجمجمة، سائلة الصياد "ما هذا؟ كيف جئت إلى هنا". وتجيب الرأس "الكلام أتى بى إلى هنا[١٣]".

يحكى آخرون القصة بطريقة تكون فوق ذلك، ذات ذروة أكثر حـــدة، بأن تقول الجمجمة، مثلاً، "أخبرتك بأن تغلق فمك". وبالنسبة للنوبيين والكثير من الأفارقة الآخرين، الذين يستخدمون هذه القصة، فإن مجرد الإشارة إلـــى الجمجمة المتكلمة يكفى لتوصيل الرسالة. وذروة القصة وحدها تصبح قـــولاً مأثورًا، وتُستخدم لتنبيه شخص ما إلى أن التكلم علامة تساهل أخلاقي[١٤].

(١٣) Cf. Leo Frobenius and Douglas C. Fox, African Genesis (Stackpole Sons, 1937), p. 236.

(١٤) William Bascom surveys its appearance in "The Talking Skull Refuses to Talk", Research in African Literatures 8 (1977): 226 _ 91.

تتميز هذه الحكاية الغريبة بأنها إفريقية بشكل خاص، بتشكيلة من طرق حكيها. ومثل الكثير من القصص فى هذا الكتاب، فإنها تعرض التباين بين القرية كمكان للنظام، والدغل بصفته موضع ألغاز، وقوى طبيعية مدمرة، بل وحتى الموت. وتُظهر أيضًا بوضوح إحدى السمات الأخرى الأكثر تأثيرًا لهذه الحكايات: استخدامها لتقديم حوار حول كيفية التصرف بشكل سليم. ومكيدة تفريق أجزاء الجسم يمكن ملاحظته أيضًا فى عدد من القصص المدرجة هنا. على سبيل المثال، حكاية اللغز الهزلية "خرجت عيونهم"، تعالج عيونًا يمكن فصلها. وبمزيد من التغيير الجاد فى الفكرة، الحكايات الثلاث فى "منافسة فى الأكاذيب"، التى تروى بالتفصيل، كيف تحصل روح على شكل إنسانى باستعارة أجزاء من جسم من عدد من المتبرعين الجاهلين.

لكن ربما تكون السمة الأكثر إثارة للاهتمام فى "الجمجمة التى تتكلم" ليست الطريقة التى تميزها عن الحكايات الأخرى، ولكن أنها بالأحرى قصة عن حكى القصص. بالنسبة للقارئ الذى يحصل على هذه القصص على هيئة كتاب، من المهم إدراك أن الكلمة الشفهية فى سياقها الإفريقى (وفى الثقافات الشفاهية بشكل عام) تحمل قوة كبيرة تظهر بطرق مختلفة. بجانب تناول الأمور العميقة فى الحياة، يمكن للكلمة الشفهية أن تخلق بالفعل روابط وأن تُحدث تحولات شخصية واجتماعية، وهى قدرة للكلمات نميل إلى إغفالها فى هذه الأزمنة المخادعة (ربما باستثناء ما يحدث عندما يكون المتكلم مرتديًا ملابس رسمية). يجب تذكر قوة هذه اللغة الشفاهية عند مناقشة الحكايات، لأن الحكايات تكون، فى آذان المستمعين إليها، أكاذيب مباحة. كما يقول الرواة المندوبون لسونى كامارا Sony Camara مرارًا بأن قصصهم لا تسجل

الواقع، ولا الخيال التام. وبالرغم من أنها "قصص حدثت فى بداية الزمان"، فإنها تصف الأشياء كما لو أنها قد حدثت فى الوقت الراهن. الحكاية "تروى دراما تتصدر هذا الجانب من واقعية الحدث. إنها ليست جزءًا اكتمل بشكل قاطع، فهى دراما تهدد بالحدوث. قد تنفجر فى أى وقت وفى أى مكان(١٥)".

للقصص أيضًا معنى محدد فى حياة هؤلاء الذين يحكونها، فهى تشير إلى مواقف شخصية وشعب معين. وكما هو الحال بالنسبة للثقافات التقليدية فى العالم كله، فإن أداء بعض الحكايات يقوم به حكاؤون محددون للقصص. ولمجرد أن كل شخص يعرف "عمل" كل شخص آخر - أى قصصه الشخصية - فإنه من المفترض أن كل شخص يعرف كل حكايات المخزون المتوارث لجماعته. وسوف يضع راوى القصص، فى اعتباره أيضًا، هذه المعرفة من جانب المستمعين، إلا عندما يكون ضمنهم أطفال على وجه الحصر، وحيث إن القصص كلها مألوفة، فإن المستمعين سيكونون باستمرار فى وضع الحَكَم على موهبته أو موهبتها فى حكى الحكاية. بإيجاز، هناك رقابة دائمة على حكى القصص _ سيان كان حكى حكاية أو مجرد ثرثرة _ بطريقة تماثل طريقة الحكم على سلوك فعلى طوال الوقت. تلك هى طريقة المجتمع الصغير فى العالم كله، حيث إن صالح الجماعة يكمن فى المشاركة فى هذا النوع من المعرفة، التى يتم من خلالها دمج شبكات العائلة والصداقة فى نسيج المجتمع.

---

(١٥) Sony Camara, "Tales in the Night: Toward an Anthropology of the Imaginary", in Varia Folklorica, ed. Alan Dundes (The Hague: Mouton and Co., 1978), p. 95.

نميل إلى التفكير فى الحكايات الشعبية باعتبارها محض خيالات، لذلك فهى مكتفية ذاتيًا، ومنطقية فى تطورها بدرجة كبيرة إلى حد أنها تضيء من داخلها ولا تحتاج إلى أى إيضاح. الأسطورة ورسالتها هما شيء واحد، ولا يحتاج الكتاب المثالى عن الحكايات الشعبية أى مقدمة. لكن هناك أسباب متعددة لعدم إمكانية أن تتحدث القصص الإفريقية بشكل كامل عن نفسها، وهى أسباب يعود وجودها إلى طرق تأليف القصة وحكيها فى هذا الجزء من العالم.

وهذا الكتاب سجل للتقاليد التى لا تزال موجودة فى كثير من الأماكن فى إفريقيا السوداء. وفيه تجد القصص، أكمل قدرة لها على الاستمرار فى البقاء فى المناطق المغلقة والقرى التى لا تزال مواقع الحياة لكثير من الأفارقة المميزين فى الوقت الراهن. وهناك، تتطلب ظروفهم أن يتم وضع الأعمال فى قالب خيالى لكى يمكن الحديث عنها، كما لو أن سلوك البشر بشكل عام هو موضوع الحكايات أكثر من كونه ما فعله "أ" مع "ب" بالأمس. وكما هو الحال فى المجتمعات الصغيرة فى العالم كله، تصبح القصص طرقًا قد يلجأ من خلالها الناس، الذين يعرفون بعضهم البعض بشكل حميم لمناقشة بعضهم البعض دون إفراط فى ما هو شخصي. وتعمل القصص، مثلها مثل الأقوال المأثورة، كوسيلة للتخلص من السمات الشخصية، ووسيلة لجعل الأمور عامة، بصياغة وصف لكيفية تصرف أشخاص محددين، قياسًا على كيفية تصرف الناس دائمًا. ذلك هو عنصر حكاية القصة الذى نميل - نحن قراء الكتب الذين يعيشون فى المدن - إلى نبذه وإهماله _ وكلما ابتعدنا عن القرية والعالم الشفاهي، تركناه خلفنا بعيدًا.

(١)

إفريقيا الخاصة برواة قصصنا، كبداية، تعتبر منطقة شاسعة تتـضمن كل الأرض، جنوب الصحارى. وهى تتضمن مناطق الصحراء، والجبـال، والسهول، والغابات الممطرة، والسافانا الكثيفة، ومجموعة هائلة من البيئـات الساحلية لا يمكن أن نجد مثلها فى أى مكان فى العالم. إنها مساحة تتجـاوز ثلاثة أمثال المساحة الواسعة للأراضى فى الولايات المتحدة القارية، وهـى، فى غالبيتها، سهل شاسع، مع مرتفعات ومنخفضات عميقة، وأرض منبسطة من الصخر الصلد القديم، حيث تستخلص تنويعة واسعة من الناس، الحياة من التربة الاستوائية. يفعلون ذلك فى مواجهة غزو كلٍ من الصحراء والغابـة الممطرة.

فى المنطقة التى تأتى منها هذه القصص، يعتبر تـوطين الحيوانـات والمحاصيل مصادر غذاء للأغلبية الساحقة من السكان. وتختلـف بـالطبع وسائل وطرق ممارسة تـوطين المحاصـيل والماشـية، وتعقـد التـدابير الاجتماعية. وهذا التركيز على التوطين ليست أهميتـه قليلـة لفهـم هـذه القصص، حيث إحدى الأفكار الرئيسية المتكررة، التـى تـشكلها وتـشحنها بالطاقة هو الجوع، إنه دون شك الخطر المستمر للمجاعـة. فـى الزراعـة الاستوائية (مقارنة بالزراعة معتدلة المناخ)، ليس هناك فـصل شـتاء دون زرع، وليست هناك فرصة لجمع الدبال وما يصاحبه من المواد المغذية فـى التربة. ونتيجة ذلك تميل الأراضى الاستوائية إلى فقد قوتها بسرعة إلى حـد ما، وقد يكون على الجماعة بالضرورة أن تجد نفسها وهـى تنتقـل غالبًـا للحصول على أراض قابلة للزراعة. وتمثل الندرة خطرًا كبيرًا، لأن الكثيـر

من الثقافات التى تتأثر بها تشترك فى وجهة نظر عالمية، تضع قيمة كبيـــرة للقدرة على النمو (مثل المانتو Muntu بين شعوب البانتو[١٦])، وهى تـــذكر، باستمرار، بالعلاقة بين الوسائل المتاحة للعائلة وللجماعة - كم من الأيـــدى العاملة يمكن الاعتماد عليها للمساعدة - والمسئوليات - كم من الأفواه تجب تغذيتها. ويشتد القلق خلال أزمنة القحط، لكن كل سنة تأتى بزمن احتياجات قبل وصول الحصاد.

لا شيء يشوه النسيج الثقافى إلى حد كبير مثل المجاعة. وتواجهنا هذه الأمور على هيئة مناقشة مستمرة خلال كل الحكايات. وتتشوه الـــروابط أو تتحطم مرارًا لأن شخصًا ما يسرق طعامًا، أو لأن الأطفال يتم إهمالهم عندما تشح المحاصيل. لذلك فليست هناك فكرة رئيسية متكررة، أكثر أهمية أو تلقى انتباهًا أكثر من تكوين أسر وروابط صداقة للحصول على تلك القوة التي - حتى فى مواجهة كارثة طبيعية، أى ردود الفعل البشرية المحفوفة بالمخاطر تجاهها - تضمن بقاء الجماعة. وبقراءة هذه القصص ندرك مـــدى عظمـــة النجاح فى تكوين أسرة وجماعة، وكيف يجب باستمرار تجديد هذا النجـــاح تحت المحك.

وتنعكس قوة المشاعر تجاه العائلة والجماعة فى القيمة الكبيـــرة التـــى يكتسبها كل من التأكيد الشفهى والسلوكى للمارسات التقليدية. ومـــن جديـــد، تعطى هذه القصص مثالاً عن الطرق التى يجب على الوالدين والطفل اتباعها لتتفق مع ممارسة الماضي، أو كيف يجب على الزوج والزوج أن يتعاملا مع بعضهما بالتوافق مع الممارسات المستحسنة منذ وقت طويل.

---

(١٦) البانتو Buntu: قبائل سوداء فى أواسط وجنوب إفريقيا - المترجم

ولقد رأينا بالفعل مثالاً للتشديد على العرف فى قصة الجمجمة التى تتكلم، حيث هناك تأكيد غير مباشر على آداب التصرف التحذيرية فى الحديث التقليدى الذى يمثل المركز الأخلاقى للتصور. لكن فى الكثير جدًا من القصص يكون الجدل حول المحافظة على الممارسات التقليدية واضحًا وغالبًا، من جديد، يكون على أساس تحذيرى حول ما يحدث لهؤلاء الذين لا يحافظون على التراث. تأمل فى القصة المروعة لهورنبيل Hornbill، كما حكاها وايوو Wayao، التى تقدم بالتفصيل ما يحدث، عندما يفقد فرد فى الجماعة القدرة على إدراك كيفية ربط التقاليد لأعضائها معًا.

فى وقت ما كان هورنبيل يعيش فى قرية، لكنه لم يكن يتكيف مع أعراف "الناس". ولم يتم قبول هذا الأمر باستحسان، خاصة رفضه حضور شعائر الدفن (وهى ضرورية جدًا لإرسال الموتى إلى مكانهم بعيدًا عن الأحياء). ومرارًا وتكرارًا كان يُطلب منه أن يحترم الموتى ويرافق الموكب الجنائزى لزميل قروي. لكنه كان يرفض دائمًا. بعد ذلك مات طفله، ولم يقدم له أى شخص المساعدة فى تجهيز الجثة أو فى حمله إلى موقع القبر. ولجهله بعمل ذلك بالطريقة المناسبة للطقوس، ربط هورنبيل الجثة ورفعها على رأسه، وغادر البيت باحثًا عن مكان الدفن. "كا نوتابوى كواس Ku ntubwe kwas؟" (هكذا، فى الواقع، ظل هورنبيل يصيح"، "أين القبور؟" سأل أول شخص اصطدم به. "لا أعرف" تلك كانت الإجابة. ظل هائمًا يسأل السؤال نفسه. "أين المدفن، المدفن؟" ويتلقى دائمًا الإجابة نفسها. وأخيرًا، أصبحت جثة الطفل على درجة كبيرة من التعفن، حتى إنها بدأت تقطر من ظهره. وظل هائمًا منذ ذلك الوقت، يبحث دائمًا، ويسأل. "أين المدفن، المدفن؟"[١٧].

---

(١٧) موجود فى Stannus.

الحاجة إلى المحافظة على التراث لها رنين خاص لدى مـن يحكـى القصة. لأنه هو الناسج الشفهى الذى يجب عليه، من خلال تهجى الكلمـات وتشكيل الحركات، أن يعيد التأكيد على القوة المرنة للخيوط المغزولة التـى يُنسج منها نسيج الحياة. إنها مسئولية جادة، مسئولية يتم تحملها، ليس فقط فى قص وغناء الحكايات، وليس فقط فى الأشكال الأخرى للفن الـشفهى مثـل العرافة أو إلقاء الكلمات، لكنها مسؤولية تتمثل، حتى (أو بشكل خاص) فـى الأداء الموسيقى والرقص بالمثل. وكما هو الحال فى الكثير من الثقافات، فإن هذه الأشكال المختلفة من العرض التعبيرى، تجلب طاقتها وهدفها من نفـس المجموعة الأساسية للاحتياجات والقيم الاجتماعية. وفى السمات الأسـلوبية المميزة لكل صنف من الأداء، فإنها تحمل كلها نفس الرسائل البسيطة، حول الاهتمامات المشتركة للجماعة.

يعجز الإفريقى، بشكل خاص، عن مقاومة فرصـة عـرض تمثيلـى للأفراح ومتطلبات الحياة، وتمثل فرص كل عرض فى حد ذاتهـا، تنويعـة مدهشة فى الحياة اليومية، حتى فى مجالات قد تبدو بالنسبة للعقل الغربى أقل من أن تكون مثيرة للاهتمام. فالنشاط التعاونى فى الزراعة أو رعاية القطيع، على سبيل المثال، توفر موضوعًا مهما دائمًا يجب استكشافه. وتعرض أغانى العمل المصاحبة للأفارقة السود فى العالم كله، بشكل أكثر اكتمـالاً القيمـة الأساسية للتعاون ولتناسق الطاقات الضرورية لتشكيل الجماعـة. ويـروى الزوار المبكرون لإفريقيا (والأمريكيون السود)، عن دهشتهم أمام المعـازق المتوهجة، وهى تهبط معًا فى الشمس، وحركتها الهابطة والصاعدة فى اتساق مع أغانى العمل. وأهمية مثل هذا العزق والغناء سمة أساسية فى أحد فصول حكاية "الماندو Mandu".

فى القرية، يبرز موضوع وظيفة الفرد فى العائلة والجماعة باستمرار، كما هو الأمر أيضًا بالنسبة لقضية المبادرة فى عالم يجب عليه التأكيد على إخضاع إرادة الفرد لصالح الجماعة. ويقابلنا هذا الموضوع مرارًا وتكرارًا فى أداء القصة، ومرة أخرى يتم توضيح الفكرة الرئيسية المتكررة والاستفاضة فيها بنوع آخر من الأداء: أغنية العمل. وفيها يقوم شخص واحد بالإنشاد، ويستجيب له الآخرون، ويمكن لأى شخص أن يقوم بوظيفة قائد الأغنية. وبالطبع، سيكون الأقوى صوتًا، هو فى الغالب من يقوم بهذه القيادة. لكنها وظيفة يتم الالتفاف حولها، ويجب أن يؤديها شخص راغب فيها، كما يوضح لنا رواة القصة الثلاثة فى "منافسة فى الأكاذيب". لذلك، هناك فى النظام مواقع يتم فيها تشجيع استخدام الأصوات الفردية المتنافسة. ويعتمد عدد من الأشكال التراثية، الأكثر أهمية فى النشاط الأسلوبى، على هذه الفكرة الأساسية المتكررة فى التنافس، يتم تصوير الحياة نفسها بعداوة بالغة التناقض، ما بين الأفراد والمبادئ الأكثر شمولية، مثل الذكر والأنثى، والشيخوخة والشباب، والضعف والقوة.

نرى هنا تباينًا واضحًا مع الأشكال الغربية، ليس فقط فى الطريقة التى يتم أداء العمل بها، ولكن أيضًا فى طريقة أداء اللعب. وفى كل نطاق هذه الثقافة، يهيمن نوع واحد من المباريات: مباراة الغناء الدائرية المشابهة لساحة الطعام والشراب مثل "المُزارع فى الوهدة" و"ادخل واخرج من النافذة" (لكن فى تباين مع هذه الألعاب فى المجتمع الغربي، فى إفريقيا يشاركك كل من البالغين والأطفال فى "ألعاب الحلقة" هذه). يجلس الأفراد فى مركز الدائرة، ويؤدون أعمال المحاكاة والأعمال الرمزية، بينما يشكل الناس حلقة

التجاوب. ويتم تغيير الشخص الرئيسى باستمرار. ولكن فـــى مـــا لا يـــشبه "المُزارع فى الوهدة"، لا تبحث الألعاب الإفريقية عن الأعمال الدرامية، ولكن عن نفس نوع استجابة الغناء التى تميز أغنية العمل: يقـــود أحـــد المغنـــين ويتجاوب الآخرون (وبالفعل تبدأ الاستجابة بشكل عام قبل أن ينتهى القائد من أدائه). والكثير من الحكايات فى هذا الكتاب لها أغان مدمجة فيها وتكون، فى الواقع، بنفس النمط مثلها مثل الألعاب. وتظهر بشكل طبيعـــى تمامًـــا فـــى حكايات المحتالين، التى يمثلها البطل المثير للضحك (لكن الذكي) فى الحياة، داعيًا الآخرين لتمثيلها معه بقيادة ألعاب من هذا النوع.

هذا التركيز بشكل خاص على جماعة الأداء، يعتبر سمة أساسية فـــى الحياة، وكذلك فى الفن فى إفريقيا السوداء. الاســـتمرارية والثقافـــة إنجـــاز مستمر، حيث القوى الطبيعية المدمرة تثبت نفسها بانتظام. قد يبـــرز عـــدم الاستقرار هذا، إلى حد ما، من الصفات المميزة للمشهد الطبيعى الإفريقـــي. بمجرد الصعود خلف المنحدر الصخرى الساحلى إلى السهل، نجـــد هنـــاك عوائق مادية فعلية قليلة جدًا للإنسان أو للدابة (رغم الغابة، كثيفة الأشـــجار، التى لا يمكن اختراقها والتى يتحدث عنها المستكـــشفون والمغـــامرون). إذا وضعنا فى اعتبارنا قلة مثل هذه المعوقات المادية، نجد أن حالـــة الطقـــس القاسية تظهر خلال هذه القصص. ويجب شق تخـــوم وتناقـــضات البيئـــة، بواسطة الإنسان. للوحدات الجغرافية بالغة الصغر، مثل القرية أو المنطقـــة المطوقة (أو القرية المحاطة بحاجز)، سمة "من صُنع الإنسان" مسجلة عليها جميعًا. ولأن المعركة شرسة ولا تنتهي، يجب باستمرار أن يُخضع الإنسان الطبيعة من جديد، بقوة، وباحترام ينسجم مع كـــلا المتنافـــسين - الإنـــسان والطبيعة. والتناقض بين البيت والدغل، والقرية والبرية، يفرض حماية نـــار

العائلة وحماية الجماعة وبسببه يتم التخلى عن كل ما هو عزيز. ولا يمكن القول بأن الانتصار على الطبيعة يتم الاحتفاء به هنا فى أى وقت، وبالعكس، يعتبر هبوطًا لروح الطبيعة الضرورى لاستمرار الحياة على الجماعة، أكثر من أن يمثل أى شعور بالسيطرة عليها، وهو ما يظهر فى الأداء.

هذا العامل مهم إلى أقصى حد فى التطور الأسلوبى لثقافة التعبير فى إفريقيا السوداء، حيث تتحدث معارفهم المكتسبة دائمًا عن جعل الكثير من الحوافز متلائمة مع تأثير واحد شامل. مع ذلك، لا يعتمد هذا التأثير على التوافقات التى تُنجز بعناية، ولا على الشعور الواضح بالبداية، والوسط، والنهاية التى تعودنا توقعها فى أغلب أشكال الفن الغربي. وبالأحرى، تكون لدينا أشكال فى إفريقيا تُبرز الجوهر الراسخ للحياة والفن، بتأثير يتم إنجازه من خلال تداخل الأصوات وتكرار، بشكل مختلف، لنفس الأنماط الأساسية.

هذه إحدى السمات المميزة للأداء الإفريقى، والتى أشار إليها آلان لوماكس، فى دراسته حول الأساليب الموسيقية فى العالم كله. يدرك لوماكس ويبنى على فكرة أن الموسيقى تعتبر بشكل عام امتدادًا وتقديمًا لأسلوب طرق تفاعل الناس. والغناء الإفريقي، كما يستدعيه لوماكس، يتضمن "الكورال متعدد الأصوات، المنطوق بشكل لين، والمتماسك بشكل فخم.. تقاليد لا نهاية لثرائها، إيقاعية وأوركسترالية". وهذا يتضمن "تداخل أجزاء اجتماعية"، حيث يؤكد "التفاعل متعدد الإيقاع بين الأصوات"، الشعور بالجماعة الأخلاقية، التى تبرز فى روح الاحتفال والنزاع[١٨].

---

(١٨) Alan Lomax. Cantometres: An Approach to an Anthropology of Music:Handbook (Berkeley: University of California Extension Media Center, 1976), p. 42.

ويعتمد أسلوب التفاعل هذا، على الحصول على أكبر تنوع فى تميز الأصوات والسمات الخاصة للأداء، حتى لو كان ذلك على حساب مجموع التأثيرات. وعندما يتم الجمع بين ذلك وبين تقسيمات الفواصل الموسيقية، مرتبة بعضها فوق بعض، تكون لدينا التأثيرات الصوتية والإيقاعية الإفريقية المميزة التى جذبت الغربيين (وتم تعلمها وتقليدها)، أينما وجدوها. هذا التنظيم الجمالى هو على وجه الدقة سبب ما نجده من الفتنة البالغة فى السامبا القديمة للكرنفال البرازيلى، وفى إيقاعات الهبوب على القدمين فى الرّجي[١٩] الجامايكى، التى أثرت فى الموسيقى الشعبية الغربية فى السنوات العشر الأخيرة.

لكنه دخل إلى الوعى الغربى بشكل أكثر شمولية وقوة من خلال الجاز التقليدي. ورغم أن هذا الشكل الموسيقى يستخدم الآلات الغربية التقليدية، وله حس الأسلوب الغربى القوى فى البداية والنهاية، فإن تشابك أصوات الآلات الموسيقية وتداخلها هو البعد الأكثر تميزًا فى الموسيقى _ وهذه هى المساهمة الإفريقية. تؤكد كل آلة تميز "صوتها"، بتقديم اتساق الأصوات بأسلوب هذه الآلة الذى يقترب من الزخرفات المرتجلة (أو "العبارات الإيقاعية القصيرة المتكررة المرتجلة") المصاحبة لها؛ وبالتوسع فى مداها الممكن فى التأثيرات النغمية إلى أبعد حد ممكن. وكل آلة تظل متميزة، حتى فى الوقت التى تعزف خلاله كل الآلات معًا. ويضاف إلى ذلك، كما أوضح الكثيرون، أن الجاز يبدو أنه يتضمن نوعًا من التحاور بين الآلات فى ما يخص اتساق الأصوات، وفى التجمعات "الأكثر حماسًا" يتحول الحوار إلى جلسة نزاع

---

(١٩) الرجى reggae: رقصة شعبية فى جزر الهند الغربية – المترجم

وتفاخر، وهى عملية توصف غالبًا بأنها "صد" أو "إيذاء مشاعر"، بواسطة عازفى الجاز أنفسهم. ولا يُضعف مثل هذا العرض العدوانى التأثير الجمالي، وهو يعززه بالطبع.

وبالعكس، يمكننا خلال المنافسة، حتى مع التنافر المحتمل بين الأصوات، أن نشعر بالنشاط المفعم بالحيوية للاندفاع الإفريقى الخلاق بشكل أكثر اكتمالاً. من خلال الانسجام القوى لهذه التأثيرات فى مواجهة الفوضى المحتملة، ينجح الفنان الإفريقى فى شعوره، أو شعورها بامتلاك المهارة الكاملة، وتكون مظاهر هذا النجاح عبر نطاق التعبير الثقافى رائعة.

يجب على قارع الطبل الرئيس، على سبيل المثال، أن يتمتع بمركز السيطرة خلال عزفه، ويفرض استجابة يقظة على قارعى الطبل الآخرين المصاحبين له. ويفعل ذلك، ليس فقط من خلال عنفوان ومهارة أدائه، "بتعيين لدقة" (لكى نستخدم مصطلح الجاز)، ولكن أيضًا بتقديم تنويعات على الآخرين الاستجابة لها، حتى إلى حد تغيير التقسيم الموسيقى الأساسى من وقت إلى آخر. وأنا أتوقف أمام مثال قرع الطبل ليس فقط لأننا قد نلاحظ هنا العلاقة بين الفرد والجماعية على أكمل وجه. مع قرع الطبل الإفريقى ليس علينا فقط أن نصرف اهتمامنا إلى تنوع التقسيم الموسيقى وتميز النغمات، ولكن يمكننا أيضًا أن نشعر بالتقسيم الموسيقى لقارع الطبل الرئيس وهو يتقدم الآخرين ويبتعد عنهم. بالفعل، يجمع أسلوب قرع الطبول الإفريقى بشكل مميز بين عدد من سلاسل التقسيم الموسيقي. يمكننا أن نرى بالفعل نفس نوع التأثير الجمالى، الذى يوجد فى نطاق واسع من التقاليد الإفريقية البصرية، خاصة فى طرق ارتداء الملابس، وعلى أغطية الأرض المنسوجة والبطاطين.

تتطلب أساليب الملبس الإفريقية فروضًا متناقضة إلى حد كبير في التدرج اللوني والقماش، باعتباره دلالة على المكانة الاجتماعية والسيادة. الألوان المفعمة بالحيوية في تشكيلة من أنواع الملابس تعتبر متميزة، وتقدم صورة للفخامة وتستوقف الانتباه. وكما هو الحال في الموسيقى، نجد غالبًا أوسع تشكيلة من الملمس والتغيرات اللونية، موضوعة بعضها فوق بعض لترسيخ هذا الشعور المفعم بالحيوية في الحياة اليومية.

وبتقاليد مشابهة، إن لم تكن أكثر خضوعًا في أنساقها اللونية، تأتى أقمشة الغرب الإفريقى المنسوجة، التى تقوم بدور مماثل لجوقات الطبول. بوضع نظم تغيرات لونية متباينة، توجه العين إلى الاستجابة بشكل متعدد التقاسيم، مثل ما تفعل الأذن والجسم مع قرع الطبول متعدد الإيقاعات.

وكما يمكن توقعه فى مثل هذه البيئة الولعة بالجمال، فإن التناقضات بين الملبس وزى المناسبات، تضارعها تناقضات مثيرة بين زغب الريش المزين بشكل مبهرج، والزغب المجرد من أى زينة، الزائد على الحاجة. ولقد لاحظ كثير من زوار إفريقيا، على سبيل المثال، كيفية اختلاف إحدى الثقافات عن الأخرى فيما يتعلق بالملابس، وكيف يكون لإحداها أبسط نوع من الأغطية الشبيهة بالثوب الفضفاض، ويكون لدى آخرين أسلوب أكثر تعقيدًا فى تشابكه ومتعدد الطبقات. وبالمثل، فى بعض الجماعات الأكثر تنظيمًا فى التراتب الاجتماعي، يتم تمثيل طبقة ما أو طائفة بأسلوبها "المثير للإعجاب" فى الملابس، أو فى الرقص أو الكلام، بينما تتميز أخرى (تكون عادة جماعة مسيطرة) بأسلوبها المقيد وتملكها لـ "حق الصمت". وقد يكون

من المفيد هنا أن نقابل بين العالم المثير للإعجاب للباراندو[٢٠] والبيئة الفاترة التى يعتز بها الوولوف[٢١]. فى العالم المذكور أولًا، يُفترض أن كل الرجـــال اكتسبوا قوة الحديث بفن رفيع، والقدرة على الدخول فى مجادلـــة بـــسهولة وبلاغة. وبالعكس، ينظر الوولوف (ومعهم الكثير من الثقافات الأخرى مـــن منطقة سنغامبيا[٢٢])، إلى طائفة المـــؤدين لأغـــانى المـــدح أو الموســـيقيين الجوالين (الجريوت) باعتباره الشخص منهم نصف حيوان متحمس: وتقـــدم الطبقات الأكثر رقيًا نفسها بالأسلوب اللين[٢٣].

(٢)

لقد أشرت إلى المصادر التعبيرية هذه، لأن حكى القصة نفسه جـــزء من مركب أداء كبير، يوجد، ليس فقط لإتاحة ترفيه للناس التقليديين (شفاهى سمعي)، لكنه أيضًا مركز لحياتهم الأخلاقية. ويضاف إلى ذلك، أنه يندر أن يبرز حكى القصص _ باعتباره سردًا خالصًا _ بنفسه فى هذا الجـــزء مـــن العالم. وتتضمن القصص غناء، ورقصًا، فى تعبير عن نفـــسها. ويـــشارك

(٢٠) باراندو Burundu: شعب يعيش فى منطقة غرب كينيا _ "لمترجم

(٢١) وولوف Wolof: جماعة عرقية تعيش فى السنغال وجامبيا وموريتانيا _ المترجم

(٢٢) سنغامبيا Senegambia: كانت اتحادًا كونفدراليًا بين السنغال وجامبيا _ المترجم

(٢٣) تصف إثيل ألبرت مداخلة البارانـــدو فـــى "Cultural Patterning of Speech Behavior in Burundi", Directions in Sociolinguistics, ed. John Gumpers and Dell Hymes (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1972), pp. 72 _ 105. وتم استعراض موقف الوولـــوف بواســـطة جوديث إرفين. وتم تلخيص تبصراتها بشكل مفيـــد فـــى كتابهـــا "Formality and Informality in Communicative Events", American Anthropologist 81 (1979): 778, 790. وأغنى دراسة حول العلاقة بين الضجيج الشديد والمنضبط، والحديث المنضبط والجاد هى دراسة كـــارل ريـــسمان "Noise and Order", in Language in its Social Setting, ed. William W. Gage (Washinton, D. C.:The Anthropological Society of Washington, 1974), pp. 56 _ 73.

المستمعون بنشاط فى الغناء وفى الأغانى الراقصة، ويفرض التعبير، من خلال الانتحالات والتنكر والأزياء الهزلية، نوعًا من التباين من خلال امتلاك مهارة الأداء بشكل كامل. ولقد عرضت مجمل نمط الأداء هذا ليس باعتباره ممارسة أكاديمية فى علم الجمال المقارن _ من خلال أنماط مختلفة إلى حد كبير عن التراث الغربى _ لكن باعتباره وسيلة لفهم العلاقة بين الفن والحياة فى ما تحت الصحراء الكبرى الإفريقية.

لن تكون مبالغة فى الأمر ملاحظة أنه فى إفريقيا السوداء يُعتبر الفن هو الحياة أو العكس، وليس مجرد انعكاس للإنسانى والمجتمع، لكنه تأويل مرتبط بشكل مباشر بطبيعة الأمور أو ما يجب أن تكون عليه، أكثر منه مجرد تقليد، فهم يرفعون من قدر الاهتمامات الإنسانية الأكثر أهمية ويعززونها. وبينما قد لا نستطيع أن نعرّف بوضوح أيًا من الجمال الغربى أو الإفريقى فى حد ذاته، فإننا نعرف أن الفرق بين الاثنين كبير، ويعود فى جزء، ليس بالقليل، إلى الأهمية النسبية للأداء فى كلتا الثقافتين. فى إفريقيا (السوداء التقليدية) لا ينفصل الفن عن "الحياة الحقيقية". لا يمكن أن يوجد مثل هذا الانفصال لدى شعب لا يضع مثل هذه التمييزات. ليس مجرد أن التمييزات الغربية التحليلية بين الفن والحياة بلا معنى فى التعامل مع الثقافة الإفريقية التعبيرية، لكن التمييز يهدد بشدة قوام حياة الجماعة. يصل إليمو ب. نجاو Elimo P. Njau، فى اللقاء الأول لمؤتمر الباحثين فى المجال الإفريقي، إلى النتيجة نفسها أيضًا، والتى رددها حينئذ مشاركون آخرون:

قبل أن يكون الفن الإفريقى معروفًا من خلال قدراته الخاصة، وقبل أن تكون الموسيقى الإفريقية معروفة من خلال قدراتها الخاصة، كان الفن والموسيقى الإفريقيان، الرابط الحقيقى للمجتمع الإفريقي.

كان الفن والموسيقى الإفريقيان إلى حد بعيد جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية للجماعة حتى أنك إذا تكلمت عن الفن والموسيقى فإنك تتكلم بالفعل عن الناس أنفسهم، ونشاطاتهم اليومية، وطموحاتهم من يوم إلى آخر كجماعة، ومباهجهم المشتركة، والأعداء الذين يحاربونهم معًا، والدموع التى يذرفونها معًا[٢٤].

وخطر فقد سياق حكاية يعتبر ضئيلاً، لكنه منتج جانبى مهم لعملية التفكيك يصاحبه غالبًا فكر أرسطوطاليسى، وهى عملية يحدث خلالها تبعثر للجماعة وتعبيراتها أو فنونها إلى أكداس منفصلة. ونفس فعل الجمع والتصنيف، كما رأينا، يشوه بشكل متواصل "معنى" القصة. ولقد توصلت بالفعل إلى أنه، حتى مع تحضر شبه القارة، تمت المحافظة على الحكايات الشعبية باعتبارها وسائل فعالة، لنقل معرفة وحكمة الأسلاف. ورغم أن هذا ربما يكون صحيحًا بالنسبة للحكايات الشعبية فى كل العالم، فإننا ننسى غالبًا أننا كغربيين، نعرف هذه القصص من خلال الكتب التى تؤكد صفاتها المبتكرة والخيالية. ويجب التأكيد أيضًا على تأثيرها وأهميتها للتفاعل الإنساني.

هذه القصص إفريقية، لها اهتمامات إفريقية وتخضع لنظم وتقاليد عروض التلقى. وأحد أوائل التعقيدات الثقافية، التى تحدث للشخص الغربى، هو حقيقة أن هذه الحكايات بخلفيتها الإفريقية تتطلب، ليس فقط أن تنقل

---

(٢٤) Elimo P. Njau, "African Art", in Proceedings of the First International Congress of Africanists, ed. Lollage Bowa and Micheal Crowden (Paris: Cahiers Etudes Africaine, 1964), pp. 237 _ 38.

رسالة معينة، ولكن أيضًا أن تستهل حديثًا حول هذه الرسالة. بعبارة أخرى، فى ما لا يشبه أغلب القصص التى تعودنا على وجودها فى الكتب، تأتى هذه الحكايات من مجتمعات تستمر فى استخدام القصص باعتبارها طرقًا للتعامل مع الموضوعات الراهنة وإعادة تجميعها من جديد، من خلال القصة نفسها، كما سنرى عاجلًا، وأيضًا من خلال المناقشة والجدل الناشئين عن القصة.

إنها على وجه الدقة الطريقة التى يتبعها راوى القصة، لـــــ "جـــذب انتباهك"، ودفعك إلى الحكاية التى لا توجد فى الحكايات الشعبية التى نقرأها فى المجموعات الأدبية مثل تلك الخاصة بالأخوين جريم، حيث نجـــد فـــى المجمل تسجيلاً لقصص، كما يتذكرها كبار السن، الذين لم يعودوا يحكونهـــا بنشاط. وبالعكس، تمت إعادة تسجيل القصص الإفريقية هنا، بينما لا تـــزال مزدهرة فى البيئات الاجتماعية والثقافية حيث يتم تشجيع الاستخدام المـــتقن للحديث فى كل مظاهر الجماعة والإثناء عليه.

ولسوء الحظ، فإن سمة الأداء التلقائى فى القصة الإفريقية، والمتضمنة فى الضجة التى تعيش فيها، من الصعب تمامًا الحصول عليها على الـــورق. ومن بين محاولات تسجيل حكى القصص، كما يحدث فـــى زمـــن ومكـــان محددين، وتسجيله بطريقة لنقل العوامل الرئيسية الظرفية الأخـــرى أيـــضًا، ربما تكون الأقرب إلى النجاح هى حكايات روائية للورا بوهانون. تـــصف "رواية أنثروبولوجية" لبوهانون "العودة إلى الضحك[٢٥]"، عملها بين "جماعة التيف" فى نيجيريا، وتمدنا بوصف لمشهد قص حكاية، ورغم عدم اتـــصافه

---

(٢٥) مكتوبة بعنـــوان Elinore Smith Bowen (Garden City, N. Y. : Anchor Press / Doubleday, 1964), p. 293.

بالكامل بمظهر وشعور حكى القصة العادى _ يحدث بعد مرور وباء جدرى وبائى على القرية _ فإنه مفعم بالحيوية بشكل خاص. ولا يركز وصفها على القصص، لكنه يركز بالأحرى على الضوضاء التى يظهر من خلالها العرض، وامتلاك المؤدى لمهارة السيطرة على الهيجان. إنها تقدم طريقة للتعبير الدرامى، حيث تتم صياغة الموقف الفورى فى القصص والمزاوجة بينه وبين سماتها العامة، والطريقة التى يمكن بواسطتها النظر للتتابعات والتفاعلات لكى تعمل معًا فى سياق أداء واقعي.

بعد بضع ليال، جلسنا تحت القمر البارد فى رياح الهارماتان فى دائرة فى ساحة سكن كاكو. تم وضع مصباحى الضاغط بعناية تحت إشراف كاكو شخصيًا، ليلقى ضوءًا على رواة القصص، وهم يمرون من أمامنا هم والمسنون المحتشدون. بالتدريج تجمع الناس من البيوت المجاورة. اصطحبوا زوجاتهم وأطفالهم، وأحضروا خشبًا للنار وكراسى بلا ظهر للجلوس عليها. امتلأ المنزل بالضجة التمهيدية، حيث استعار الناس فحمًا لإشعال نيرانهم ودفعوا بعضهم البعض للحصول على مكان قريب من المقدمة. عندئذ تحددت الأماكن بنار ومقعد دون ظهر، والتف الناس لتحية بعضهم البعض، كما يفعل الناس فى ردهة مسرح. امتلأ الجو بتنغيم سعيد من أحد المستمعين واثق من ترفيه وافر.

خلف كوخ كاكو للاستقبال، كان عدد كبير ممن يأتون ويذهبون، يهمسون ويقهقهون، تمامًا مثل شخوص يحبكون أحداث تمثيليات التقليد الساخر. وشولو، الذى كان عليه أن يقص أول حكاية، "قرفص" أمامنا ببساطة، يحيينا بحميمية، ويخبرنى بأخبار عن أخته: أتاكبا كانت فى حالة

جيدة، وأصيبت ضرتها بالعمى بسبب الجدري. "لذلك يلزم أن تقوم أتاكيا بأعمال أكثر. وهما الآن تلاحقان زوجهما، لكى يحضر لهما زوجة صغيرة لمساعدتهما".

"شولو!".

"أنا آت" صاح شولو نحو كوخ كاكو المعد للاستقبال. حدق فى الحضور المجتمعين وغادر المكان. ولوَّح لإيهوف، لكى يلحق به. على الفور انطلق إيهوف جاريًا نحو كوخه، ليتشاور مع أعمامه، ثم عاد ليلحق بشولو خلف كوخ الاستقبال. استقر الناس منتظرين، فى حالة توقع.

أتى شولو أمام المصباح، وبكثير من الإيماءات بدأ قصة الأرنب البرى والفيل.

ذهب الأرنب يصطاد في يوم ما. وسلح نفسه بهراوة مصنوعة من نبات الخيزران، ولمعرفته بأن سلاحه ضعيف ارتدى قناعًا وحشيًّا ليميت فريسته من الخوف.

هنا يبدأ شولو فى الغناء: بمقاطع لفظية، ليس لها معنى، مع إيقاع مثير للانتباه ونغمة مرحة. أثار ذلك اهتمامي. وقد يكون ذلك أكثر مرحًا من مجرد حكى القصة.

فى البداية يلتقى الأرنب بفأر. يصرخ الفأر خائفًا، عندما يرى القناع المرعب، لكن بدلًا من الوقوف مرتعشًا استعدادًا لهراوة الأرنب، يفر الفأر هاربًا.

من جديد يلوِّح شولو لمجموعة المنشدين.

بينما كان الأرنب يطارد الفأر، انزلق القناع على عينيه. لكـــن كـــان للأرنب أذنان طويلتان، وكان فى استطاعته تتبع فريسته بصوت الحركة فى العشب الجاف. فى هروبه يجرى الفأر مباشرة إلى فيل، ويبدأ الفيل أيضًا فى الهرولة. ولأن الأرنب كان عاجزًا عن الرؤية، يطارد الأرنب الفيل ويضربه بهراوته المصنوعة من الخيزران. والفيل، الذى ظن أن تلك كانت مداعبة من سوالف الفأر، هرول بأسرع ما يمكنه.

من جديد تغنى مجموعة الإنشاد. عندئذ يختفى شـــولو. لقـــد تمتعـــت بالأغنية، وتهيأت للقصة التالية. لكن تلك القصة لم تكن قد انتهت بعد. عـــاد شولو. كان هو الأرنب هذه المرة. ربط على رأسه ورقتى سرخس كـــأذنين، وكانت على وجهه قطعة من قماش ملطخة بالطين، وفى يديه نصل من نبات الخيزران. قام بتمثيل قصته، راقصًا أمامنا، باحثًا عن التسلية، يعثـــر علـــى الفأر، ويطارده دون تردد.

عندئذ يأتى الفيل، وهو يجأر: كومة من مواد مختلفة مربوطـــة علـــى ظهر رجل - تلك الأقدام الضخمة المفلطحة لا يمكن أن تكون لأحد ســـوى إهوف - مغطى بثوبين فضفاضين، يميل لونهما إلى السواد، يتمـــايلان مـــع رقصة الفيل. يصرخ الأطفال الأصغر سنًا غالبًا بما يكفى، ويكـــون علـــى آبائهم وأمهاتهم أن يقوموا بتلطيفهم، بينما يقول لهم الأطفـــال الأكبـــر ســـنًا بعظمة كبيرة إن الفيل كان رجلاً فى الحقيقة.

عندئذ يضرب شولو الفيل بشجاعة بنصله المصنوع من النبـــات، ثـــم يستخدمه كعصا يلوح بها لنا جميعًا خلال أغنيته وأغنية مجموعة الانـــشاد. يضرب شابًا أو شابين بالعصا على مقاعدهما، لتحسين تتبع الإيقاع، بينمـــا

يرقص الأرنب والفيل. وفى جيشان أخير للغناء والرقص الحماسيين، يختفى الأرنب والفيل.

فجأة يقفز أحد أبناء عم إيهوف فى مركز الدائرة، ويبدأ حكايتـــه عـــن الكبش، وكيف تحايل عليه الأرنب البري. ولديه هو أيضًا أغنية لقصته، حيث إن الخرافات نفسها ملكية عامة، ويصنع حاكى القـــصص شـــهرته بأغانيـــه ورقصه. ومن جديد وجدت نفسى أضحك من كل قلبى وأشارك فى الغنـــاء. كنت أمتع نفسى بلا حدود.

مع انقضاء الأمسية، يظهر رجال آخرون يحكون قصصهم، دافعـــين الأخوة وأبناء العم للمشاركة فى تمثيليات التقليد الـــساخر وطلـــب الأشـــياء الضرورية للتمثيل من نساء المنزل. الإناء المربوط مثل الخطم على الوجـــه يمثل فرس النهر. وتخلق جلود الخراف، وأوراق النباتات، والكراسى عديمة الظهر المغطاة بالأقمشة وحوشًا وأرواحًا غريبة. لم تكن هناك قصة واحـــدة مملة. لا يسمح المستمعون بذلك. كانوا صاخبين فى تعليقاتهم النقدية، كما هو حالهم فى التعبير عن إعجابهم، وسوف يُسكت الناس بالـــصراخ، أى حكـــاء قصة خرافية يفشل فى إثارة اهتمامهم: "هذا طويل جـــدًا". "أغنيتـــك ليـــست جيدة". "أنت تحكى القصة بشكل خاطئ". "تعلم كيف ترقص". ويحتاج الأمر أحيانًا، إلى مجرد التجاهل الخاطف من جزء من المستمعين، حتى يشجع أحد رواة القصص الآخرين، ليقفز إلى المركز، بينما تكون هناك حكاية أخـــرى يتم قصها. عندئذ لبضع دقائق نستمع إلى حكايتين، وأغنيتين فى الوقت نفسه. وفورًا قد يكرس الناس أنفسهم لفرقة إنشاد واحدة، بينما يجلس راوى القصة الآخر.

على الأغلب كانت منافسة بين جبودى وإكبوم، وهما أعظم حكائى قصص فى الإقليم. جبودي، الرجل القصير صغير الحجم قوى البنية ذو الصوت هائل المدى، يتفوق بصفته راقصًا ويقوم بالشقلبة كالبهلوان. فى حكاية صرار الليل وفرس النبى التى تصلى رقص قابضًا على هاون ثقيل من خشب الماهوجانى بيديه. فى البداية، باعتباره فرس النبى التى تصلي، وضعها على رأسه، ثم، بعد أن وضع الهاون على الأرض، استمر فى الرقص فوقها مقلوبًا رأسًا على عقب، ويداه تمسكان بإحكام بحافة الهاون، وقدماه فى الهواء، وهو يغنى طول الوقت.

كان إكبوم متفوقًا فى التمثيل الصامت. كان وجهه القبيح معبرًا بشكل غير عادي، ويكون فى أفضل حالاته، عندما يستطيع هو نفسه أن يمثل كل أجزاء القصة فى الوقت نفسه. كان يقص الآن حكاية ابنة الرئيس التى رفضت الزواج من أى رجل، لأنها كانت تعرف أنها غير مناسبة، إلى حد كبير، لأى خاطب يأتى للتودد إليها. ويصبح صوت إكبوم غاضبًا بشدة عندما، باعتباره الفتاة، تنبه المحبين إلى الابتعاد عن المزرعة وتهدد بأن تقتلهم بالقوس والسهم. كان صوته خارقًا للطبيعة وأغنيته موحية بالغموض عندما كان يصور رئيس أرواح العالم السفلي، أجاندي، وهو رأس بعينين هائجتين حمراوين وبلطخات دم على عنق مقطوع ملتهب، ينتهى عنده المخلوق. يستعرض أمامنا كيف استعار أجاندى أشعة ضوء الشمس والقمر وبواسطتهما يبهر نظر الفتاة، وكيف لاحقت الفتاة هذا الوهم البراق، بعيدًا عن شعبها الذى كانت تحتقره، وكيف حدث عند بوابات العالم السفلى نفسها أن أعاد أجاندى إلى الشمس مجدها وإلى القمر جماله. عندئذ فقط، عندما فات الوقت تمامًا، ترى الفتاة الوحش الذى اختارته، وكان الوقت قد فات تمامًا وبلا جدوى، واشتاقت لزوج بشري.

لم أكن فى حاجة إلى سماع القول المأثور الذى يميز نهاية كل قصة. فأنا أعرف البعد الأخلاقى لهذه القصة. خاصة الآن، فى هذا الوضع حيث إنسانيتنا ومتعتنا المشتركة فى التسلية كانت بهذا الوضوح الكبير، فإن مخاطر فصل شخص ما عن نفسه ليقلد غرابة الإيماء تبدو خطيرة وباعثة على الأسى.

غنى إكبوم مرثاة الفتاة التى انغلقت غطرستها العمياء على عالم غريب مظلم، بعيدًا عن الشمس والضوء المألوف.....

غنى إكيوم لأجاندي، لهيكل تكشيرة العالم، الذى يبرزكل الأوهام. يمكننا تجاهل أجاندي، لكن هؤلاء الذين يتبعونه لا يمكنهم العودة أبدًا، لأنهم رأوا ولا يمكنهم أبدًا أن ينسوا... إنهم يعرفون. كان كل هؤلاء الناس يضحكون من حولي. إنهم يعرفون كيفية العودة. وظللت أنا أتعلم.

كان جبودى يقص حكاية الآن، عن محاولة الأرنب البرى أن ينسلخ بنفسه كإحدى أرواح الدغل فى إقليمها الخاص. كمحتال بارع، كما يجب أن يكون الأرنب البري، وبمهارته غير المحدودة، كان عاجزًا عن أن يفعل ويشعر مثل أرواح الدغل. فى البداية سمح له ذلك بأن يخدعهم بأفضل طريقة، وأن يسرق الثوب الفضفاض الذى يحمل الشخص إلى الأمام مثل الريح، لكن فى النهاية كان فى هذا النقص فى الفهم وهذا التباين دماره. "هذه المرة"، غنى جبودي، "قتلت الأرواح الأرنب وأكلته. لقد قتلت القصة الخرافية الأرنب".

يمكن للأرنب أن يعود إلى الحياة فى قصة خرافية أخرى. المحتال يحتال على نفسه بكارثة. لكن حتى أكثر المحتالين مهارة لا يمكنهم تحويل أنفسهم. تخونه عاداته الشخصية دائمًا، كما تخوننا جميعًا حول ما نحن عليه، ونحن وحدنا فقط، الذين نرى أنفسنا كما نظن أنه ما يجب أن نكون عليه، أو ما نحب أن يُعتقد فينا.

نبع الكثير من مآزقى الأخلاقية من طبيعة عملى نفسها، التى جعلتنى محتالاً: شخص يبدو على غير طبيعته ويعلن إيمانًا بما لا يعتقد فيه. لكن هذا الإدراك لا يساعد كثيرًا. لا يكفى أن يكون الشخص صادقًا بالنسبة لنفسه. النفس قد تكون سيئة ويجب تغييرها، وقد تتغير بغتة إلى شىء غريب وجديد. لقد تغيرت. ومهما كانت أفضال الأنثروبولوجيا على العالم، أو أفضال كتبى على الأنثروبولوجيا، فإن هذه التجربة شكلت الكثير من التغيرات لدى ككائن بشرى - ولقد اعتقدت أن ما لم يكن يشكل فائدة لدفاتر ملحوظاتى، قد يكون مغامرة....

لقد فقدت تتبع أحداث القصة الخرافية التى كانت تُحكى. كانت قصة طويلة، ولم أستطع الإبقاء على الشخصيات فى حالة مرتبة. وأيضًا لم يستطع أن يفعل ذلك "أكسدنت"، على ما يبدو _ النابض بالحياة دائمًا والباقى على حاله تمامًا، والذى يحتفظ ببضع آثار للجدرى على أنفه. وبالرغم من ذلك، ربما كان مجرد شعوره بالأذى هو الذى جعله منغمسًا فى مقعده بجانب أخيه وأن يلعب دورًا مع راوى القصة. " لا أفهم. هل يمكنك أن تعيد بمزيد من البطء؟".

كان هناك لهاث مفاجئ. ثم هدير من الضحك، حتى من راوى القصة الذى تمت مقاطعته. "ماذا كان اسم جد جد جده؟ وأين تعلم أداء هذه المراسم؟". واصل أكسدنت، بشكل عارض إلى حد كبير، إلى درجة أننى بدأت أنا أيضًا فى الضحك، لأنها كانت لهجتى الخاصة، أسئلتى الخاصة هى التى قام أكسدنت بتقليدها. ومنتبها إلى أنه فقد المستمعين إليه، بدأ راوى الحكاية يقوم بدور المعلم لعالمة أنثروبولوجيا أكسدنت. وبدا أكسدنت بدوره

تواقًا إلى أن يبدو مرتبكًا وأن يقوم بالكتابة كما هو شائع فى كتابة مفكرة معلومات، مسح نظارات متخيلة، وضبط تنورات متخيلة، وقلد لهجتي، وإيماءاتي، وأخطائى فى النحو، وعادات التعبير بدقة مفرطة حتى أنني ضحكت من إحراجى أنا نفسى، وحتى إننى صممت على أن أتحسن. أخيرًا جلس أكسدنت تحت وابل من القطع النقدية الصغيرة وتصفيق القبول......(٢٦)

(٣)

وصف بوهانون لأداء واقعى يؤكد حقيقة أن قدرة راوى القصص على التطور تعتمد على عنصرين مميزين: الأول، السيطرة بقوة على دور الراوى، والمحافظة عليه فى مواجهة التعليقات النقدية الموجودة حينئذ، والثاني، التفاعل المستمر بين راوى القصة والمستمعين، ويحافظ عليه كلا الطرفين من خلال تعليقات المستمعين وتقديم أغانى الطلب والاستجابة بشكل تكرارى منتظم. لذلك، فإن فرصة المطالبات بحكى قصة لنفس الشخص المستحوذ على المركز، ونفس أسلوب التعبير يتداخلان ويتشابكان، مثلهما مثل الكثير من أنواع سلوك المستمعين الذى يحدث أمام المؤدي، الذى يمثل، من خلال حس ضبط شخصي، بؤرة لكل الضجيج والتحرك النشيط العشوائى الذى يحدث فى مناسبات الأداء.

البدء فى قصة تتضمن غالبًا القليل من التوتر، والانتهاء منها لا يكون غالبًا الأمر نفسه كما هو فى تقاليد رواية القصة الغربية. لأنه، كما يقول

---

(٢٦) المصدر السابق نفسه.

الماندينجو[٢٧] فى بداية إحدى القصص: "القصة الفريدة حقًا ليست لها نهاية". يؤكد كل من أعطانا تقريرًا عن كثب على أهمية البدء بشكل درامى بما يشبه "افتتاحية بصيغة عرفية" - عبارة ثابتة مثل تلك الخاصة بالماندينجو التى تجهز كل شخص لما سوف يحدث. وأكثر من كونها مجرد جملة افتتاحية، يُرجى من العبارة الثابتة استجابة قياسية من المستمعين تشير إلى أنهم مستعدون وينصتون.

نجد مثل هذه الصياغات الافتتاحية فى الكثير من الحكايات المأخوذة عن تقارير حديثة (تستبعدها المجموعات الأقدم، على الأغلب بسبب صفتها التكرارية). على سبيل المثال، "القرد يسرق طبلة" تبدأ بنوع من الصياغات المرحة بعناية وتفصيل والتى تميز قصص اليورابا[٢٨] الأخرى الموجودة فى هذا الكتاب. "ها هى قصة"، يصيح الراوى الطموح، وهو ما يجيب عنه المستمعون، "إنها قصة فعلاً"، قابلين من الناحية الجوهرية رجاءه بأن يستمعوا. عندئذ يستجيب:

تتفجر قصتى بحدة، با pa،

لا تدعها تحطم ذراعيها،

إنما تتفجر، تئز، وتصدر صوتًا مكتومًا، وارا جبى wara gbi

لا تدعها تحطم رقبتها،

---

(٢٧) الماندنجو Mandingo: شعب الماندينكا Mandinka أيضًا فى غرب إفريقيا، وأصله من مالى - المترجم

(٢٨) اليورابا Yoruba: شعب يعيش فى غرب إفريقيا - المترجم

إنها لم تسقط على رأسي!

إنها لم تسقط على رقبتي!

ولم تسقط أيضًا على الجزء الصغير من "الجرذ"

ذلك الذى سوف آكله قبل نومى هذه الليلة!

وبدلاً من ذلك سقطت على رؤوس المائة وستة وخمسين حيوانًا.

وينبه الراوى المستمعين إليه بمهارة فائقة وبطريقة غريبة إلى حد ما، بأنه على وشك الدخول بهمة وعزم فى ابتكار مستفيض. وكما هو الأمر غالبًا، سوف ينبه المستمعون الراوى بدورهم إلى السمة التافهة لروايته، خاصة عندما يقترب الجزء العرفى من القصة من نهايته. يحدث ذلك غالبًا، كما هو الأمر فى الافتتاحية، بتقديم ملاحظة فردية من أول شخص، والتعامل بطريقة هزلية مع كلام الشخصية التى يلعب الراوى دورها.

عندئذ لا يمكن تجاهل الطاقة العالية للحوار لكى يتم فهم كيفية وجود هذه القصص. تمامًا مثلما تناقش الكثير من هذه القصص نفسها الانفصال الوشيك عن الأسرة، والصداقات، والجماعة، فإن طريقة بزوغ القصص فى التنافسات تؤكد على الطبيعة الدائمة للمعارضات. وإنجاز شعور بالختام، بنهاية قوية ومميزة، هو وضع لا يُعتبر ممكنًا ولا مرغوبًا فيه. وهناك أجزاء معينة وعلاقات أساسية فى الحياة، إلى حد أن المضى بها إلى نهايتها أمر ضرورى ولا ينتهي: بين الأب والطفل، والرجل والمرأة، والزوج والزوجة، والزوجة والزوجة المساعدة، والبشر والساحرات، والحياة والموت. عندئذ تبدو فكرة الوصول إلى شعور قوى بالخاتمة، وهو ما تعود عليه الغربيون كثيرًا، أمرًا غريبًا بالنسب للأفريقي، يبدو مكروهًا.

وكما نرى فى أغلب قصص الجزء الثالث من هذا الكتاب، يوضح وجود رواة قصص، أو بعض الأنواع الأخرى من المحتالين العدائيين، باعتبارهم شخصيات أساسية، الدافع إلى التنافس الذى يشكل الكثير من الحكايات أيضًا. ويتم أحيانًا ببساطة إضافة تأثير مرآة بأن يكون هناك نوع من "الأداء فى الحوار" باعتباره ميزة مكملة للقصة. وهذا أكثر وضوحًا فى تلك الحالات التى يوجد فيها أداء تنافسى فى القصة، كما فى الحكاية الرائعة من أبرون Abron "مسابقة الأحاجي".

والحكم عليها من خلال تواتر ظهورها، تعتبر تلك القصص ذات النهاية المفتوحة، بما فى ذلك حكايات الورطة التى سوف أتحدث عنها أكثر لاحقًا، من بين القصص الأكثر انتشارًا بين المستمعين الإفريقيين. توجد الخاتمة المفتوحة غالبًا عند أدنى توقع للغربى لها، كما هو الأمر مع الحكايات المقتضبة، التى تجعل التعليقات الأخلاقية واضحة. يمكن عندئذ استكشاف هذا الأمر فى الحديث، خاصة بين البالغين والأطفال. وبعكس الشكل المغلق فى القصة الخرافية الغربية التقليدية، التى يبدو أنها تقدم، كما فى أسلوب أيسوب، "الكلمة الأخيرة" فى موضوع ما، فإن هذه التغييرات الأفريقية فى الأسلوب تترك المجال مفتوحًا للمجادلة، مع ذلك يظل من الواضح مرة أخرى أنه فى السياق الإفريقى، تكون وظيفة راوى القصة أن يستهل العمل، كما يؤدى عمل المعلم مثلاً. وحتى عندما تظهر مثل هذه "الكلمة الأخيرة" الأخلاقية، تكون عادة فى الحال مسببة للنزاع ومفتوحة النهاية فى نتائجها إلى حد كبير حتى إنها تستدعى المزيد من المناقشة.

انظر، على سبيل المثال، فى قصة بسبب أنها تهتم بنتائج الحديث نفسه، فقد تُعتبر عملاً مصاحبًا لـ "الجمجمة التى تتكلم". تحكى "النعجة" عن الرجل المسن الذى كان، لظرف ما، من دون عائلة، وكان عليه أن يسكن ويأكل بثمن مع امرأة عجوز فى قريته. ولسوء الحظ، نفد ما عندها من طعام، وكانت مضطرة إلى أن تقترح على الرجل المسن أن يأكلا لحم كلب. رفض، قائلاً إنه إذا شاع أمر أنه أكل هذه المادة لن يتعامل معه أى شخص. وعدت ألا تقول شيئًا عن ذلك، ومن ثم وافق الرجل المسن. لكنه عندما تم طهى الحيوان الأليف، طلب منها التراجع عن الأمر فى ذلك الوقت وأن تدعو أفضل صديق، "هذا الذى تستطيعين أن تخبريه بأى شيء". وعندما جاء الشخص، أعطى لهما التعليمات نفسها، وبذلك انضم شخص ثالث إليهما. وقدم الاقتراح نفسه ، لهذا الشخص الثالث، وعلى هذا المنوال استمر الأمر حتى تجمع فى المكان مائة شخص. عندئذ أخبر الرجل المسن الضيوف المجتمعين بما حدث؛ إن السيدة العجوز نفد لديها الطعام وكانت مضطرة إلى أن تقدم إليه كلبًا، ووعدت بألا تقول لأحد إذا أكل منه. الدلالة الأخلاقية للقصة واضحة بما يكفى حيث إن كل واحد من الضيوف كان شخصًا أخبره شخص آخر بألا يقول أى شيء[٢٩].

صورة الحياة هنا، كما هو الحال مع حكايات هذه المجموعة الأدبية المختارة، ممتلئة حتى الأعماق بتناقضات الحياة، خاصة عندما تظهر بين أشخاص يعيشون معًا ويتناقشون فى الكثير من الأمور. تدل مثل هذه الحكاية

---

(٢٩) من George W. Ellis, Negro Culture in West Africa (New York: Neale Publishing Co., 1914), p. 228.

على أن الكمال والاستقامة ليسا سوى أحلام: المتوقع هـو تفـسخ الـروابط وتحطمها. هذا يفسر الغالبية العظمى من القصص حول الخيانة والـصداقة، وتكون هزلية عادة فى أسلوبها، لكنها جادة إلى حد مفرط فى رسالتها. فـى هذه المجموعة الأدبية المختارة، نرى فى البداية مثل هذه الخيانة فى "لعـن الطيور"، قصة شحرور مهيب، يحدد رأيه حول ما هو صحيح وما يجب أن يكون عليه مظهر كل الطيور، التى ترغب كلها فى تغيير مظهرها. ونظـن أننا نفهم، حتى نصل إلى النقطة الواضحة فى القصة: "بالنسبة لبقية الطيور، فإنها فى مأزق، لقد قُتلت، لقد وقعت فى شرك، وتم تعذيبها.. كل ذلـك لأن الشحرور لعنها".

ومناسبة اللعنة غير مبررة فى القصة، لكن تفاصيلها مفهومة بالتأكيـد بالنسبة للمستمعين: أولاً، من العبث الرغبة فى تغيير ترتيب ألوان شخص ما ببساطة بسبب الحسد، ثانيًا، لأن الشحرور (مثل الرجل المسن الذى يواجـه مشكلة أكل الكلب) ينفر من أولئك الذين لا يأكلون حسب الأصول، حيث إنه فقط من خلال الأكل الملائم يمكن لهذه الثقافة أن تتجلى. وبمناقـشة كيفيـة ظهور الاختلافات المادية وكيفية المحافظة عليها فى وجود معارضة مثيرة، يُعتبر ذلك، بأعمق معنى، ترفيهًا يدور حول الطريقة التى تتم مـن خلالهـا ممارسة الحياة. ويفشى أداء الحكايات المفعم بالحيوية رسـالة أن "الأشـياء" تتجزأ، لكن ليس بشكل تام، وليس بشكل استسلامي: التفكـك الـذى تجـب مناقشته، والمجادلة حوله، يدخلان فى إطار المعرفة الموثوق منها.

عملية المشاركة هذه، واستخدام الحكايات الأخلاقية لفتح المناقشة أكثر من إغلاقها، تعتبر، على وجه الدقة، أسلوب العمل لمجموعة من القـصص

المتضمنة هنا فى القسم الذى يطلق عليه "قصص قابلة للنقاش، بل للنزاع حولها". ميزة إفريقيا السوداء، والتى يندر وجودها فى مكان آخر، هى حكايات تتطور خلالها الحبكة بطريقة تعطى للمستمع فرصة اختيار النهايات. والأكثر شيوعًا هو طرح الاختيار على هيئة سؤال، على سبيل المثال، حول من كان من الشخصيات الأكثر شجاعة أو الأكثر فضيلة وأولئك الذين يستحقون المكافأة. لذلك فإن شكل الحكاية، يتم تصميمه لكى يؤدى إلى مناقشة أو مزيد من المجادلة الشكلية.

أو، كما يلاحظ وليام باسكوم William Bascom، فى دراسته الدقيقة حول النوع الأدبى المميز: "حتى لو كانت لديهم إجابات نموذجية، فإن حكايات المأزق تثير مناقشات تتسم بالحيوية، وتدرب المشاركين على مهارات المناظرة والجدال"(٣٠).

فكر الآن فى قاعدة أن القصص التى تحكى ليست لها نهاية "ملائمة"، ومقصود منها بشكل خاص أن تسبب المجادلة. "القصص" كما قمنا بتعريفها لا بد أن يصاحبها شعور قوى بأنها مكتملة، ومن النادر أن يستدعى الاكتمال مناقشة الحوافز، والأندر من ذلك أن يستدعى المجادلة. وفكر أيضًا فى سمة مرتبطة بذلك: حكايات المأزق، مثل الكثير من الأنواع الأدبية الأخرى من الحكايات المتضمنة هنا، تستخدم كمية ضخمة من التكرار. قد تمتد الحكاية بلا نهاية من خلال تكرار الأغنية، التى بدأها الراوي، لكن كل شخص يمارسها. (العينة الوافرة عن هذه التقنية موجودة هنا فى "منافسة فى

(٣٠) William Bascom, African Dilemma Tales (The Hague: Mouton and Co., 1975). P. 358.

الأكاذيب" وفى "ملحمة مَويندو"). ويؤكد تشجيع هذا التكرار الاعتراضى جانبًا آخر لهذه النهاية المفتوحة: الانتباه لا يكون على الراوى وحده، ولكن على مكانة راوى القصة ذى المرتبة الأولى من بين الكثيرين، كما هو فى الأنواع الأخرى من الأداء. وترتبط النهاية المفتوحة والتكرار بصرامة فى عقول الجماعة بالاشتراك، وفى الواقع، بالنشاط التعاوني.

وتحافظ الأغانى الموضوعة فى القصص على مشاركة المستمع، وكما سبق الإشارة إليه بالفعل، تكون هناك غالبًا استخدامات منافسة للأغانى (كذلك الأحجيات واختبارات الفطنة)، مجدولة فى نسيج القصة. لكن هناك أيضًا طرقًا كثيرة يمكن لراوى القصة أن يستخدم من خلالها قصة الأغنية، ليحرك من خلالها الحكاية ببساطة. فى "الأختان المتمردتان"، على سبيل المثال، تتجلى القصة المحزنة للشقيقتين البعيدتين عن بعضهما فى قصة أغنية، هدهدة. فى "النمر يزدرى ذكر السلحفاة" يعاقب ذكر السلحفاة، البطيء، لكن الراسخ، النمر لرفضه توظيفه لحمل قيثارته إلى مزرعة النمر، حيث يغنى أغنية من القوة حتى إن كل شخص يتوقف عن العمل ويبدأ فى الرقص. فى "عاملنى بحرص، بحرص"، لا تحرك أغنية الطائر القصة عبرها فقط، لكنها تصبح طريقة الراوى فى كشف الشخصية السحرية للطائر.

فى "ترضية مربحة" يتم تصوير شخصية المحتال الداهومي[٣١]، باعتباره مغنيًا ساحرًا، شخصًا قادرًا على توظيف الأغنية كوسيلة للاحتيال على الآخرين. كل مرة يغنى فيها، فى هذه الأسطورة المدهشة، يستطيع

(٣١) الداهومى Dahomean: من شعب الداهومى Dahomey أو الفون Fon الذى يعيش فى بنين – المترجم

التفاوض على مقايضة غير منصفة للسلع، حتى فى النهاية فى مقايضة، حصل مقابل صدفة بحرية فقط على زوجة للملك. ولسوء الحظ يتضح أن الزوجة ساحرة نهمة، تستطيع أن تغنى للملك حتى يرسل وليمة بعد أخرى إلى داخل مخيمها ؛ ويحدث ذلك خلال مجاعة!

تقنية أخرى لدمج الأغنية فى القصة تتم باستخدامها كوسيلة تمييز، أو علامة مميزة، وهو ما يجعلها تظهر فى "ديمان وديمازانا"، أول قصة بالفعل فى الكتاب. وفيها يستخدم الأخ الهارب أغنية خاصة لتعيين هويته أينما رغب فى أن تفتح أخته بابها له. يبدأ عرض القصة بقدرة أخته على التمييز بين صوته وصوت المقتحم، آكل لحوم البشر.

من ناحية أخرى، فإن الوسيلة الأكثر شيوعًا لإضافة أغنية فى قصة، هى استخدام الأغنية كنوع من أداة تسليط الضوء، طريقة لتضخيم الكلام الأكثر أهمية للخصوم فى الدراما. ونجد هذه التقنية، على سبيل المثال، فى "الرجل الذكى والرجل الأبله"، حيث يستخدم الأخ "الأبله" أغنية كوسيلة ليكشف سبب تركه أخاه الأنانى، يختنق حتى الموت. ومما يشبه ذلك "يُجوع أباه"، عندما يكون الابن كبيرًا بما يكفى لأن يصطاد طريدة لكنه يرفض إعطاء أى منها لأبيه الذى يكاد يموت جوعًا (وكان الأب قد أهمل ابنه وأمه)، ويقدم تبريره لعدم فعل ذلك من خلال أغنية. وأهمية مشاركة المستمعين تأتى من أن هذه الأغانى والتقنيات المبتكرة الأخرى - بالإضافة إلى بنية قصة النهاية المفتوحة والجهد الشاق لمجتمع صغير فى المعارضات - لا يمكن تشويهها تحت ضغوط ما. حيث يعتبر ذلك فى الكثير من الثقافات الإفريقية لاهوتيًا بقدر ما هو أمر جمالي. ويُنظر للحياة باعتبارها روحًا

تخفق أو قوة، منفصلة عن أى فرد أو جماعة، عنصرا إلهيا للآلهة يحمل رسائلهم الأبدية، يهبط على الجماعة عندما يشاركون فى الأداء. والمعارضات المعبر عنها بالصوت والحركة فى ذلك الوقت تكون ببساطة عروضًا عابرة للنضالات الأبدية، لذلك يتم تقديم المعارضات باعتبارها تكاملات، قوى متعارضة لا يمكن أن توجد دون بعضها البعض.

ويصف جيمس فيرنانديز James Fernandez – الذى درس الحياة التعبيرية لفانج Fang الجابون– هذا المفهوم الأساسى عندما يلاحظ أن "ما يكون مبهجًا فنيًا بالنسبة للفانج تكون له قدرة على التطور، تنشأ عن علاقة معينة بين عناصر متناقضة. فقط يعيش الفانج بسهولة مع هذه التناقضات، ولا يمكنهم العيش من دونها". ويصل إلى القول بأن الابتهاج الجمالى (مثله مثل مرح الحياة اليومية) يحدث، حقًا فى جعل بعض هذه المعارضات الأساسية درامية، أى بوضعها فى تمثيلية. ويعود ذلك إلى "القدرة على التطور الناشئة عن المعارضات التكميلية.. ما هو مُرضٍ جماليًا يماثل ما هو مفعم بالحيوية ثقافيًا"[٣٢].

ومن ثم فإن القواعد الجمالية لدى الفانج تفرض جعل التعارض دراميًا دون محاولة حله. وترتبط بعض المعارضات الخاصة بتصورات حول الرجولة والأنوثة، خاصة تلك الواضحة فى العلاقات المتشابكة بين الساخن (مذكر)، والبارد (مؤنث)، النهار والشمس (مذكر)، والليل والقمر (مؤنث)، السماء (مذكر)، الأرض (مؤنث)، العظام والأوتار العضلية، والأمخاخ

(٣٢) "Principles of Opposition and Vitality of Fang Esthetcs", in Art and Aesthetics in Primitive Societies, ed. Carol Jopling (New York: E. P. Dutton Co., 1971), p. 358.

(مذكر)، اللحم، والدم، والأعضاء الداخلية (مؤنث)، ...إلخ. بذلك ينشأ عالم دلالة حيث المادة الأساسية للحياة متاحة مرارًا وتكرارًا، كوسيلة لتقديم "القدرة على تطوير المعارضة".

ويوضح الفانج تمامًا وجهة نظرى حول أنه فى إفريقيا السوداء تعبر الجماعة عن الشعور بالجماعية بطاقات تعاونية فى الأداء، وهو مشروع إبداعى يجسد المعارضات الثنائية فى شكل تراثى معقد فى تكامله، محولة هذه المعارضات إلى تكاملات. ويتم الوصول إلى بؤرة الجماعة من خلال ممارسة مشاركة الجماعة أو التشابك معها، المؤدى والمستمع لا يمكن الفصل بينهما كما هو الأمر فى العروض المسرحية، على سبيل المثال. وسوف يتم تقدير العرض النابض بالحياة للجماعة من قِبل أى جماعة، لكن بشكل خاص من قِبل أولئك الذين يعتقدون، شأن الكثيرين فى إفريقيا، أن الحياة مستودع للروح الحيوية، ويعتقدون أن عرض هذه الروح أساس استمرارية حياة الجماعة.

فى مثل هذه المنظومة من العرض والاحتفال، فإن الفرد الذى يفصل نفسه عن الجماعة، يفعل القليل جدًا لعرض مواهبه الفردية، أقل مما يفعله لإثارة معارضة نشطة. يُعقد الفرد والجماعة نسيج الأداء بتقديم أصوات متشابكة (سيان كانت فى رواية القصة، أو قرع الطبول، أو الغناء، أو الرقص، أو إلقاء الخطب الفخمة). وكلما ازداد التشابك، أصبح تعقد الحدث بكامله أكثر إثارة، بالطبع، وكانت مشاعر الجماعة أكثر نشاطًا فى شق طريقها من خلاله. بذلك هناك قيمة عالية قائمة على ما يسميه روبرت فاريس تومسون Robert Farris Thompson "التمثيل الجانبي"، "كل [مؤد]..

يهدف إلى إنتاج مساهمته الخاصة فى مجمل الوزن الشعرى المتعدد". وفى هذا البعد الموزون للأداء، تدفق المشاعر خلال الجماعة، يتم استدعاء هذه الأداءات "الجانبية" بشكل أكثر وضوحًا[٣٣]، ونراها فى أقوى تأثير لها فى العروض التى تتطلب نوعًا خاصًا من مهارة الأداء، ويتم الحكم على المؤدى العظيم ليس فقط بقدرته على التحكم فى الوسيط الذى يتعامل معه، ولكن أيضًا بقدرته على جذب مشاركة المؤدين الآخرين والمستمعين. ومن خلال الاضطراب يستحضر المعلِّم النظام، ويعلِّم القيم، وأيضًا يثير ويبعث، وهو يؤدى الإيقاعات المتنافسة، التى تنقل فى النهاية رسالة الجماعة والمنفعة والمحفزات التعاونية[٣٤].

يُحدث حوار "استجابة المغني" شعورًا بالدعم المتبادل بين المؤدى الفرد وبقية الجماعة. والتكاملية هى مفتاح تنظيم العشوائية، وتصبح قيمتها واضحة فى تلك الجماعات الإفريقية التى تناقش الأداءات فيما يخص أهمية السلوك "البارد" _ "مثل أعلى قديم لأهل البلد: الصبر وجماعية العقل"[٣٥]. وكما يمكن توقعه، من مثل هذا المنظور يتم إدراك كل من الضوضاء والتعقد باعتبارهما سلوكًا "حارًا"، كما هو الأمر بالنسبة للسلوك المتهور من جانب المؤدين أو الشخصيات التى يقومون بتمثيلها أو وصفها. لكن كل ذلك يناسب نمط التكاملية. سوف يجذب المعلِّم المغني، أو الراقص، أو ضارب الطبل، اهتمام

---

(٣٣) جاء ذلك وغيره من المصطلحات والمفاهيم عن جماليات إفريقيا السوداء من قراءاتى لكتاب تومبسون، وأيضًا كتاب لوماكس، "Cantometrics". والمقتطف مأخوذ من كتاب تومبسون "An Aesthetic of the Cool: West African Dance", in African Forum II (1972): 87.

(٣٤) Robert Farris Thompson, "An Introduction to Trans Atlantic Black Art History: Remarks in Anticipation of a Coming Golden Age of Afro _ America", in Discovering Afro _ America, ed. Roger D. Abrahams and John F. Szwed (Leyden: E. J. Brill, 1975), pp. 64, 67.

(٣٥) Thompson, Aesthetic.

كل شخص ويحوّل كل الأصوات المتنافسة إلى استجابة لمبادرته أو مبادرتها القوية. أو للتعبير عن ذلك بالمصطلحات الجمالية لغرب إفريقيا، سوف يقدم، من خلال فرض ذوق بارد واندفاع وحماس في التعبير، توازنا رفيع المستوى للبيئة الحارة بالاعتماد على العنصر الحار في الأداء نفسه.

(٤)

لرواية القصة علاقة بتقاليد الأداء الإفريقية الأخرى القائمة على قواعد التناقض، والتمثيل الجانبي، والتجاوب والتشابك والتداخل، بقدر المشاركة في ما هو جمالي. ولكن من الجوانب المهمة، يختلف قص الحكايات عن كل ما عداه، حيث وسطه الأساسي هو الكلمة. ومن المفيد أن نفهم، ليس فقط، كيفية دخول القصص إلى حياة القرية، ولكن ما الذي تشترك فيه تقاليد حكاية القصص هذه، رغم الأسلوب الإفريقي المميز، مع الثقافات الأخرى؟

الثقافة "التراثية" أو "الشفاهية"، تشير إلى المشاركة في مجموعة تعبيرية من المعارف والقيم. تنتقل مثل هذه الأجزاء التراثية من المعرفة من جانبها الأساسي بالملاحظة، والتجربة المشتركة، والانتقال المباشر للاتصال اللفظي. وإلى حد ما، ستقوم أي مجموعة بتعريف نفسها بأشكال الأداء التراثية والعناصر التي تتقاسمها مع الآخرين. وفي هذه الحالة عندما أقول إن القرية الإفريقية حافظت على توجه شفهي بشكل حاسم، أعني أن سبب ذلك، نظريًا، أن كل شخص يعرف كل القصص، وقد يُعتمد عليها بالتلميح في أي نوع من التفاعل. في العالم الغربي، عندما نصف سلوك شخص بأنه "مجرد عنب حامض"[٣٦] أو نقول بأن شخصًا ما "يُعتبر كلبًا في مزود"[٣٧]، "يقوم

---

(٣٦) مجرد عنب حامض ترجمة حرفية لـ just sour grapes أو تعني عنب حصرم، أو بالعامية اللي ما يطول العنقود يقول حامض، وهو تعبير عن الغيرة - المترجم

(٣٧) ترجمة حرفية لـ beinga dog in a manger، وهي عبارة تعني إخفاء شيء حتى لا يستعمله غيرك، أي أنانية، أو لا يسمح لغيره بالاستفادة بما لا يستفيد منه - المترجم

بدور السامرى الصالح"[٣٨]، أو "ذئب باك"[٣٩]، قد نعرف، أو لا نعـــرف، أن هناك حكاية خرافية قديمة أو حكاية رمزية ذات مغزى أخلاقى موجودة خلف العبارة. وإذا كنا نعرف، ربما نكون قد حصلنا على هذه المعلومات، عنــدما قابلنا ذلك العمل الذى جاءت منه هذه العبارة. ورغم ذلك، فـــإن اســتخدامنا التلميح يشبه ذلك الموجود فى الثقافة الشفاهية، لأننا سواء كنا نعــرف أو لا نعرف القصة بالتفصيل، قد نظل نشعر بحضورها خلف القول المأثور.

وبالمثل، فإن عبارتين مثل "استعمل طُعم السمك أو اتركه fish or cut bait"[٤٠] أو "واقع فى خيارات غير سارة دون وجود فرص كافية للنفاذ منها caught between a rock and a hard place"[٤١] تُعد عبارتين بـــسيطتين يمكـــن إدراكهما فى حد ذاتهما، وهو ما يتضمن أن هناك قصة، حتى لو لـــم تكـــن موجودة. ولكن من الواضح أن هذه التعبيرات تدخل إلى حياتنا بصورة أقـــل تكرارًا بكثير من التعبيرات المتلازمة فى الثقافات ذات التوجـــه الـــشفاهي، وتعطى قوة أقل إلى حد بعيد لمن يستخدمونها باعتبارهـــا أفكـــارًا مبتذلـــة وباعتبار مستخدميها "مبتذلين".

وليس هذا أمر ضوابط الأقوال المأثورة وأدوات التعليم الأخرى فـــى الثقافات التقليدية، لأن احترامها وتمجيدها ينسجمان مع أولئك الـــذين لـــديهم

---

(٣٨) ترجمة حرفية لـــ playing sour grapes، وهى عبارة تعنى الشخص الطيـــب الـــذى يحـــب مساعدة الناس فى مشاكلهم وكلمة السامرى مأخوذة من الإنجيل، وهى موجودة ايـــضًا فـــى القرآن _ المترجم

(٣٩) ترجمة حرفية لـــ crying wolf، ومعناها يطلق نداءات لاستغاثات كاذبة – المترجم

(٤٠) ومعناه إما أن تصطاد أو تقطع الطعم، أى لا تتوان، يجب أن تسرع فى اتخاذ قرار – المترجم

(٤١) معناه تختار بين شرين، تختار بين شيئين: كلاهما مر – المترجم

تقنيات لنقل الحكمة والمعارف. وتظهر هذه القوة بشكل أكثـر اكتمالًـا فـى القدرة على أن يكون الشخص فصيحًا ومنافسًا للآخرين فى ضبط "الكلمـات القديمة". ويحمى هذا الالتزام بالتراث فى الأداء ثراء الدلالة الثقافية التى تتم من خلالها المحافظة على الشعور باستمرارية الحياة حتى فى وسط المحنة. وتصمد "الكلمة" باعتبارها طريقة للمحافظة على النظام، وتحافظ على وعدها بالإيحاء والتنوير. وأصبح وصف ظاهرة الشفهى السمعى oral _aural هـذه مثيرًا للجدل بسبب الهالة التى وُجدت حول الشعوب التقليدية عـن طريـق المعلقين الثقافيين على تنوعهم مثل مارشال مكلوهـان Marshal McLuhan، وكارلوس كاسـتانيدا Carlos Castaneda، ونورمـان أ. بـراون Norman O. Brown، وألفين توفلر Alvin Toffler، وإيفان إليتش Ivan Illich[٤٢].

لو أننا للتوضيح أزلنا الأعراف الثقافية الغربية هذه، يمكننا الحـصول على بعض الملاحظات الثمينة حول الثقافات الشفاهية، فى سياقها الخـاص. على سبيل المثال، هناك أحد الاعتبارات، حيث تخلق التلاوة الشفاهية حبكًـا

(٤٢) ماهية هذه النبّات الحسنة المهنية والباحثين عن المشروع فى مجمله المنطلق من الواقع، هى قدرة الكلمات الطقسية على مساعدتنا على استعادة التجارب الأولى؛ نوع من "العودة الخلاقة" يؤثر على الأفراد وعلى المجتمع بشكل عام. ويبدو الأمر كله كما لو أنهم يعلنـون بـشكل رسمى وجهة النظر الإنسانية، حول أن الصغير جميل، وهو ما يرفع المجتمـع الزراعـي، والرعوي، بل حتى أحيانًا مجمتع الصيد وجمع الثمار، إلى مكانة محترمة بسبب بـساطتهم وواقعيتهم النسبية! وسوف أتحاشى التعليق على وجهة النظر هـذه العائـدة إلـى روسـو واليوطوبية، إلا بواسطة التضمين، وبصعوبة يمكن أن تتوافـق حيـاة هـؤلاء القـرويين "البسيطة" الذين ابتكروا هذه القصص وحافظوا عليها ، مع وجهـة النظـر الخاليـة مـن المشاغل، لأى شخص حول أى شيء.

واعدًا بين كل العناصر المتنوعة للحياة، أى فى النظام السحرى الذى يحكم تسمية الأشياء. هذا الغموض الأساسي، الذى ابتكرته الآلهة عند اختراع اللغة، يعتبر فى مركز الحياة، ليس فقط الحياة الاجتماعية، لكن جذور الحياة. وكما يبين حكيم دوجون Dogon، أوجوتوميلى Ogotomelli: الماء والكلمات أتيا معًا فى ميلاد العالم، وضع نامو Nummo المحرك الأول ألياف الماء والكلمات على الأعضاء التناسلية الخارجية لأمه، بذلك "كسى" العالم بإعطائه أول طريقة له للكلام، لغة بسيطة لكنها جميلة. الكلام فى حد ذاته مفيد، حيث إن وظيفته كانت تقديم النظام والانسجام.

ورغم ذلك أطلق الفوضى من البداية. كان ذلك لأن ابن آوى، الابن الضال والغشاش للرب، الذى رغب فى تملك الكلام، ووضع يده على الألياف التى كانت تتجسد فيها اللغة، أى على تنورة أمه. وقاومت أمه، الأرض، هذا الفعل المتعلق بسفاح القربى.. [ولكن] فى النهاية كان عليها أن تعترف بالهزيمة. الأداء التمثيلي.. يمنح ابن آوى فيما بعد، موهبة الكلام دائمًا بحيث يمكنه أن يُظهر... أهداف الرب(٤٣).

بذلك فإن الكلام، منذ البداية، هو قوة كل من النظام والفوضى: وسيلة يتم من خلالها التعبير عن القوة وإظهار التعظيم، وطريقة، من خلال اللعنات، والتعويذات، والأكاذيب، والمجادلات، لإحداث النزاعات، والسحر والموت. أن تكون إنسانًا هو أن تتحكم فى الكلمات، وأن تتبع البلاغة. أن تحكى قصصًا هو أن تدخل فى التجديد المستمر للعالم، والجماعة، والجنس

---

(٤٣) Marcel Griaule. Conversations with Ogotomelli (Oxford: Oxford University Press. 1965): p. 21.

البشري. لكن كما تحذرنا ازدواجية ابن آوى، قد ينحصر الحكى فى الغشاشين، وبالفعل، من بين الكثير من الأشخاص الأفارقة، وبسبب أن القصص أكاذيب، من يتم اعتبارهم "ينتمون" إلى مثل أولئك المخادعين. وحيث إن الجماعة لا يمكنها منع ابتكار الحكايات، فإن اهتمامها ينتقل إلى المحافظة – أو محاولة المحافظة – على توجيهها، كما هو حال حكايات الجمجمة التى تتكلم والرجل المسن، الذى لا يجب عليه أن يأكل الكلب.

وليست الصفة المزدوجة للكلمات أكثر وضوحًا فى أى مكان منها فى الحكاية واسعة الانتشار، حول كيفية مجيء رسالة الموت إلى الناس فى شكل مشوه. وعمومًا، إنه "القمر" الذى حاول إرسال كلمة إلى الناس بأنه حتى فى الموت الظاهري، سوف تتم المحافظة على الحياة: "حيث إننى أموت ويعيش الموت، فإنك أيضًا سوف تموت ويعيش الموت". لكن المخادع يقنع القمر بأن يدعه يحمل الكلمة بدلاً من ذلك، ويقول للناس، "مثلما أموت، ويهلك الموت، كذلك ستموت، وتصل إلى نهاية". لأجل ذلك، يشق القمر شفة "أرنب" المخادع، لكن الرسالة تظل مشوهة(٤٤).

يحكى إكوى من نيجيريا حكاية مستفيضة، حيث "يملك" المخادع بالفعل كل القصص ويطلقها على العالم. فى الأصل، كانت "الفأرة"، على ما يبدو، هى مخترعة ومالكة كل القصص، حيث إن الفأرة هى الزائرة، شاهدة كل شيء فى البيوت البشرية، تنظر إلى كل شئون الإنسان سواء كان غنيًا أو فقيرًا. وتصبح الحكايات أطفالها، وتنسج "قصة طفل" لكل حكاية، وتهب

(٤٤) Cf. Sammi Metelerkamp, Outa Karel's Stories (London: Macmillan & Co., 1914), pp. 70 _ 77.

لكل قصة طفل ثوبًا فضفاضًا مختلف اللون، حتى يمكنها تمييزهم عن بعضهم البعض. كانوا لها ولها وحدها، لأن جعل رؤيتهم ممكنة، كان معناه كشف أفعال البشر أمام بعضهم البعض، ونحن نعرف جميعًا إلى أى حالة تؤدى هذه المعلومات.

ولسوء الحظ، فإن الحماية التى افترضت ملكية للقصص المتوافرة، كانت قائمة على الاعتقاد بأن الصداقة والتعاون يسودان فى القرية. كانت النعجة وأنثى الفهد صديقتين بشكل خاص، ولدى كل منهما طفل. ومن سوء الحظ حدثت مجاعة على الأرض، وكانتا مضطرتين لعقد اتفاق لقتل طفليهما لتتغذى كل منهما لاجتياز هذه المجاعة. ومع ذلك، دبرت النعجة خدعة ونظمت الأشياء حتى أبقت على طفلها. وفى الحقيقة، وبفضل ذكائها، استطاعت أن تفعل ذلك سنة وراء سنة، وكانت تجد دائمًا غذاء بديلًا لوضعه أمام أنثى الفهد. وطبعاً أخيرًا تكتشف أنثى الفهد خيانة النعجة، التى كان عليها أن تهرب من القرية. وخلال هروبها تقابل الكثير من الناس، الذين كان فى قدرتها أيضًا خداعهم. ولكن فى نهاية الأمر، لحق بها قطاع الطرق، وأصبحت محصورة فى بيت امرأة من منطقة أخرى. وفى نوع من الهوس، اقتربت إلى حد كبير من سكن الفأرة وسقطت على الباب، وعندئذ فر أطفال الفأرة فى العالم(٤٥).

فى كل إفريقيا هناك قصص "تنتمى إلى" حيوانات مثل الفأرة، بعض الكائنات الحية التى تتطفل على المجتمع البشري، لكنها تواصل الحياة فى

---

(٤٥) Cf. Susan Feldman, African Myths and Tales (New York: Dell Publishing Co., 1963), pp. 170 _ 73.

حالة برية. إنها الأرنب البرى والعنكبوت وابن آوى والكثير غيرها من الكائنات الحية الصغيرة والذكية التى تعيش بالقرب من الإنسان فى زوايا وفجوات داخل الغرف وفى شقوق الجدران وعلى جوانب الطرق، هى الحاملة لهذه الحكايات. وبحياتها فى الأماكن المتوسطة، فإنها تشارك فى كل من قوة الطبيعة ومنتجات الثقافة، لكنها لا تخضع لأى من سلطة الإنسان أو قوانين الطبيعة. بذلك، فإن هذه الحيوانات تنمو بقوة ليس فقط بالانقلاب على القوانين والحدود، لكنها أيضًا تهاجم العائلة، والصداقة، وكل الطرق التى تعلمها الناس للحياة فى انسجام. والقصص فى الجزء الرابع من هذا الكتاب حول أعمال هذه الكائنات الحية، وهى تميز بشكل خاص الحكايات الإفريقية. ولفهمها يجب أن نتذكر أن الحوافز الفوضوية على غير المعهود التى توجه هؤلاء المخادعين، هى تلك التى تثير عواصف من الضحك عندما يتم تقديمها فى عروض تمثيلية.

المخادع هو الشخص الذى يصور على أكمل وجه كيفية عدم العمل فى جتمع. لكن بينما تعلق أنشطته بشكل ضمنى على السلوك السيئ والقيام به ى شكل خيالي، فإن الثرثرة تعلق بشكل أكثر صراحة وتقوم على قصص بُفترض أنها حقيقية. وفى بيئة القرية، تكون هناك حاجة للثرثرة، لكى تتيح نكل شخص، نوعًا من الخريطة الاجتماعية للمنطقة. ويضاف إلى ذلك، أنها وسيلة للناس – مهمة فى مثل هذه المجتمعات الصغيرة – لمراقبة أعمال كل منهم الآخر، كجزء من نظام الحماية الذاتية. ومع ذلك، وفى الوقت نفسه، قد تصبح الثرثرة بالغة الخطورة، لأنها تحكم على الشخص، وتؤدى إلى وجود مرجعيات شخصية، مما قد يسبب بسهولة إزعاجًا وسوء فهم. لذلك، فإن

أنواع القصص الأكثر ابتعادًا عمًا هو شخصى تفترض أهمية كبيرة لتلطيف النزاع المحتمل، لأنها تعلق على السلوك البشرى فى ما هو أقــل ارتباطــًا بالأشخاص، أى السلوك الأكثر عمومية.

ومن ثم فإن الحكايات فى العالم الشفهى هى طــرق لــــ "الالتفــاف" باستخدام الكلام، لأغراض إجراء مناقشات شخصية غيــر مباشــرة حــول مواقف محظورة اجتماعيًا. إنها أكثر قوة لعدم مباشرتها هذه. فهــى تجــادل بالمقارنة المبنية على التشابه الجزئي، ليس فقط حول ما يجب على النــاس فعله، أو عدم فعله لكى يصبحوا أعضاء مفيدين للمجتمع، والجماعة والأسرة، ولكن أيضًا حول كيفية جعل هذه الأفعال ذات معنى وقوة لمن هم جميعًا فى هذه الجماعة. تجمع هذه المقاربة غير المباشرة بين الحب الإفريقى للأقــوال المأثورة والقصص _ وكلا الشكلين، رغم أنهما مختصران، يلتفــان حــول المشاكل. كلاهما يقترح أسلوب النهاية المفتوحة، حول كيف يجب على الناس أن يسلكوا فى مواقف معينة. وكل من هذه الاقتراحات يشارك فى الطبيعــة الجدلية للكلام، وكل قول مأثور أو قصة لا يكون هو نفسه مفتوحًا للمناقشة، لكن قد يتم، فى أى وقت، مواجهته بقول مأثور آخر أو قــصة أخــرى ذات رسالة مضادة.

ولأن الأقوال المأثورة والقصص وسائل غير شخصية وغير مباشــرة للمشاركة فى المناقشات العميقة، فإن استخدامها يعتبر أساليب جيدة. عنــدما يقول الأمريكيون، "أنت تعرف ما يقولون"، قبل استخدام قول مــأثور قــديم، فإننا نستخدم النوع نفسه من الدلالة، حيث إن الضمير فى "يقولون" يعود إلى الأسلاف، حكماء الماضى الذين تجسدت تجاربهم المتراكمــة فــى أقــوالهم

المهمة. إذا كنا لم نعد نستخدم هذه الأقوال المأثورة، لا يعود الأمر فقط إلى أننا فى الوقت الحالى لا ننتظر من أسلافنا أن يحلوا مشاكلنا. والأكثر ارتباطًا بالموضوع هو حقيقة أنه، بالنسبة لغالبيتنا، لم نعد نعيش فى هذا النوع من المجتمعات المغلقة، حيث يجب دائمًا أن تكون سلوكياتنا معقولة. ويضاف إلى ذلك، أننا أصبحنا نعتز بالصداقات أكثر من العلاقات العائلية، ومع الأصدقاء نرغب أكثر فى التعبير عن أنفسنا وعن مشاعرنا، نحن نفضل الآن التقارب الأكثر مباشرة بين بعضنا البعض. بين الناس التقليديين، يتم الاحتياط فى المشاعر رغم الاحتفاظ بالحميمية. وطرح الأسئلة المباشرة، خاصة من النوع الشخصي، من المرجح أن يُساء فهمه، لأن ذلك الذى لا يكون واضحًا على الفور يبدو مستترًا. ويتم الاعتزاز بالتكتم إلى حد كبير، ليس فقط باعتبار ذلك طريقة للحيلولة دون تطور الكلام، لكن أيضًا كطريقة للمحافظة على القوة الأساسية للكلمات. وكما تذكّرنا "الجمجمة المتكلمة"، يمكن فى الغالب أن يؤدى الكلام الذى لم يتم التفكير فيه مليًا إلى مأزق، بل قد يهدر حتى قدرة الجماعة على العيش. وتقدم حكمة للماندنجو، وهى تعلق على هذا الموقف وعلى أهمية الاقتصاد فى الأقوال المأثورة، هذا الأمر بالطريقة التالية: "يساهم الشخص فى قوة الفتَش[٤٦] بأن يتركه فى الجراب". ويتم تعزيز القوى العلاجية للفتش بتخبئته، وعند ذلك أيضًا، بالكلمات وقوتها.

ومن المثير للاهتمام، أن مثل هذه القوة المحجوبة قد يصاحبها أيضًا حكى القصص، حيث إن القصص يتم حكيها غالبًا فى الليل، الوقت السرى

---

(٤٦) الفتَش fetich: شيء كانت الشعوب البدائية تعتبر أن له قدرة سحرية على حماية صاحبه ومساعدته – المترجم

المتسم بالحذر. ولدى شعوب ماندنجو فئة من الكلمات ذات قوة خاصة، كيما kuma، ويتم النطق بها فقط فى الليل خلال حكـى الخرافـات، والأسـاطير والحكايات. وهى تجسيد للمعارف المموهة، تتيح للأفراد فى الجماعة الكشف عن مشاعرهم استنادًا إلى المواربة، دون المخاطرة بتبديد الروح الحيوية(٤٧).

وذكر الكيما هو بداية لإدراك، ليس فقط العلاقـة بـين قـوة الكلمـة والخرافة، ولكن لفهم القوة المتضمنة فى النظام التعبيرى للثقافة. وهنا، فـإن التسجيل الإفريقى يعتبر غنيًا بشكل خاص. ولقد أشار الكثير من المحققـين إلى نظم محلية للتحليل النقدى للنص، أى تحليل واضح ودقيق لأنواع الكلام المتاحة فى مجتمع التكلم. وهذا ما يوثقه جريوال Griaule، فى الواقع، فـى كتابه "أحاديث مع أوجوتوميلي" Conversations with Ogotmelli، الذى أشـرنا إليه سابقًا. ورغم أن هذا الكتاب فريد من نوعه، من حيث عمـق وكثافـة تقاريره عن فيلسوف عشائرى وحيد، فإن عددًا من الأعمال الأخرى فى هذا المجال استكشفت مثل هذه النظم المحلية بشكل أكثر عمومية، خاصة ما يدور حول أنواع الحكايات.

ضمن هذه النظم، ليس هناك ما هو أكثر تعقيدًا وأكثر جاذبية من ذلك الذى روى عنه ديردر لا بين Deirdre LaPin من يورابا Yoruba. هذه الجماعة الكبيرة والمهمة ثقافيًا هى حاليًا أمة داخل أمة، مع "مستوطنات" مهمـة فـى هايتي، والبرازيل، وكوبا وترينداد. وباعتبارها مجتمع مدينة قديمًا، فإن لديها أكثر الثقافات التعبيرية اكتمالاً فى التوثيق فى العالم القديم. إنها حالة احتفالية

(٤٧) حكايات Camara.

حقيقية، فهى تحتفل باستمرار برؤيتها الحياة من خلال مجموعة مبتكرة من أشكال ووقائع الأداء. فى ثقافة يوروبا، تتم التمييزات بين عدد من الأنواع المختلفة من حكى القصة: إتان itan، وهى قصة صريحة ومباشرة، وألو alo، وهى قصص تحكى بكلمات غير مباشرة، زاخرة بالمقارنة والاستعارة، وأووى owe ، وهى قصص تحكى لتوضيح قوة القول المأثور، وأرو aro، وهى حكايات ذات صيغ (مثل "المنزل الذى بناه جاك")، أو إحدى التقنيات الأخرى الكثيرة محكمة البناء. لكن لا يوجد من بين هذه التسميات ما يتم استخدامه، لكى يشير إلى القصص وحدها. قد يشير أرو إلى أى من الأشكال الشعرية محكمة البناء، وأووى للأقوال المأثورة، بالإضافة إلى القصص التى توضحها، وألو إلى أغنية تلمح إلى قصة. وإتان هى أيضًا كلمة تشير إلى إعادة سرد أى حادث وقع فى الماضى ويتم أداؤه دون غناء، مثل وفاة الرجال العظام، وقصص العائلات والسلالات، والمعارك، وحتى النوادر الشخصية. ويتم أداء كل قصة لنوع مختلف من المشاهدين. وعلى الرغم من ذلك، فمن المفترض أن القصة نفسها التى تؤدى على هيئة إتان، قد تظهر باعتبارها ألو، أو أرو. وإضافة إلى ذلك، يمكن التلميح إليها على هيئة أحجية أو قول مأثور، فى شكل إجالا ijala، (قصيدة مدح صياد لرب أوريشا orisha)، أو فى شكل أودى إفا odu Ifa، أو عرافة الصدفة البحرية الاستوائية، كما تتم قراءة حظ الناس(٤٨).

---

(٤٨) هذه المعلومات من Deirdre LaPin. Story, Medium and Masque: the Idea and Art of Yoruba Storytelling (Ann Arbor.: University Micro _ films International, 1977).

٥

ولقد قدمت مصطلحات يورابا بالتفصيل هنا، ليس فقط لتوضيح أحد نظم التصنيف، ولكن أيضًا لأن هذا تراث معقد بشكل خاص. ومع ذلك، تختلف ثقافة اليورابا عن الكثير من الثقافات الأخرى التى تعيش فيها هذه القصص لأنهم ليسوا فقط شعب قرية، لكنهم أسسوا أيضًا مراكز متحضرة ضخمة. وحتى فى بيئة المدينة، فإنهم يحافظون على مجموعتهم من التراث الشفهي، بما فى ذلك الأنواع المختلفة من حكى القصة.

وينقلنا ذلك إلى السؤال بالغ الأهمية، حول ما يحدث للأداء التعبيرى عندما يصبح الإفريقيون متحضرين و"عصريين"؟ السجل المكتوب غير حاسم، لكنه واعد إلى حد كبير. لا تختفى رواية القصص (وتقاليد الأداء بشكل عام) بوضوح تحت تأثير مثل هذه الأحوال، لكنها تغيرت، وتحولت إلى الترفيه فى أمسية، بعيدًا عن العمل والمسكن.

لا تزال الكثير من القصص تُحكى، على ما يبدو، ولكن يتم أداؤها الآن بواسطة محترفين أو استعراضيين شبه محترفين، وفى أحوال لا يعرف خلالها المؤدون أعضاء المشاهدين بنفس الطريقة الحميمية. وبذلك فإن الأداءات المحلية المستخدمة فى سياق القرية، والتى يتم فهمها على الفور من قبل الجميع، أصبحت مفقودة. وبالمثل، لم تعد تتم محاكاة الأسلوب الخاص بشخص ما، وتحل محله شخصية مختزنة، مجرد "نوع" عمومي، طباعها يتم التعرف عليها على الفور ("الموظف الحكومي"، "الكاهن" ..إلخ). وحدثت أكبر التغيرات فى التقنيات التى يستخدمها الأداء للتأكيد على المهارة

والمحافظة عليها. حيث في هذه السياقات المتحضرة، على المؤدى فقط أن يمتلك أعلى صوت وأوسع قدرات المحاكاة، وعليه أيضًا أن يكون قادرًا على إبهار المشاهد بسيطرته على اللغة. ويؤدى ذلك إلى ظهور ما يطلق عليه دونالد كوسنتينو Donald Cosentino "أسلوب السرد الباروكي"(٤٩) _ وهو أسلوب يجمل الإسهاب والزخرفة فى مركز فن حكى القصص. ويثبت الراوى أهليته لجذب الانتباه بالمط فى القصص إلى طول أكبر لم تشهده من قبل، بأن يقدم مرارًا وتكرارًا تفاصيل أكثر إسهابًا، وبأن يستخدم بشكل متزايد المزيد من المصاحبات الموسيقية المعقدة.

ورغم أن كوسنتينو – ودان بين أموس Dan Ben - Amos(٥٠) – يصف تطورًا حديثًا، هناك بعض الشك فى أن عملية جعل رواية القصص احترافية كانت تحدث منذ بعض الوقت، حيثما كانت تظهر الأسواق الكبيرة فى المدن.

لنأخذ، على سبيل المثال، حالة مغنى المديح أو الموسيقار الجوال griot فى منطقة سينيجامب Senegamb، مقارنة بالماروكى maroki (الشحاذين). كلاهما معروف بقدراته على أداء أغانى المديح وعلى اللعن، على تضمين ذلك فى القصص، وعلى أدائها بشكل خلاب. ومع ذلك، ولهذا السبب، كانوا منبوذين، يوصفون بأنهم أشخاص الشارع وساحة السوق،

---

(٤٩) Donald Cosentino, African Arts 13, no. 3 (May 1980): 54 _ 57.

(٥٠) Ben-Amos's monograph, Sweet Words: Storytelling Events in Bini (Philadelphia: ISHI, 1975)

وفيه نجد هذا التغير فى القواعد والأساليب ما بين سياقات القرية والمدينة.

مستخدمين فنهم كطريقة لتدبير أمورهم. كان هؤلاء، فى واقع الأمر، النقابيين القدامى[٥١] والشعراء المتجولين (التروبادوريين)[٥٢] الإفريقيين، لذلك أسسوا عملية ثقافية شهدتها أماكن أخرى كثيرة فى العالم كله، جعل الأداء والمؤدين، عملية احترافية، وإيجاد مسافة بين المؤدى والجمهور.

لكن بينما تطغى الأداءات فى ساحة السوق، والغناء والرقص والعزف الموسيقى على الآلات، فإن رواية القصص، فى أغلبها، تنحط ببطء، ولكن بصورة لا مهرب منها. ربما تكون على شكل شخصى إلى حد كبير، بحيث لا يمكنها المحافظة على نفسها وقتًا طويلا، بعيدًا عن المنطقة المحيطة بالنار وعن المنطقة العائلة المغلقة. ومع ذلك، فإن ذبولها يستغرق وقتًا طويلاً. ومع ظهور مدن أكبر، تتغير صفات ساحة السوق، وتتسع، وتصبح أكثر تخصصًا، ومن ثم أكثر تهديدًا لقطاع كبير من الجماهير. عند ذلك يبدو أن راوى القصص يجد طريقه إلى صالات الشراب وحتى المسرح، حيث يؤدى كنوع من المؤدين فى الحفلات الموسيقية المعاصرة. وغالبًا تتضمن هذه العروض الترفيهية العامة الموجودة فى الكثير من المناطق المتحضرة، شخوصًا ذوى لغات وثقافات مختلفة جاءوا معًا، متوقعين أن كل شخص سيفهم كل شيء. ومن الطبيعى أن أسلوب الأداء، بل حتى مجموعة القصص التى يمكن روايتها، سوف تتغير من أجل هذه المناسبات، ويصبح التأكيد على

(٥١) النقابيون القدامى Meistersingers: أعضاء النقابات فى القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر فى مدن ألمانيا الرئيسية كانوا يهدفون إلى تأسيس قواعد تنافسية فى نظم وأداء الموسيقى والشعر - المترجم

(٥٢) التروبادوريون troubadours: الشعراء الغنائيون فى منطقة البروفانس فى جنوب فرنسا فى القرنين الثانى والثالث عشر، أو الشعراء الغنائيين المتجولين – المترجم

الأداء الفردى، أشد من أى وقت مضى. ولا شك أن الطريقة الجديدة الشائعة لرواية القصص سوف تظهر متفرعة من هذا الوضع، بنفس طريقة ظهور موسيقى "حياة الترف" وأساليب الرقص الجديدة العابرة لإفريقيا. لكن هذه التطورات بعيدة عن أن تكون منقولة عن نوع الأعمال الفنية القروية، التى حافظت على القصص الموجودة فى هذا الكتاب، متوقدة كل هذا الزمن الطويل.

يوحى تاريخ الحيوية الجمالية الإفريقية فقط بأحد التطورات الذى يمكن التنبؤ بها بصورة مريحة؛ الأساليب الجديدة والأنواع الجديدة سوف تتطور باستمرار عن القديمة. سوف نحصل على أبطال جدد، بل حتى أرباب جدد باستخدام وسائل الطاقة الحديثة للأداء، لكن علاقتها بالأرباب القدامى والطرق القديمة ستظل عميقة، وبالنسبة للمخادع سيظل موجودًا على تقاطع الطرق وفى الأماكن المنعزلة والشقوق، وسيكون دائمًا معنا. ليس معنى ذلك أنه سيستمر على هيئة أرنب، أو عنكبوت أو ضبع أو أرنب بري، فهو يغير شكله ليناسب الموقف. والنبض الجمالى الذى يسرى فى الفن الإفريقى سيحافظ، بهذه الطريقة، على علاقته بالروح الحيوية، وبالحياة نفسها. وما دام استمر الفن والحياة وحدة واحدة، فسوف يظل الجمال والبقاء أخوين.

ومن ثم، فإنه بالنسبة للقصص، فلدى أمل أننى فى هذه المجموعة قد نجحت فى الحصول على مزيج بين الرؤية التراثية والقدرة على العيش القابلة للتكيف، وهو ما تتسم به الروح السردية لإفريقيا. وبالنسبة لإنسانيتها الأساسية والتمثيلية، فإن هذه القصص سوف تتحدث بنفسها، حتى لو "التفت" حول الموضوع.

الجزء الأول

حكايات العجائب
من المحيط العظيم للقصة

تقديم

لعل التأكيد على التقديم للسمات الفريدة لأداء إفريقيا السوداء قد أحدث انطباعًا بأن شبه القارة له هوية ثقافية مع بعض الارتباطات بالمناطق الأخرى فى العالم القديم. لكن كما سوف تبرهن كل القصص فى هذا الكتاب، فإن الأمر بعيد عن ذلك تمامًا. فى مناطق كثيرة تكون الارتباطات من النوع المباشر: لقد تأثرت الثقافات المحلية بشدة، بأنواع ثقافات البحر المتوسط والشرق الأوسط التى أتت مع الإسلام. وبعدد من الطرق الأخرى، أيضًا، يمكن النظر إلى الممارسات التراثية لإفريقيا السوداء باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من المركب الثقافى للعالم القديم.

يضاف إلى ذلك، كما يثبت الكثير من القصص فى هذا الجزء، أن الحكايات الشعبية أو الخرافية، كما تعود الغربيون على النظر إليها، موجودة هنا أيضًا على نطاق واسع؛ رغم أنه تم جعلها إفريقية فى كل من الشكل والمحتوى. ومن ثم يبدو من المفيد، أن نقدم إلى القارئ الحكايات الإفريقية من خلال بضع حكايات مألوفة، منتشرة على المستوى العالمي. ويتضمن ذلك قصصًا فى النمط العام لـ "سباق بين السلحفاة البرية والأرنب البري"، "هانسيل وجريتيل"، و"على بابا والأربعين لصًا"، بالإضافة إلى بعض قصص برير رابيت Br`er Rabbit[٥٣]، مثل "طفل القطران".

---

(٥٣) وهى أيضًا Brer Rabbit و Bruh Rabbit ، وهى شخصية رئيسية فى قصص العم راموس Uncle Ramus من جنوبى الولايات المتحدة، وهى شخصية مخادعة تنجح بفطنتها، أكثر من نجاحها بقوتها. وقد يعود أصل هذه القصص أيضًا إلى شخصية المخادع فى القصص الإفريقية - المترجم

من ثم فإنك ستجد هنا الأنماط المألوفة لحكاية العجائب، التي تدور حول النجاح فى اختبارات متعددة، ثم تقدم مساعدين سحريين، والفوز بابنة الملك الجميلة. فى "الاختبارات الثلاثة" على سبيل المثال، نرى الابن الأصغر يؤدى مجموعة من المهام العجيبة لتحرير إخوانه الأكبر من التعويذة، ويفوز بالزواج من الأميرة الجميلة. وفى "رابيا"، يبتكر السلطان الرئيس اختبارات لحماية بناته. وفى تطور بالغ التعقيد للنمط، ينتصر البطل، ويتبنى شخصيات مساعدة متعددة، باعتبارهم أخوة، ثم يفوز بالزواج من مجموعة من الأميرات الجميلات ويهبهن، بكرم نفس، لواحد أو أكثر من هؤلاء المساعدين. من الواضح أن لديه أمورًا أكبر فى تفكيره. وفى "تعديلات مفيدة" نبدأ فى رؤية ظهور أنماط إفريقية أخرى أكثر. فيها، يفوز المحتال يوو بالفتاة الجميلة بواسطة قدراته العالية فى التجارة، ولكن فى هذه الحالة، يفعل الكثير من لصالح دادا سيجبو، ملكه، الذى يحتاج إلى ملكة ليؤسس معها البيت الملكي. ولسوء الحظ، كما هو الأمر فى الكثير من الحكايات الإفريقية، يتضح أن الرفيقة الجديدة ساحرة وتجب إعادتها إلى "الدغل"، الذى أتت منه.

"يقايض" يوو بهذه الساحرة من خلال سلسلة من المبادلات البارعة، وكل مبادلة منها تؤدى إلى سرد لقدراته التجارية فى أغنية تتكون من مقاطع شعرية تعزيزية سوف تذكِّر القارئ بـ "للحاجة إلى مسمار فُقد الحصان" أو "المنزل الذى بناه جاك". وهناك تقنية مشابهة، كوارث متزايدة بمرور الوقت، لكنها تقود إلى نهاية أكثر إيجابية – وصول البطل إلى الزعامة – نجدها فى "معزقة الأرنب البري". وفى إعادة حكى خيالية لحكاية السلحفاة البرية والأرنب البري، نرى فى "السلحفاة البرية والصقر" تتالى مشاهد السباق

مصحوبًا ببحث البطل عن ابنة الزعيم الجميلة. وهنا، يمارس الأرنب البرى علاقة شراكة مع السلحفاة البرية فى منافسة مع الصقر.

يبدأ هذا الجزء بقصتين تدوران حول استخدام كلمة سر. فى الأولـــى، التى تذكِّرنا بهانسيل وجريتيل Hansel and Gretel، يتم استخدامها كحماية من الغول آكل لحم البشر، الذى يريد "طبعًا" أن يأكل الفتاة الشابة. وديمازانا فى هذه القصة، هى نسخة من "على بابا والأربعين لصًا" (لكن مـــع تحريـــف)، فالبنت التى تكتشف المغارة لها أخ يحاول دون نجاح استخدام كلمـــة الـــسر لتكرار الحيلة.

وينتهى الجزء بحكاية أخرى من النـــوع المـــألوف، حكايـــة تـــرتبط بـــ "جاك وساق نبات الفول"، لكنها تتخذ تحولاً مدهشًا، فالمعركة فى مركـــز السرد يتم إعطاؤها تفسيرًا كونيًا يتيح نفاذ بصيرة حول كيفية إبـــداع هـــذه القصص لتكون لها أهمية فى ثقافة تقليدية.

(١)

ديمان وديمازانا

فى يوم من الأيام، اضطر أخ وأخت توءمان ويتيمان، بعد تلقى معاملة سيئة فى البيت، أن يهربا من أقاربهما. كان اسم الولد ديمان، واسم البنت ديمازانا.

ذهبا ليعيشا فى مغارة لها فتحتان ليدخل منهما الهواء والضوء، وكان المدخل محميًا بباب بالغ القوة مع كلاب للتثبيت من الداخل. كان ديمان يخرج إلى الصيد فى النهار، ويطلب من أخته ألا تشوى أى لحم فى غيابه، حتى لا يكتشف آكلو لحوم البشر ملاذهما من خلال الرائحة.

وعندما يعود فى أى وقت، فإنه يغنى هذه الأغنية فتفتح له أخته ليدخل:

ديمازانا، ديمازانا

طفلة أمي،

افتحى لى هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها.

فلها فتحتان.

لكن حدث بعد ذلك أن سمع أحد آكلى لحوم البشر هذه الأغنية بالمصادفة.

كان من الممكن أن تظل الفتاة آمنة تمامًا لو أنها فعلت ما أمرها أخوها. لكنها كانت عنيدة، وفى يوم ما حملت بعضًا من لحم الجاموس

ووضعته على النار لتشويه. ثم آكل لحوم البشر رائحة اللحم وهو يُطهى، واقترب من المغارة، لكنه وجد الباب مغلقاً. لذلك حاول تقليد صوت ديمان، وطلب أن يُسمح له بالدخول بأن غنى الأغنية:

ديمازانا، ديمازانا

طفلة أمي،

افتحى لى هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها.

فلها فتحتان.

قالت ديمازانا: "لا. لست أخي، لأن صوتك لا يشبه صوته بأى حال".

غادر آكل لحوم البشر المكان، لكن بعد وقت قليل، عاد مرة أخرى وتحدث بنغمة صوت أخرى: "دعينى أدخل يا أختي".

ديمازانا، ديمازانا

طفلة أمي،

افتحى لى هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها.

فلها فتحتان.

أجابت الفتاة: "ابتعد، يا آكل لحوم البشر، صوتك أجش، لست أخي".

لذلك ابتعد وتشاور مع آكل لحوم بشر آخر. وسأل: "ما الذى على أن أفعله للحصول على ما أرغب فيه؟". كان خائفاً من الكلام حول ما يرغب

فيه، حتى لا يرغب آكلو لحوم البشر فى مشاركته فى الفتاة. قال صديقه: "يجب أن تكوى حنجرتك بحديد شديد السخونة".

فعل ذلك ولم يعد يتكلم بصوت أجش بعد ذلك. ومن جديد قدم نفسه أمام باب المغارة، وغنى:

ديمازانا، ديمازانا

طفلة أمي،

افتحى لى هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها.

فلها فتحتان.

تم خداع الفتاة، وصدقت أن أخيها عاد من الصيد، وفتحت الباب. دخل آكل لحوم البشر وأمسك بها، لكن أثناء حمله لها بعيدًا، أسقطت بعض الرماد هنا وهناك عبر الطريق. وبعد قليل، عاد ديمان، الذى لم يكن قد وجد أى شيء يأكله فى ذلك اليوم، سوى سرب نحل وعسله، ليجد أن أخته اختفت. توقع ما حدث، وبواسطة الرماد تتبع الطريق حتى وصل إلى حيث يعيش آكل لحوم البشر، زيم. كانت عائلة آكل لحوم البشر فى الخارج تجمع الحطب، لكنه كان فى البيت، وقد وضع ديمازانا منذ لحظة فى كيس كبير، حيث كان ينوى الاحتفاظ بها حتى تتقد النار.

عند دخوله إلى الغرفة، قال ديمان: "إعطنى ماءً لأشرب، أيها الأب". أجاب زيم: "سوف أعطيك إذا وعدتنى ألا تلمس كيسي". ووعده ديمان بذلك.

عندئذ ذهب زيم لإحضار بعض الماء، وبينما كان بعيدًا، أخرج ديمان أختــه من الكيس ووضع النحل مكانها، وبعد ذلك اختفيا.

وعندما عاد زيم بالماء، كانت زوجته وابنه وابنته قد جــاءوا أيــضًا بالحطب. قال لابنته: "هناك شيء لذيذ فى الكيس، هيا أحــضريه". ذهبــت ووضعت يدها فى الكيس، لكن النحل لسع يدها، وصاحت: "إنها تلدغ". أرسل ابنه، وبعد ذلك زوجته، لكن دائمًا كان يحدث الشيء نفسه. غــضب مــنهم وطردهم من منزله. وضع كتلة من الخشب فى المــدخل حتــى لا تهــرب ديمازانا. ثم فتح الكيس بنفسه. اندفع سرب النحل خارجًــا ولــسع رأســه، وتورمت عيناه فلم يعد يستطيع الرؤية.

كانت هناك فتحة صغيرة فى النباتات التى تغطى السقف، فشق طريقه خلالها. وقفز منها ينتحب من الألم. ثم جرى وسقط برأسه فى المقدمة فــى بركة، حيث انغرز رأسه بسرعة فى الطين، وأصبح كتلة من الخشب، مثــل أصل شجرة بعد قطع جذعها، حيث اتخذه النحل مأوى له، لكن لا أحد يمكنه الحصول على عسل هذا النحل، لأنه عندما يحاول أن يفعل ذلــك، فــسوف تنغرز يده على الفور.

عندئذ أخذ ديمان وديمازانا كل أملاك زيــم، والتــى كانــت متعــددة وضخمة، وأصبحا من الأغنياء.

– كافر Kaffir

(٢)
كلمة السر

حسنًا! كان هناك ستة لصوص. كانوا زعماء كل اللصوص. كان اسمهم أدجوتوجان. حسنًا. كان هناك جبل مليء بالذهب. لم يكن أحد يعرف أن هذا الذهب داخله. فقط هؤلاء اللصوص السبعة، هم الذين كانوا يعرفون. ناموا هناك. حسنًا. وأيًا كان ما يسرقونه، فإنهم يضعونه داخل هذا الجبل. كان الجبل هو بيتهم.

وكان هناك أب لديه ثمانية أبناء. استدعاهم ذات يوم وسأل كلاً منهم عما يتمنى أن يكون فى المستقبل. "أنا رجل مسن. قل لى ماذا تريد أن تكون".

قال الابن الأول إنه يريد أن يصبح بناءً.

وقال الثاني، "أريد أن أصبح نجارًا".

وقال الثالث إنه يريد أن يصبح مزارعًا.

والرابع قال، "أريد أن أصبح زعيمًا عظيمًا".

والخامس قال، "أريد أن أصبح تاجرًا". وقال السادس، "أريد أن أصبح كذابًا".

قال السابع، "أنا ذاهب إلى الغابة لأقطع أخشابًا، وسوف أبيعها فى السوق".

قال الثامن، "سوف آتى أيضًا بالأخشاب وأبيعها".

كان أكبر الابنين الصغيرين يسمى جون، والأصغر جوزيف. بدآ يذهبان إلى الغابة لجمع الحطب، وباعا الحطب، كل حزمة بفرنك. عندما باع جون حزمة من الخشب، أنفق المال الذى حصل عليه منها. واقتصد جوزيف دخله. واستمر الأمر بهذه الطريقة.

ذات مرة، ذهب جوزيف وهو الأغنى بين الأخين إلى الغابة، وتسلق شجرة. وعلى بعد من هذا المكان كان الجبل. كان فى استطاعته أن يرى بوضوح من مكانه، لأن الجبل كان على بعد كيلومترين فقط. كان مكنوسًا كله ونظيفًا. عندئذ أثار الأمر فضول جوزيف، وراقب ليرى ما الذى يحدث لهذا الجبل. ولم يعد يبحث عن الحطب، لكنه ظل مختبئًا بين أفرع الشجرة ليراقب. وكان يظل هناك طوال النهار.

استمر ذلك حتى الساعة الثانية تقريبًا. إذا كان اللصوص يغادرون المكان فى الساعة الخامسة صباحًا، فإنهم يعودون فى الساعة الثانية بعد الظهر. فى ذلك الوقت وصلوا فى الساعة الثانية. لم يكن اللصوص يعرفون أن هناك شخصًا ما فوق الشجرة يتجسس عليهم. والآن، كانت لدى اللصوص تعويذة لفتح الجبل، يضعون التعويذة على الأرض. كانت بسلة، تم دقها فى الجبل بالقدم. وفى هذه الحالة يقولون، "افتح". ويفتح الجبل.

الآن، كان جوزيف هناك بالقرب من الجبل وكان فى استطاعته أن ينظر مباشرة إلى داخله. عندما فُتح الباب، رأى الذهب، والحيوانات، وكل شيء. وقال، "أووه، هل توجد مثل هذه الأشياء!".

والآن، ظل اللصوص داخل الجبل. أكلوا، ثم وضعوا ما أحضروه معهم فى مكانه المخصص - تلك الأشياء التى سرقوها فى ذلك اليوم.

عندئذ، عندما خرج اللصوص قالوا للجبل. "سوف نعود بعد يومين، أو ثلاثة". إنهم يحددون دائمًا اليوم الذى سيعودون فيه. ولغلق الجبل، استخرجوا البسلة ووضعوها على جانب الجبل لحمايتها. ورحلوا.

ورحل جوزيف أيضًا. عاد إلى البيت. والآن، لم يعد جوزيف يرغب فى إزعاج نفسه بجمع الخشب. وكان جوزيف قد حصل على قليل من التعليم - يعرف كيف يكتب - وفى اليوم الثالث ذهب ووضع نفسه فى المكان نفسه لكى يكتب ما يقوله اللصوص لفتح الجبل. ومن جديد عاد اللصوص فى الساعة الثانية. دقوا على البسلة، وقالوا، "افتح"، وفتح الجبل. والآن كتب جوزيف كل ذلك على ورقة. وبعد أن تناولوا طعامهم، خرج اللصوص من جديد نحو الظلام. وقالوا للجبل إنهم سيرحلون بعيدًا ثلاثة أيام. حسنًا. الآن طلبوا من الجبل أن ينغلق.

عندما أصبح اللصوص على بعد ثمانية كيلومترات، هبط جوزيف من فوق الشجرة. واقترب من الجبل وأخذ التعويذة التى كان قد رآها مخبأة بجانب الجبل. وعمل تمامًا ما كان يفعله اللصوص. وأمر الجبل، قائلًا، "افتح". وانفتح الجبل.

عندئذ دخل جوزيف. وبدأ فى جمع الذهب لكى يحمله معه إلى الخارج. وعمل من الصباح حتى المساء. وعمل فى اليوم التالى أيضًا من الصباح حتى المساء. ولم يعد يبحث بعد ذلك عن الحطب. والآن، خلال النهار، نام.

ذهب ليضع ثمانين كيسًا فى خزينة البنك. وطلب أرضًا من الملك لكى يبنى مجمعًا سكنيًا ضخمًا. أعطاه الملك الأرض. وطلبوا مائة عامل من أجله. وبعد ثلاثة أيام، عاد من جديد إلى الجبل، ومن جديد جمع المال.

والآن، أصيب كل الناس بالدهشة وهم يرون جوزيف وقد أصبح غنيًا. وقالوا، "الرجل الذى يبيع الحطب فقط، لا يمكن أن يصبح بهذا الغنى". وبدأ العمال فى البناء. وبنوا بيتًا من عدة طوابق، كل طابق أعلى من بيت الملك. والآن، شعر الناس بالإعجاب تجاه هذا البيت.

فى اليوم الثالث، عاد إلى الجبل من جديد. وعمل مرة أخرى ما سبق له أن عمله. جمع كل المال الذى يمكنه حمله بعيدًا. حسنًا. الآن أصبح غنيًا جدًا جدًا. وذهب ليتزوج بفتاة.

كان أخوه جون فقيرًا جدًا جدًا. وجاء لزيارته ذات يوم. رحب جوزيف به وأخلى له مكانًا جيدًا. وطلب من زوجته أن تجهز له وليمة. وأكل الاثنان معًا. وأعطاه مالاً _ كيسًا مليئًا بالكامل.

رفضه جون. وقال، "لا أريد مالًا. أريد فقط أن أعرف ما الذى تعمله لكى تصبح بكل هذا الغنى. كلانا نجمع الحطب، وأنت أصبحت غنيًا. أرنى الطريقة لكى أفعل ما فعلت". حمل جون سكينًا وقال، "إذا لم تخبرنى، فسوف أقتلك".

قال جوزيف، "إذا أخبرتك الآن، لن تعرف كيف تقوم بهذا. سوف تتسبب فقط فى قتل نفسك".

قال له جون، "لماذا تقول إننى سوف أموت؟".

قال جوزيف، "إذا ذهبت سوف تموت. لا يمكنك أن تقرأ. لا تعرف كيف تتدبر الأمر".

قال جون، "حسنًا. أخبرنى فقط نفس ما تعرفه".

أرشده جوزيف إلى الطريق. وذهب جون إلى المكان وتسلق الشجرة. ووصل اللصوص. وقالوا الكلمات. وأمروا الجبل، قائلين، "افتح". وانفتح الجبل.

سمع جون هذه الكلمة. والآن فى نحو الساعة الخامسة، خرج اللصوص من جديد. ولم يرد جون أن يعود إلى البيت ويأتى فى الصباح. ذهب على الفور إلى الجبل وأمره بأن يفتح. ودخل وجمع كل ما يستطيع حمله ليخرج به. وكدس الأكياس. والآن أراد أن يخرج، لكنه نسى الكلمات الصحيحة. وبدلًا من أن يقول "افتح" قال، "اغلق". بدلاً من أن يطلب من الجبل أن ينفتح، ظل يطلب منه أن ينغلق. والآن، أصبح الجبل مغلقًا بإحكام. وكان هو هناك فى الداخل. وظل هناك حتى أتى اللصوص.

أمر اللصوص الجبل بأن يفتح. لم يستجب الجبل ولم يفتح، لأنه كان مغلقًا بإحكام.

قال أحد اللصوص، "بالتأكيد هناك رجل فى الداخل".

فتحوا الجبل ورأوا الرجل جالسًا على الأكياس. دخلوا وسألوه، "من أين أتيت؟".

"أنا أخو جوزيف، الذى كان يجمع المال من هنا. وهذا سبب ثرائه البالغ. إنه هو الذى أرشدنى إلى الطريق إلى هنا".

سأله أحد اللصوص، "أليس هو الشاب الذى يعيش فى المنزل ذى الطوابق العديدة، بالقرب من بيت الملك؟".

قال جون، "نعم".

عندئذ قتل اللصوص جون. قطعوا أوصاله، عضواً عضواً، وثبتوه بمسامير فى حائط الجبل. ثم خرجوا من جديد.

فى اليوم التالى أتى أخوه جوزيف، لأنه لم ير جون منذ ثلاثة أيام. جاء ومعه دفتر ملحوظاته وكيس. وضع لحم أخيه فى الكيس، ووضع معه بعض المال الذى أخذه.

فى البيت، كان كل عمال الجلد فى القرية قد أتوا. قال، "من هو أفضل من يقوم بالخياطة؟ إذا قتلت ماعزاً وقطعتها إلى قطع كثيرة، من الذى يمكنه إعادة خياطتها؟". كان هناك عامل جلود شاب، قال إنه يستطيع عمل ذلك. ومن ثم فإنهم عندئذ وفى المكان نفسه ذبحوا ماعزاً وقطعوها إلى قطع كثيرة. وأعاد عامل الجلود خياطتها.

طلب جوزيف من هذا العامل أن يأتى لديه فى الليل. وعرض عليه جثة جون وطلب منه أن يعيد خياطتها حتى يمكنه دفنها. نفّذ عامل الجلود ما طُلب منه، ودفنا جون فى الليل.

فى اليوم التالي، عندما عاد اللصوص، لم يجدوا لحم جون فى المكان. قالوا، "يتصف جوزيف بالشجاعة. جاء ليأخذ جثة أخيه، التى قطعناها. لا بد أنها كانت عملية دفن جون التى جرت أمس. لقد سمعنا الضوضاء".

عندئذ بدأوا يخططون لقتل جوزيف. وفى اليوم التالي، جاء لص بارز إلى المدينة لمقابلة عامل الجلود. وسأل عمال الجلود فى القرية، "مَن مِن بينكم هو الذى يعرف كيف يخيط جيداً؟".

كان هناك أحد عمال الجلود الذى قال، "أعرف كيف أخيط جيداً". وقال، "فى الليلة الماضية فى منزل جوزيف قمت بخياطة جثة".

"جثة من؟".

"جثة جون". عرف اللص عندئذ أن جوزيف هو الذى أخذ جثة أخيه.

عاد اللص إلى الجبل. وحتى الظهر كان قد جمع مائة رجل. حسنًا. ذهب أحد اللصوص لمقابلة جوزيف، وقال إن لديه مائة كيس من الملح. ويمكنه إحضارها فى منتصف الليل تقريبًا. وذهب اللص لإحضار مائة كيس فارغ.

وفى الليل، نحو الساعة الثامنة، ذهب جوزيف يتمشى، تاركًا زوجته خلفه. أتى اللص حينئذ إلى بيت جوزيف، لأنه كان قد وعده بإحضار مائة كيس من الملح. ودخل ومعه مائة رجل ومائة كيس فارغ، ونظرت زوجة جوزيف من خلال النوافذ لكنها لم تفعل شيئًا.

طلب زعيم اللصوص من كل رجل أن يدخل فى كيس، حتى يبدو كما لو أنه مليء بالملح. ثم أغلق كل كيس ووضعه بجانب الحائط. وعندما انتهى من وضع الرجال فى الأكياس، أصبحت كل الأكياس مليئة، فى كل واحد منها رجل. قال الزعيم، "فى منتصف الليل سوف أصفر. عليكم بالخروج من الأكياس وسوف نقوم جميعًا بسرقة ممتلكات الرجل".

وعندما رأت زوجته كل ذلك أرسلت غلامها للبحث عن سيده. وعندما وصل زوجها، أخبرته بأن تلك الأكياس ليست أكياس ملح، لكن يوجد رجال داخلها.

قام جوزيف وزوجته بتجهيز تعويذة بالماء، إذا تم وضع قطرة من هذا الماء ولمست رأسك فإنك تموت. وأثناء الليل، قبل منتصفه، أعدوا الجرعة السحرية، وفى ساعة تناول الطعام، طلبا من زعيمى اللصوص أن يصعدا

ليأكلا معهما. وجلس جوزيف وزوجته على الكرسى نفسه، من دون ظهر ولا مساند لليدين. وقبل أن يصعدا السلالم كان جوزيف قد أعطى لزوجته مسدسًا وحشيًا آخر أيضًا. وكان قد قال لزوجته، "سيدتي، عندما نبدأ فى تناول الطعام، إذا وضعت قدمى على قدمك، ستكون تلك إشارة لأن تطلقى النار على اللصين".

عندما صعد اللصان إلى أعلى، قالا لجوزيف، "لن نأكل معك. لقد تركنا أكياس الملح، تحت وقد يسرقها شخص ما". أخبرهما جوزيف بأنه لا يوجد هناك أى لصوص وعرض عليهما الكرسى الذى وضعه من أجلهما. ووضع قدمه على قدم زوجته، وأطلقا النار على اللصين.

وكان هناك أولئك الموجودون فى الأكياس، والذين سألوا بعضهم البعض، "من الذى يطلق النار هناك فوق؟".

ورد الآخرون، "جوزيف يقتل حمامة".

بعد أن قتلا اللصين، نزل جوزيف إلى أسفل ومعه غلاماه، وأحضر معه التعويذة. وكلما وصل إلى كيس، يقول للرجل داخله، الذى يظن أن هذا كان سيده وليس جوزيف، "ها هو بعض الدواء، حتى لا يصيبك الإجهاد الشديد". أعطاها للأول، والكيس الذى كان قائمًا بشكل منتصب سقط على الأرض. والثاني، الأمر نفسه، ثم الأمر نفسه، حتى انتهى من أمر تسعة وتسعين كيسًا. وهرب الرجل الأخير.

عندئذ، كان جوزيف قد وضع مسامير على قمم حوائطه حتى لا يستطيع أحد أن يتسلق فوقها، وبذلك انغرز مسمار فى اللص رقم مائة. وتساءل، "لماذا قتلت رفاقي؟". ذهب جوزيف لينام، تاركًا الجثث فى مكانها حيث سقطت.

وفى اليوم التالى، ذهب لمقابلة ملك البلاد، وأرسل الملك رجالاً ليشاهدوا جثث اللصوص. ولذلك أمر ملك البلاد بتمهيد طريق على كل المسافة إلى الجبل. وكل الذهب الذى كان هناك، كان يخص جوزيف.

ـــ داهومى Dahomey

(٣)
الاختبارات الثلاثة

كان لأحد السلاطين سبعة أبناء. ذهب أكبرهم إلى أبيه وقال إنه يرغب في السفر. وافق أبوه وأعطى له سفينة شراعية وطعامًا ومالاً. وهكذا شرع في رحلته وأبحر حتى وصل إلى جزيرة، حيث كان ينمو هناك الكثير من الفاكهة الجميلة. رسى على هذه الجزيرة، وسار بين أشجار الفاكهة. وبينما كان يسير، كان يقطف الفاكهة ويأكلها. لكنه عندما كان يلفظ بذور الفاكهة، وبمجرد لمسها للأرض، كانت تصبح نباتات جديدة تحمل فاكهة على الفور. ومع دهشة الشاب مما يحدث جمع سلالًا من الفاكهة، وأخذها على ظهر سفينته.

وغادر الجزيرة وأبحر ليلًا ونهارًا حتى وصل إلى جزيرة أخرى، يحكمها سلطان. وهناك رغب الشاب فى إخبار السلطان بالفاكهة العجيبة التى يحملها، فطلب المثول بين يديه وقال، "أووه أيها السلطان صاحب المقام الرفيع! معى هنا فاكهة عجيبة، تزدهر بذورها وتحمل فاكهة بمجرد لمسها للأرض، وأرغب فى أن أعرض هذه المعجزة أمامك". لكن السلطان لم يصدق قصته، وقال، "لو أن ما تقول حقيقى فسوف أكافئك، لكن إذا كنت كاذبًا، فسوف أرميك فى السجن". وهكذا أحضر الشاب الفاكهة وأكلها ورمى البذور على الأرض، لكن البذور بقيت على الأرض دون أن يحدث شيء. عندئذ ألقاه السلطان فى السجن وحجزه فيه.

وفى غضون ذلك، أصبح أخوة الشاب فى حالة قلق على مصيره، وأكبرهم الذى بقى معهم ذهب إلى أبيه، السلطان، وطلب منه مركبًا كبيرًا

وطعامًا ومالاً حتى يستطيع البحث عن أخيه. أعطاه السلطان كل ما طلبه، وشرع فى الإبحار. ووصل هو أيضًا إلى الجزيرة التى تحتوى على الفاكهة العجيبة، وعندما أكلها، ووجد أن الجذور تنمو حية، وتحمل فاكهة بمجرد لمسها للأرض، جمع سلالاً منها كما فعل أخوه من قبل، ووضعها على متن سفينته، وأبحر. وعندما وصل إلى الجزيرة حيث سُجن أخيه، امتدح هو، أيضًا، ميزة الفاكهة التى أحضرها، بل حتى إنه طلب المثول بين يدى السلطان ليتفاخر بها. ولأنه راغب فى عرض هذه المعجزة على السلطان، أكل من الفاكهة ورمى البذور على الأرض. لكنها أخفقت فى النمو، ورمى به السلطان الغاضب فى السجن أيضًا.

واحد تلو الآخر، أبحر كل الأخوة، باستثناء الأصغر، للبحث عن الآخرين. كل منهم رسى على الجزيرة وجمع الفاكهة السحرية، وفشل كل منهم فى عرض المعجزة أمام السلطان الذى يعيش فى الجزيرة الثانية، وتم وضع كل منهم فى السجن.

فى النهاية لم يبق هناك سوى الابن الأصغر، وكان اسمه صدقة، وذهب إلى أبيه وطلب منه سفينة. وعندما حصل عليها حمّلها بحبوب الدُخْن والأرز والماشية، ثم شرع فى الإبحار. وبعد عدة أيام، وصل إلى جزيرة مليئة بالطيور، ولم يكن لدى هذه الطيور غذاء وكانت تتضور جوعًا. لذلك أنزل حبوب الدُخْن إلى الجزيرة، وبعثره لكى تأكله الطيور. وسلطان الطيور، فى مقابل هذا التصرف الذى يدل على العطف، أعطى صدقة قطعة من البخور، وقال، "احرقها إذا احتجت إلينا فى أى وقت، وسوف نشمها ونأتى لمساعدتك". وهكذا أخذ صدقة البخور وشرع فى الإبحار. وبعد رحلة

أبعد وصل إلى جزيرة أخرى. وكانت هذه الجزيرة مليئة بالذباب الذى كان يتضور جوعًا ولا يجد ما يأكله. عندئذ، وقد امتلأ قلب صدقة بالرحمة، ذبح ماشيته ورمى بها فى الجزيرة لكى يأكلها الذباب. وعندما شبع الذباب، شكر سلطان الذباب صدقة وأعطاه قطعة من البخور، وقال، "إذا احتجت لنا فى أى وقت، احرق هذا البخور وسوف نأتى لنساعدك". وهكذا أخذ صدقة البخور وواصل رحلته. بعد مرور الوقت، وصل إلى جزيرة ثالثة، وكانت هذه الجزيرة مليئة بالجن، الذين لم يكن لديهم طعام أيضًا، ويعانون من الجوع. وعندها أخذ صدقة وعاءً كبيرًا ملأه بالأرز، وأشعل نارًا تحت الوعاء، وقال للجن، "انتظروا قليلاً وسوف أطهى لكم الأرز". عند ذلك شكره الجن، وقالوا، "حذار أن تكون قد وضعت ملحًا فى الوعاء". فأجاب صدقة، "لا تخافوا ليس فيه ملح". وهكذا عندما أصبح الأرز مطهوًا، تجمع الجن حوله وأكلوا. وبعد أن شبعوا، أتى سلطان الجن إلى صدقة وأعطاه قطعة من البخور، قائلاً، "إذا احتجت لنا فى أى وقت، احرق هذا البخور وسوف نأتى لنساعدك". عند ذلك أخذ صدقة البخور وأبحر مبتعدًا.

فى الوقت المناسب، وصل إلى الجزيرة التى تنمو فيها الفاكهة السحرية التى سبق لأخوته أن وجدوها. وعندما عرف، هو أيضًا، أن البذور تنبض بالحياة وتحمل فاكهة بمجرد أن تلمس الأرض، جمع الفاكهة، وعاد إلى جزيرة الجن ليريهم إياها. لكن سلطان الجن قال له، "سوف تحدث هذه المعجزة فقط، عندما تسقط البذور فى تربة خاصة. ولذلك، إذا أردت أن تعرض هذه المعجزة على غرباء، خذ من تربة هذه الجزيرة وعندما تسقط عليها البذور سوف تنبض بالحياة وتحمل فاكهة". لذلك ملأ صدقة سفينته من

هذه التربة وشرع فى الإبحار. وفى آخر الأمر وصل إلى الجزيرة التى سُجن فيها أخوته. قدم نفسه للسلطان، وقال له، "يا سيدى السلطان! لدى هنا فاكهة سحرية، تنمو بذورها وتحمل فاكهة بمجرد أن تلمس الأرض". لكن السلطان قال، "هناك الآن ستة رجال فى السجن لأنهم فشلوا فى أن يعرضوا أمامى هذه المعجزة، وإذا فشلت أنت أيضًا، فسوف تنضم إليهم". قال صدقة، "غدًا، سوف أعرض المعجزة عليك". أجاب السلطان، "إذن افعل ذلك، لكن تذكر إذا فشلت، فسوف تُلقى، أنت أيضًا، فى السجن". وفى تلك الليلة نشر صدقة فى كل مكان التربة التى أحضرها من جزيرة الجن. وفى الصباح التالي، أكل من الفاكهة فى حضور السلطان وحكمائه ونبلائه. وبعد أن أكل، نثر البذور على الأرض فنمت وحملت فاكهة. واندهش السلطان وحاشيته، وكل شعب الجزيرة، إلى حد كبير، وأكلوا من الفاكهة وألقوا بالبذور على الأرض، وبسرعة ازدهرت كل الجزيرة بالفاكهة السحرية.

فى ذلك الوقت كانت لدى السلطان ابنة ذات جمال فائق. وعندما سمع صدقة عن جاذبيتها، رغب فيها إلى حد كبير، وطلب من السلطان أن يهبه إياها ليتزوجها. عندئذ جمع السلطان معًا أكياسًا تحتوى على كل أنواع الحبوب، وخلط المحتويات فى أكياس مع بعضها البعض فى غرفة. وفى المساء، أغلق على صدقة فى الغرفة مع الحبوب قائلًا، "إذا استطعت فصل كل هذه الأنواع المختلفة من الحبوب، كل منها فى كيسه، يمكنك عندئذ أن تتزوج بالأميرة، ولكن إذا فشلت، فسوف تموت". وهكذا نام صدقة فى الغرفة هذه الليلة، وفى الصباح التالي، حرق البخُور الذى كان سلطان الطيور قد أعطاه له. وفجأة كان الهواء قد امتلأ بالطيور، وسلطان الطيور

يسأل صدقة عما يحتاج إليه. وعندما سمعت الطيور ما أمر به السلطان صدقة ليفعله، طاروا ودخلوا إلى الحجرة، والتقطوا الحبوب فى مناقيرهم، وفصلوا كل نوع ووضعوه فى كيسه. وعندما أتى السلطان إلى صدقة فى المساء، ورأى أن كل الحبوب كان قد تم فصلها كما أمر، قال لصدقة، "يجب أن تثبت جدارتك مرة أخرى إذا أردت أن تتزوج ابنتي. إذا استطعت أن تقطع جذع شجرة التبلدي(٥٤) بضربة واحدة من سيفك، يمكنك عندئذ أن تأخذها. ولكن إذا فشلت، عندئذ فسوف تموت". ثم أرشد صدقة إلى شجرة التبلدي، التى كان حجمها هائلًا.

عاد صدقة إلى غرفته، وحرق البخور الذى كان سلطان الجن قد أعطاه له. وعندما ظهر الجن، قال لهم ما أراد منه السلطان أن يفعله. عندئذ أحضر الجن نملاً أبيض بأعداد هائلة ووجهوه لكى ينخر فى جذع شجرة التبلدي. أكل النمل جذع الشجرة، تاركًا اللحاء فقط. وأمسك جنيان، وقد جعلا نفسيهما غير مرئيين، بأفرع الشجرة خوفًا من أن تشتد الريح وتطيح بها إلى الأرض. لكن لم تهب ريح، واقترب صدقة من الشجرة مع السلطان وحاشيته. وفى حضورهم، استل سيفه وسدد ضربة قوية إلى الشجرة وقطعها إلى نصفين. ووجه الجنيان، اللذان كانا يمسكان بهما، سقوطهما حتى لا يقتلان أحدًا.

عندئذ قال السلطان، "غدًا سوف تمر كل عذارى المدينة، بما فيهن الأميرة، ابنتي، أمامك، واحدة تلو الأخرى، وعليك أن تتعرف على الأميرة

---

(٥٤) التبلدى baobab: شجر استوائى عريض الجذع تمتلك ثماره غلافًا قاسيًا - المترجم

من بينهن. إذا كان اختيارك صحيحًا، فسوف تتزوج بها، ولكن إذا فشلت في اكتشاف أيهن هي الأميرة، عندئذ فسوف تموت". عندئذ انسحب صدقة من جديد إلى غرفته، وحرق البخور الذي كان قد أعطاه له سلطان الذباب. وعلى الفور، ظهر سلطان الذباب، وأخبره صدقة بما أمر به السلطان. عندئذ قال سلطان الذباب، "عندما تمر عذارى المدينة أمامك، فسوف أكون موجودًا أمامك، وراقبني. عندما تقترب الأميرة، فسوف أطلق صوتًا طنانًا بجناحيّ كما لو أنني على وشك أن أطير. عندئذ، عندما تمر الأميرة أمامك، فسأحط على كتفها، وعليك أن تأخذها". وهكذا في اليوم التالي مرت كل عذارى المدينة أمام صدقة، وكان سلطان الذباب أمام صدقة، وراقبه صدقة. وفجأة بدأ يحدث صوت طنين بجناحيه، وعلى الفور طار حول المكان، ثم هبط على كتف الأميرة وهي تمر عابرة. عندئذ أمسك صدقة بذراعها وقادها بعيدًا، وتزوج صدقة بالأميرة وأطلق سراح أخوته من السجن. وانتهت القصة.

ـــ السواحلية Swahili [٥٥]

---

(٥٥) السواحلية: لغة البانتو الرسمية في تنزانيا، تنتشر كلغة تجارية مشتركة في شرق وأواسط إفريقيا. والسواحلي أحد أبناء المسلمين القاطنين في معظم ساحل وجزر شرق إفريقيا من الصومال حتى موزمبيق - المترجم

(٤)
القرد يسرق الطبل

هذا النص مأخوذ عن أداء للسيد أديجبوياجان فأدوجاتيمى Adegboyegun Faadojutimi. وقام بجمعه ديردر لابين Deirdre LaPin وترجمه ديردر لابين وتاندى أياندوكان Tunde Ayandokun.

ها هى قصة!

(ويا لها من قصة).

على كل شخص أن يظل ساكنًا ويستمع بانتباه إلى قصتنا.

قصتى تقطع بحدة، با Pa،

لا تدعها تحطم ذراعيها،

إنها تحطم، تئز، وتصدر صوتًا مكتومًا، وارا جبى wara gbi

لا تدعها تحطم رقبتها،

إنها لم تسقط على رأسي!

إنها لم تسقط على رقبتي!

و لم تسقط أيضًا على الجزء الصغير من الجرذ،

الذى سوف آكله قبل أن أنام هذه الليلة!

وبدلًا من ذلك سقطت على رؤوس

المائة وستة وخمسين حيوانًا.

والآن، فى ذات يوم، تم عقد اجتماع وطُلب من كل الحيوانات أن تحضره، عن بكرة أبيها. تلقى كل منها التحية، "هالو"، وسُئل عن الأحوال. ثم أُمروا جميعًا بسلخ قطعة جلد من أجسامهم، لكى يصنوعوا طبولًا للرقص ويقضوا وقتًا طيبًا. وحتى ذلك الوقت، لم يكن أحد قد فكر فى مثل هذا الأمر واتفقوا جميعًا على أن إهمالهم، كان أكثر مدعاة للأسى. لذلك بدأ كل منهم سلخ جلده لكى يصنع منه طبلة، وصنعوا جميعًا طبولاً.

وفى نهاية الأمر، جاء يوم السوق – اليوم الذى يتم فيه عقد اجتماعهم باستمرار – وأحضر كل منهم طبلته. حسنًا! أيها الأصدقاء، كم كانوا سعداء! دقوا إيقاع رقص ورقصوا فى العصر، ورقصوا ورقصوا ورقصوا ورقصوا.

كما تعرف، الطمع أمر سيئ. نعم، سيدي، لم يكن الفهد قد عرف من قبل أى شىء يشبه الطمع. انتهى من الأكل ومن الصحبة، وكان قد أكل الكثير حتى إنه رمى كل شىء، جووروجو goorogo. وبينما هو نائم، كانت فضلاته تخرج من أمعائه. مثل ذلك لم يحدث أبدًا من قبل، أيها الأصدقاء، لقد أكل حتى امتلأ وذهب لينام، كان محشوًا.

والآن قال القرد كولوباس إنه لا يمكنه بالفعل أن يسلخ قطعة من جلده ليصنع طبلة، حيث ما الذى سيبقى حينئذ؟ أيها الأصدقاء، كان الفهد نائمًا هناك بعيدًا، وقال القرد لنفسه إن تلك فرصة مؤكدة للحصول على طبلة لنفسه لكى يدق عليها. ومد يده نحو طبلة الفهد، وحملها، وانطلق على الطريق. توجه إلى البيت.

حسنًا، استيقظ الفهد. "أين هي؟! لقد وضعت طبلتى هنا بالضبط، ها هو المكان الذى تركتها فيه". بعد البحث حوله فى كل مكان، قال بعض الناس، "هاه! لقد رأينا القرد يحمل طبلة. لم تكن لديه طبلة تخصه، عندما أتى إلى الاجتماع. أيها الفهد، لا بد أن طبلتك مع القرد". لذلك قال "حسنًا، عرفت ذلك"، وذهب إلى البيت. كان غاضبًا بشدة حتى إن أمعاءه تُصدر صوتًا عميقًا وكان قلبه يغلى من الغضب. كيف سيستطيع العثور على القرد؟ "هاه! لم يحدث لى شيء مثل هذا من قبل، ما أفضل طريقة لحل هذه المشكلة؟". جاء يوم السوق من جديد، وهو اليوم الذى يعقدون فيه اجتماعهم. حسنًا، قبل قليل من بداية النهار، استيقظ الفهد وذهب إلى تقاطع الطرق الثلاثة فى مدينة أجالوكو Ajaloko وكنس الدرب حتى أصبح نظيفًا تمامًا. جلس أجاناكي: كانت عيناه تتوهجان متألقتين. مع انبلاج النهار، جاء المائة وستة وخمسين حيوانًا فى طريقهم إلى الاجتماع. وكان الفأر العملاق قد استيقظ مبكرًا، وكان أول من حضر، وهو يثب على الطريق وذيله يرفرف خلفه، جوولو جوولو جوولو goolo goolo goolo. وبمجرد أن وقعت عيناه على "محارب لاجوس" – "أوو! أوو! حسنًا! يا لها من مفاجأة!". طرح نفسه أرضًا أمامه ومد يديه، وراحتى يديه، إلى أعلى – "أجاناكى Ajanaku، يا من تستيقظ وتغسل يديك ووجهك مثل المسلم". أيها الأصدقاء، لقد توسل إليه، "كابييسى Kabiyesi، يا ربى الحامي، أنا بريء"، هذا ما قاله. ثم شرع يغنى أغنية كما يلى:

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

قال، "كل كائن صنع طبلة،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتي لتأكل وتأكل وتأكل.

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم، المزيد من اللحم

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

حسنًا، قال الفأر إنه لا يريد أن يتورط فى أى مشكلة. كان قد استيقظ مبكرًا ووقع مباشرة فى مأزق. حوّل اتجاهه، وفرَّ مبتعدًا.

عاد أجاناكى إلى الجلوس على خاصرتيه. ها أنت ترى، لقد نظف الأرض حيث سيتصارعون. يا لها من مفاجأة! نعم، سيدي، إننى أهنئ نفسي، هو الذى يروى القصص دون الإقلال من براعة الأداء، وابنه ذو الرقبة النحيلة. ليس من السهل العمل للعيش. لو أن أحدًا ما سلخ بعضًا من جلد جسمه الخاص، لن يدع أحدًا آخر يهرب دون أن يفعل شيئًا، هل يكون هذا شأنه؟ فأر القصب "قاطع العشب Cutting Grass" كان يعدو فى الطريق، يافى yughu يافى يافى يافي. وبالفعل أصيب أجاناكى بالفزع. أنت تعرف، أسنانه الأمامية لونها أحمر. لو أن أولودامارى نفسه كان يمر أمام هذا الأجاناكي، لتحولت عيناه إلى الأحمر الداكن. يا لها من مفاجأة! عندها قـــال، "كابييسي،

يا ربى الحامي، أنا بريء". كما ترى، كان شرجه قد تراجع إلى أمعائه – شرجه الذى يتبرز منه – وكان يحك راحـــتـــيـــه معًا بشكل ينم عن القلق.
"يا للغرابة، ما مشكلتك أيها المحارب؟".

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

قال، "كل كائن صنع طبلة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتى لتأكل وتأكل وتأكل.

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مَن منِهم ستكون لديه الفرصة ليأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم، المزيد من اللحم"

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

كلهم سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم".

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

لم تكن لدى أحد الجرأة على أن يمر بهذه البقعة، عندما كان هذا الفأر يقطع الحشائش. واستدار وفر فجأة. حسنًا! لقد أحدث اضطرابًا تامًا وهو يتجول ويعدو هنا وهناك، فو fu، فى لحظة!

حينئذ كان "الظبى الإفريقي" قد استيقظ، وأخذ يتحرك خببًا، بيليكى بيليكي beleke، على الطريق فى اتجاه الاجتماع. كان فى طريقه ليبحث لنفسه

عن طعام هذا الأحمق، كما فعل منذ ثمانية أيام. يا للعجب! تراه عندئذ وهو يقفزعلى الطريق بحركات سريعة، سوبجا sobga سوبجا سوبجا، وذيله يرفرف فى الهواء خلفه، وفجأة، كان أجاناكى هناك فى وسط الطريق تمامًا. لمحه "الظبى الإفريقي"، لمح "مالك لوبيا مزرعة الجرادة السوداء"، "ذلك الذى قذف بقوة رئيس الأسرة، فوق شجرة أودان Odan، وطرد الأكبر إلى فجوة"، "ذلك الذى مزق طفل امرأة إلى قـــطـــع". بمجرد أن نظر إلى وجهه، قال، "ما مشكلتك أيها المحارب؟

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

قال، "كل كائن صنع طبلة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتى لتأكل وتأكل وتأكل.

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مَن مِنهم ستكون لديه الفرصة ليأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم، المزيد من اللحم،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

كلهم سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم.

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

بمجرد أن نظر إليه "الظبى الإفريقي"، قال لنفسه، "اليوم ليس يوم مهرجان اليام، وليس هذا هو المكان الذى يجب المرور به". أدار الظبى الإفريقى ذيله وانطلق مبتعدًا بسرعة كبيرة، حتى إنه قطع ما يقرب من ميل فى ثلاث وثبات!

كان "وعل" يتبختر على الطريق، جيجولو jigolo جيجولو جيجولو، وهو يحمل حمولة يام[٥٦] على قمة قرنيه الكبيرين. كان مارًا بخطواته الواسعة السريعة الثابتة، فان ghan فان فان، عندما رأى فجأة "مالك لوبيا مزرعة الجرادة السوداء"، وتوقف فورًا. "كابييسى Kabiyesi، يا ربى الحارس، ما مشكلتك أيها المحارب؟".

ما مشكلتك أيها المحارب؟

يبى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

يبى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

قال، "كل كائن صنع طبلة،

يبى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

يبى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

---

(٥٦) اليام yam: أى من المعروشات الاستوائية التى تؤكل جذورها – المترجم

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتي لتأكل وتأكل وتأكل.

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم".

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

وكما تعرف، بمجرد أن انتهى من إجابته، نظر الوعل إلى الأمام، ونظر إلى الخلف، وتحرك مسرعًا محدثًا قرقعة وضجة، أيا aya يا ya يا! بينما كان يجري، "ياى yay ! هاى hai! هورور horror، هورور، هورور"، جيدى gidi جيدى جيدي، هوش whoosh، سو so سو. ها ha! اصطدم بشجرة أكيكا akika. وكانت قوته قد خارت تقريبًا من الجوع؛ لم يكن بالفعل قد أكل منذ ثمانية أيام. لم يكن الموقف جيدًا.

جاء التيس، والبطن معلقة فى جوفه. "الشرير المسكين الذى يبتلع فاكهته كلها معًا، يمكن أن يقتله فأر". يا أولوداماري Olodumare[57] لا تدع فأرًا يقتلني! عندئذ، عندما نظر إلى وجه "مالك لوبيا مزرعة الجرادة السوداء"، _ أيى aiye! توقف متسمرًا فى مكانه، وأرجله ترتعد. وسأل، "ما هى مشكلتك أيها المحارب؟".

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

قال، "كل كائن صنع طبلة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

---

(٥٧) أولوداماري: إله لدى اليوروبيين، واليوروبى Yoruba أحد أفراد شعب، يعيش فى غرب إفريقيا، خاصة فى جنوب غرب نيجيريا – المترجم

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتى لتأكل وتأكل وتأكل.

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكل الأوروبى اللحم، يأكل اللحم".

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

يىى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

عندما أفلت التيس كان يشبه الجندب، مستعدًا لأن ينفجر وهو معرض للنار. اصطدم رأسه بشجرة وانتزع اللحاء فأزاله تمامًا، وكان يجرى بأقصى سرعة. ظلت عينا أجاناكى مغلقتين، بينما كان التيس يجري.

رأى بعد ذلك ثور الدغل قادمًا بمشيته التى تعوزها الرشاقة، جيراجوو giragwo جيراجوو جيراجوي. ألوداماري Olodumare، كان قرناه الكبيران يتأرجحان من جانب إلى آخر. وعندما وصل إلى المكان، ورأى "مالك لوبيا مزرعة الجرادة السوداء"، "ذلك الذى طرد الأكبر إلى فجوة وقذف بقوة رئيس الأسرة، فوق شجرة أودان Odan"، كانت عينا أجاناكى تتوقدان. أنت تعرف ما ثمرة النخيل، التى نستخدمها فى عمل الحساء فى المزرعة، تلك التى نقطعها ونحصل منها على الزيت اللامع، الأحمر اللامع؟ حسنًا، كان لدى "مالك لوبيا مزرعة الجرادة السوداء" عينان تشبهانها، إنه كان "الفهد"، أتعرف معنى ذلك، ليس هذا الفهد. بمجرد أن نظر إليه ثور الدغل، "كم كان ذلك مرعبًا، هوروروس Horrors!" هذا ما نطق به. "ها! أنا بريء، بريء، كابابيسي، يا ربى الحارس. ما مشكلتك أيها المحارب؟"

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

قال، "كل كائن صنع طبلة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتي لتأكل وتأكل وتأكل.

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

يبي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم، المزيد من اللحم".

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

أوو، أولوداماري، احمنا من المأزق، ونحن نسير على طريقنا. "أنا الذى أروى القصص دون أن أخطئ فى العمل، ابن صاحب العنق النحيف". بدأ ثور الدغل يهرول مبتعدًا. إليَّ يا أبي! لو قابل شجرة على الطريق قد لا يقابلها أبدًا مرة أخرى. لقد أحدث عاصفة! أولوداماری احفظنا من مثل هذه المعاناة. انطلق بأقصى سرعة، لقد كان يتوقع وليمة مثل تلك التى حضرها منذ ثمانية أيام؛ طعام مثل هذا قد يقتل أى كائن!

وعندئذ فقط، ظهر الفيل، لايي، "روح الغابة"، "أوريسا[٥٨] بذراع واحدة"، "الذى يستيقظ ويستحم ويغسل نفسه فى الندى". وسار كما لو كان يتدحرج على الطريق، وأذناه تخفقان. وبمجرد أن لاحظ "مالك لوبيا مزرعة الجرادة السوداء" – أي! حسنًا، عندئذ توقف تمامًا حيث يقف. وقال، "ما مشكلتك أيها المحارب؟".

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

---

(٥٨) أوريسا Orisa أو أوريشا Orisha أو أوريكسا Orixa، روح تجسد أحد مظاهر أولوداماری – المترجم

قال، "كل كائن صنع طبلة،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتي لتأكل وتأكل وتأكل.

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييي إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم، المزيد من اللحم".

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

دار لايى Laaye حول نفسه، متمنيًا ألا يرى أى شيء مثل هذا أبدًا مرة أخرى فى حياته! لا يهم أن يأكل أو لا يأكل. لذلك انطلق مبتعدًا، وتحول مساره إلى درب ما زال يُستخدم حتى اليوم. ولقد أصبح نموذجًا لكل الطرق منذ ذلك الوقت - الشوارع الكبيرة الواسعة فى الوقت الراهن. لكن دربه كان مصقولاً وأجردًا أكثر من أى طريق سريع. نعم سيدي! أولوداماري! أتمنى ألا يسمع أحد حكاية مزيفة من فمي. منذ متى كنت أقول أكاذيب؟ أنا أقول الحقيقة اليوم. أن تعرف، الفأر الذى وضعته فى الموقد بالأمس أكلته شمامة!

عندئذ فقط، جاء القرد يعدو على الطريق، جولو جولو جولو، وذيله يتأرجح خلفه وطبلته مربوطة بحبل حول رقبته. وأتى إلى الموقع نفسه، ورأى "محارب لوجوس". أي! لعلى لا أواجه مشكلات مبكرة فى الصباح.

ألم يقفز فوق الأشجار؟ لم يتسلق الأشجار، لأن القردة فى تلك الأيام كانت تسير على الأرض. وبمجرد أن وقعت عيناه على "مالك لوبيا مزرعة الجرادة السوداء"، "ذلك الذى قذف بقوة رئيس الأسرة فوق شجرة أودان Odan، وطرد الأكبر إلى فجوة"، "ذلك الذى مزق طفل امرأة إلى قطع". إليَّ يا أبي! عيناه؛ لم يبق هناك أمل. بمجرد أن لمح القرد أصبحت الأمور أكثر

حدة. أولوداماري، لا تدعنى أجرب شيئًا مثل هذا! هل رأيت فى أى وقت ذيل قط، عندما يطارد سحلية فى الخلاء؟ كان ذيله يرتج من جانب إلى آخر، بون pon بون بون. أولوداماري، لقد كان ذيله يبرز بكامله. قال، "كابيبيسي، كابيبيسي، يا ربى الحارس". لعلك تعرف أنه فى قديم الزمان كانت يدى القرد تشبهان يدى الإنسان تمامًا. دعكهما معًا فى قلق، "كابيبيسي، ما مشكلتك أيها المحارب؟".

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

قال، "كل كائن صنع طبلة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

والقرد أخذ طبلتي،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نراقبه اليوم،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

"مصدر الغبار هنا لم يبتعد بعد،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لأم متوقعة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم لبنت ذات أرداف ضخمة،

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف نهب اللحم للجميع!

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف تأتى لتأكل وتأكل وتأكل.

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

مرحبًا، ألا تريد أن تأكل؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

سوف يأكلون اللحم، يأكلون اللحم، المزيد من اللحم".

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

ما مشكلتك أيها المحارب؟

ييى إرانماتيكون Yeeye Iranmatekon

أولوداماري، احمني، لا تدع أحدًا يقول إنهم استمعوا إلى حكاية شريرة من شفتى _ أنت ترى، عندئذ فقط استجمع جبواجادا كل قواه وانطلق سريعًا وراء القرد. وبمجرد أن أحكمْ قبضته عليه، رفع ذراعه وألقاه منبطحًا على الأرض! كان بالغ القوة حتى إنه فقد توازنه بمجرد أن نفذ مباغتته. استخدم

يدًا واحدة فقط للإمساك به. "جرذان! أتعنى أننى أضيع طاقتى فى ذلك؟". قال القرد ساخرًا، "ها - ها - ها، ألشيء صغير مثلي؟ أعددت نفسك، كما لو كُنْتَ مقدمًا على القتال حتى الموت، ها - ها - ها، بينما لم يكن هناك سواي، الذى يمكنك التقاطه ووضعه فى جيبك، أنا، بالغ الصغر حتى إنك لو وضعته فى فمك لن يكون لديك مكان باقٍ، لتصفر من خلاله؟ ها _ ها! لم يكن عليك أن تتحمل مثل هذه المشقة!".

حسنًا، زفر الفهد تنهيدة الرضا وقال، "الفضل لـــ أولوران[٥٩]"، وثبَّت القرد على الأرض. "أوه، لا ! لا تضغطنى هكذا! أنت تعرف أننى لم أكن أبدًا بالغ البدانة! لن يبقى منى شيء! هل تعرف كيف يمكننى أن أسمن لذلك من الأفضل لى أن أتناول الطعام؟ يمكنك أن ترى، ألا يمكنك ذلك، إلى أى مدى أنا نحيل؟". "نعم، ومن ثم ما الذى يمكننا فعله لنجعلك أكثر سمنة؟" قال الفهد. "لا، اصغ إليَّ، قال له القرد، عليك أن تقطع قطعة حبل من أحد النباتات المتسلقة الزلقة، التى تنمو على الأرض، وتربط بها يدى معًا. ثم عليك أن ترمى بى إلى أعلى، وعندما أسقط فى الهواء وأهبط إلى الأرض، سوف أصبح أكثر سمنة بعض الشيء. وأكثر سمنة فى المرة التالية - سبع مرات كلها. كما تعرف، عندما يتم القذف بى بهذه الطريقة سبع مرات، سوف أكون أكثر سمنة منك! أيها الفهد، بهذه الطريقة سوف يكون لديك الكثير من اللحم، لتدعو إليه من تريد. قالوا لى إنه عليك أن يكون لديك لحم لتوزعه هنا وهناك". اندهش الفهد، "أوه، هل هذا صحيح؟". "وكما تعرف"

---

(٥٩) أولوران Oloran، مثل أولوداماری (كبير الآلهة لدى اليوربيين)، وله أسماء أخـــرى مثـــل إليداماری Eledumare وإليدا Eleda – المترجم

واصل القرد كلامه، "ليست هناك حفرة حولنا، يمكنني أن أختبئ فيها، هذا صحيح. لقد نلت مني. عليك أن تعرف فقط، وبكل تأكيد أنك قد نلت مني".

لذلك، ذهب الفهد وأحضر كرمة _ يا له من كائن بائس - ونوع الكرمة يطلق عليه ينفين yenghen. مزقها وكسر منها قطعة. ثم ربطها حول يدى القرد. "أووش! أووش! هل تحاول قتلى دون سبب معقول؟ اجعل الحبل رخوًا قليلاً!". لذلك جعله رخوًا بعض الشيء. ثم لفه حول يدى القرد وربطه بعقدة. ورمى به فى الهواء، فنفخ القرد من نفسه قليلاً. "حسنًا، لقد كبرت، هذا حقيقي!". يا له من كائن بائس! إنه ينجز عمله بشكل أفضل لأنه يريد أن يأكل.

عندئذ كانت المرة الثانية. "اقذفنى من جديد". "سأفعل". وقذفه إلى أعلى وسقط على الأرض من جديد. نفخ نفسه أكثر بعض الشيء. "والآن، ألا ترى أننى أكثر سمنة؟" "أجل! هذا صحيح، أنت أصبحت أكبر!". وصل إلى المرة الثالثة. رماه إلى أعلى للمرة الثالثة. سقط القرد على الأرض، ونفخ نفسه أكثر قليلًا. قال "انظر"، "يجب أن تقذفنى أعلى مما تفعل _ بهذه الطريقة سوف أكون أكثر سمنة". أيها الأصدقاء، لقد استحضر كل ما لديه من قوة، وقذفه إلى أعلى. تعرفون أن الشجرة المعروفة فى تلك الأيام باسم إكى eku، شجرة غليظة طويلة. حاول القرد أن يمسك بأوراقها، لكن يديه انزلقتا، وسقط من جديد على الأرض. جعل ينفخ فى نفسه أكثر فأكثر. قال الفهد، "ها!". "هكذا ترى أن الطريقة تنجح. هذا الكائن يصبح أكبر فأكبر، إنه لأمر حقيقي!" أجاب القرد. "حسنًا، لم تقم حتى الآن بالعمل بشكل أفضل كثيرًا. لم أهبط والريح تضربنى بالضربة القاضية بعد. لو أنك قذفتنى أعلى مما تفعل،

سوف أصبح أكثر سمنة بكثير، سأصبح سميناً مثل الفهد نفسه!". عندئذ استحضر الفهد كل قوته وقذفه وهو يندفع بسرعة، محدثاً صوتاً صافراً! مد القرد ذراعيه، وأمسك بفرع شجرة الإكي.

أيها الأب، لقد تسلق الأفرع، جيتى جيتى جيتي، باستخدام كلتا ساقيه وذراعيه للقبض على الشجرة. وأعلن أنه سينفض الندى على رأس كائن أعلى رتبة. حدق فيه الفهد مندهشاً. وانهمر كل ندى الشجرة كالمطر على رأس الفهد. قال الفهد "لقد هُزمت بالفعل". أولوداماري، لا تدعنا نعاني.

تألم الفهد من هزيمة ثانية، وقد كان فى قمة انتصاره. كان هذا أبعد ما وصلت إليه قبل عودتى إلى البيت.

_ يوروبى Yoruba

(٥)
رجل يستطيع تحويل نفسه

كان هناك رجل يسمى مبوكوث، وكان له أخ. كان الاثنـــان يتيمـــين ويعيشان معًا. ترك لهما والداهما بقرتين عندما توفيا، وفي يـــوم مـــا، قـــال مبوكوث لأخيه، "دعني آخذ هاتين البقرتين وأذهب إلى عـــراف، يمكنـــه أن يعطيني دواء ما، يعطي قوى سحرية". وسمح له أخوه الأكبر بأخذهما.

أخرج مبوكوث البقرتين من البيت، وقادهما إلى عراف مشهور فـــي جزء آخر من البلاد. عالجه العراف، وأعطاه قوى سحرية، بحيـــث يمكنـــه تحويل نفسه إلى أي نوع من الحيوانات يرغب فيه. وعاد إلى منزله، وحكى لأخيه ما حدث، وقال، "لو أنني تحولت إلى حيوان، لا تفشي لأي شخص عن سري".

في أحد الأيام كان مبوكوث قد حول نفسه إلى ثور ضخم، وقاده أخوه إلى السوق وباعه. وكل من رأوه وقفوا وحدقوا، مندهشين من أين أتى مثـــل هذا الثور؟!. جاء رجل يرغب في الشراء وسأل عن ثمن هذا الثور الكبيـــر. أبلغه الأخ أنه يمكنه مبادلته ببقرتين وخمس من الماعز. هكذا اشترى الرجل الثور، وهو يعتزم ذبحه لكسب ود الرجل الذي لديه ابنة، يرغب في الزواج منها.

قاد المشتري الثور في اتجاه بيته، لكن قبل أن يصلا، هـــرب الثـــور وجرى بعيدًا. طارده الرجل، دون أن يحرز نجاحًا، حتى أصـــابه الإنهـــاك. حوّل الثور نفسه بحيث يبدو نصفه أسد، ثم اختفى في الغابة. تتبع الرجل أثره

ورأى على الأرض علامات مخلب أسد، وصرخ، "لقد أكله أسـد بالفعـل!". وهكذا عاد إلى البيت، منزعجًا من أنه أضاع كل هذا الوقت والجهد. استمر الثور فى طريقه، وعندما أصبح على بعد كاف من المكان الذى يعيش فيـه الناس، حول نفسه، وعاد من جديد إلى رجل، وعاد مبوكـوث إلـى البيـت ورأى البقرتين والماعز التى حصل عليها وأحضرها أخوه من السوق فـى ذلك اليوم.

فى يوم سوق آخر، فعل هذان الأخان الشيء نفسه، ومرة أخرى حول مبوكوث نفسه إلى ثور. باعه أخوه مقابل عشر من الماعز، وقـاد المـاعز عائدًا إلى بيتهما، بينما كان مبوكوث يُقاد إلى بيت الرجل الذى اشتراه. ولكن لسوء حظهما، كان الرجل الذى اشترى الثور قد ذهب هو أيضًا إلى العراف، وكان لديه هو نفسه سحر قوى. وعندما اقتربا من بيت الرجل، هرب الثور، كما حدث فى الحادثة السابقة، وطارده المالك فى اتجاه الغابة. اقترب تمامًـا من الإمساك به، وقرر مبوكوث أن يحول نفسه إلى أسد، وكـان يظـن أن الرجل سوف يفزع إذا رأى أسدًا. لكن الرجل الآخر كان قادرًا هو أيضًا على التغير إلى أسد، واستمر فى مطاردة مبوكوث. وعندما أدرك مبوكوث أنـه على وشك أن يُقبض عليه، حول نفسه إلى طائر وطار مبتعدًا. لكن الرجـل الآخر حول نفسه إلى حدأة، وطارا كلاهما فى السماء، يطـاردان بعـضهما البعض.

ومن جديد، أدرك مبوكوث أنه يوشك أن يُقبض عليه، فعاد من ثم إلى الهبوط على الأرض، محولاً نفسه ظبيًا، وواصل الجـري. قـام مطـارده بتحويل نفسه إلى ذئب، وجرى الاثنان حتى استسلم مبوكوث أخيرًا، وقـال

للرجل الآخر، بعد أن عادا كلاهما إلى كائنين بشريين، "حسناً، دعنى أذهب إلى بيتى، وسوف أعيد لك الماعز الخاصة بك". عاد إلى بيته وأعطى مبوكوث للرجل عشرًا من الماعز. لأنه عرف أنه قابل مثيله فى أعمال السحر.

_ أكامبا Akamba

(٦)

حكاية امرأة عجوز

ذات مرة، كانت هناك امرأة عجوز، ليس لديها زوج ولا أقارب، وليس لديها مال ولا طعام. وفى يوم ما حملت بلطتها وذهبت إلى الغابة لقطع القليل من الحطب لتبيعه، حتى تستطيع شراء شيء تأكله. وسارت مسافة طويلة جدًا، حتى صارت فى قلب الدغل، واقتربت من شجرة ضخمة مغطاة بالأزهار، وكان اسم الشجرة ماسيوا Musiwa. رفعت المرأة بلطتها وبدأت فى قطع الشجرة. قالت لها الشجرة، "لماذا تقطعينني؟ ما الذى فعلته ضدك؟". قالت المرأة للشجرة، "أنا أقطعك لجمع بعض الحطب لبيعه، حتى يمكننى الحصول على بعض المال، لكى أشترى طعامًا حتى لا أموت من الجوع، لأننى فقيرة جدًا وليس لى زوج أو أقارب". قالت الشجرة، "دعينى أعطيك بعض الأطفال ليكونوا أطفالاً لك، يساعدونك فى عملك، لكن يجب ألا تضربيهم، أو توبخيهم". قالت المرأة، "حسنًا، لن أوبخهم". عندئذ تحولت أزهار الشجرة إلى كثير من الأولاد والبنات. واصطحبتهم المرأة إلى منزلها.

كان لكل طفل عمله الخاص، البعض يفلح الأرض للزراعة، وآخرون يصطادون الأفيال، ويبقى آخرون لصيد الأسماك. وكانت هناك بنات يقمن بأعمال قطع الحطب، وبنات يقمن بجمع الخضراوات، وبنات يسحقن الدقيق ويطبخنه. ولم يكن على المرأة العجوز أن تعمل بعد ذلك، حيث إنها أصبحت مبجلة.

من بين البنات، كانت واحدة هى أصغرهن جميعًا. وقال الآخرون للمرأة، "لا يجب أن تعمل هذه الفتاة الصغيرة. وعندما تكون جائعة وتبكى

طالبة الطعام، إعطيه لها، ولا تغضبى منها بسبب ذلك". قالت المرأة لهم، "حسنًا، يا أطفالي، أيًا كان ما تطلبونه منى فسوف أفعله".

وعاشوا معًا على هذا النحو لبعض الوقت. لم يكن على المرأة أن تعمل إلا لإطعام الفتاة الصغيرة عندما ترغب فى الأكل. وفى يوم ما قالت الفتاة للمرأة، "أنا جائعة جدًا. إعطنى بعض الطعام". وبخت المرأة الطفلة، قائلة لها، "تزعجوننى كثيرًا، أنتم يا أطفال الدغل! خذيه من الإناء بنفسك". بكت الطفلة، لأن المرأة وبختها. وجاء بعض من أخوتها وأخواتها، وسألوها عما حدث. وأخبرتهم قائلة، "عندما قلت إننى جائعة وطلبت بعض الطعام، قالت لى أمي، (كم أنا منزعجة من أطفال الدغل هؤلاء)". عندئذ انتظر الأولاد والبنات حتى عاد من كانوا يصطادون، وأخبروهم عما حدث. لذلك قالوا للمرأة، "حيث إنك تقولين إننا أطفال الدغل، فسوف نعود إلى أمنا ماسيوا، وستصبحين وحيدة". توسلت إليهم المرأة بكل الطرق، لكنهم لم يرغبوا فى البقاء. عادوا جميعًا إلى الشجرة، وأصبحوا أزهارًا من جديد، كما كان الأمر من قبل، وسخر كل الناس من المرأة. وظلت فى فقر حتى ماتت، لأنها لم تنتبه للوصية، التى أوصتها بها الشجرة.

ـــ بوندى Bondei

(٧)

ابنة الملك التى فقدت شعرها

منذ زمن بعيد، بعيد جدًا، كان يوجد ملك لديه ابنة واحدة. قال كل الناس فى مملكته إنها أكثر البنات جمالاً على وجه الأرض. كان وجهها يشبه الزجاج _ يتألق مثل الأحجار الكريمة مرتفعة الثمن _ وكانت عيناها تشبهان الشمس. لكن شعرها هو الذى كان يبهر الناس، لأنه كان بالغ الجمال إلى حد كبير، ولونه لم يكن لا أسود ولا ذهبيًا، ولكن بين اللونين. كان الشعر طويلًا جدًا حتى إنه كان يلمس الأرض، عندما تسير.

أحب الملك ابنته كثيرًا، وتعود أن يهب لها اللؤلؤ والماس؛ لأنها مولعة بهما. وكانت تحب أيضًا الزهور، وفى كل صباح كان يتم إحضار الزهور النضرة إلى حجرتها. فتضع بعضًا منها فى شعرها، وتضع الأخرى فى زهرية على المائدة. وكل من ذهب إلى قصر المالك كان يصيح، "كم سيكون من المثير للأسى لو أنها فقدت شعرها فى أى وقت؟!".

عندئذ، وفى صباح ما، بينما كانت الفتاة تقف بالقرب من النافذة فى حجرتها تنجز بعض المهام، جاء طائر يطير عابرًا. كان طائرًا كبيرًا جدًا، وقبيحًا، طائرًا لونه ضارب إلى الخضرة، وله عينان حمراوان مروعتين. بعض برهة قصيرة، عاد طائرًا، فى ذهاب وإياب أمام نافذتها. وفى النهاية، حط على شجرة قريبة، وحدق فى الفتاة الجميلة. ولم تره حتى تحدث الطائر إليها، وعندئذ اندهشت كثيرًا. قال الطائر، "مساء الخير، أيتها الفتاة المحبوبة! إن لك شعرًا جميلاً جدًا جدًا، سمعت عنه فى كل مكان. والآن أصدق ما قيل!". ابتسمت الفتاة وشعرت برضا حميم، وهى تسمع الطائر يصف

شعرها. عندئذ قالت، "كم هو رائع أن يكون لى شعر هو الأكثر جمالًا فى مملكة أبي! لدى شعر أكثر جمالًا من كل ما لدى النساء فى العالم!".

قال الطائر للأميرة، "والآن، لديك ما يكفيك من الشعر، لذلك فى وسعك بالتأكيد أن توفرى لى بعضًا منه. ليس لدى ما أبنى به عشًا. أحتاج شيئًا، بمثل رقة ونعومة هذا الشعر، لأضع بيضى عليه. وحيث إن لديك الكثير من الشعر، ألا تعطينى فقط خصلة صغيرة، سوف أكون فى غاية السعادة؟. أجابت الفتاة، "شعري؟ شعرى الجميل؟ مثل هذا الشعر المحبوب يوضع فى عشك ويُهدر! أنا ابنة ملك، وأحب شعرى أكثر من أى شيء على الأرض!". قال الطائر، "أستطيع أن أدفع لك مقابل إعطائى بعضًا من شعرك". أجابت، "لن أعطيك ولا حتى شعرة واحدة. لم أسمع مثل هذه الحماقة من قبل. ابتعد وإلا فسوف أنادى الجنود ليأتوا ويقتلوك".

عندئذ ابتسم الطائر وقال، "لا يمكنهم قتلي! ومن الأفضل ألا تناديهم، لأنهم لن يستطيعوا فعل ذلك حتى لو أرادوا. والآن، وللمرة الأخيرة، أيتها الأميرة، هل تعطيننى بعضًا من شعرك؟". استشاطت ابنة الملك غضبًا وصاحت، "لن أفعل ذلك!". وبمجرد أن أوشكت على البكاء، علّق الطائر قائلاً، "حسنًا، لا تعترضى على ما سيحدث إذن"، وطار محلقًا حول الشجرة، وهو يغني:

كما تسقط الأوراق فى موسم الجفاف،

دع شعر هذه الفتاة يسقط كذلك.

تعود الأوراق فى موسم الأمطار،

لكن متى ستستعيد شعرها؟

عندما انتهى الطائر من الغناء، تكلم مرة مع الفتاة وطار مبتعدًا، تاركًا إياها مذهولة ومذعورة.

والآن، وقد كفت الأمطار عن الهطول وأتى موسم الجفاف، بدأت ريح تعصف، وبدأت الشجرة خارج غرفة الأميرة تفقد أوراقها، حتى أصبحت الأوراق خلال وقت قصير، كلها على الأرض. وبنفس طريقة سقوط هذه الأوراق، بدأ يسقط شعر ابنة الملك. وكما يمكنك أن تتخيل، كانت غاضبة ثم أصبحت مكتئبة. رمت بنفسها وهى فى كرب شديد. ثم ذهبت لتخبر أباها. وعند سماعه قصتها، انفجر الملك ضاحكًا وقال، "كيف يمكن لطائر أن يتسبب فى فقدك الكثير من شعرك؟!". لم تكن الفتاة بالتأكيد سعيدة تمامًا برد فعل أبيها، وواصلت البكاء. واستمر شعرها فى التساقط. كانت بائسة إلى حد كبير، وحاولت الفتيات الأخريات اللائى أتين لتنظيف وتمشيط شعرها أن يلطفن عنها، لكنها لم تتوقف عن البكاء. اختفى كل شعرها، وبدت قبيحة إلى أقصى حد.

أمر الملك بجمع كل الحكماء والسحرة فى مملكته، وقال لهم، "أى شخص سيعيد الشعر على رأس ابنتي، فسوف أعطيه قطعًا كثيرة من الذهب". لكن كل من هؤلاء الحكماء والسحرة فشل فى إعادته.

ذات ليلة، بينما كانت ابنة الملك نائمة، حلمت بحلم. فى حلمها رأت شجرة تطرح شعرًا، ورأت شابًا رقص بمهارة فائقة وغنى هذه الأغنية:

حيث لا عشب،

ولا بذور نبات فى التربة،

قد ينمو هناك بعض العشب.

وفى الحلم رأت أن هذا الشاب عندما غنى هذه الأغنية، أخرج بذرة من كيسه وألقى بها على الأرض، وفى المكان الذى سقطت فيه البذرة، نمت شجرة على الفور. وعندما كبرت الشجرة طرحت فواكه، وعندما نضجت هذه الفاكهة، طرحت الكثير من الشعر، وغطى الشعر الشجرة بالكامل. وعندما استيقظت الفتاة فى الصباح، فكرت كثيرًا فى الحلم والشجرة التى طرحت شعرًا. لم تستطع التفكير فى أى شيء آخر طوال اليوم.

خرجت ونادت على أبيها، الملك، وقالت، "فى حلم رأيت شجرة ينمو منه الشعر. والآن، عليك إحضار حكمائك وسحرتك، وعليك أن تأمرهم بالبحث عن بذور هذه الشجرة". وهكذا استدعى الملك حكماءه وسحرته من جديد، وقال إنه سيعطى الكثير من القطع الذهبية، لمن يمكنه إحضار بذور الشجرة التى تطرح شعرًا. بحث كل الناس عن الشجرة، لكن لا أحد استطاع أن يعثر عليها أو على أى من بذورها. وفى الحقيقة، لم يكن أحد قد رآها أبدًا أو سمع عنها.

فى ذلك البلد، كان هناك شاب شديد الفقر ووحيد تمامًا. كان اسمه ميوما، وكانت لديه إصابة صغيرة فى ساقه. وعندما سمع أن الملك قد طلب من الناس البحث عن شجرة تطرح شعرًا، قرر أن يحاول العثور عليها، لأن مثل هذه الكمية الضخمة من الذهب ستجعله ثريًا. لم يكن له أب ولا أم، ولا أخ ولا أخت؛ ولا أقارب على أى حال. قال لنفسه، "لا أعرف لما لا أذهب للبحث عن هذه الشجرة". لذلك شرع فى رحلة للبحث عنها، لكن اتضح أنها رحلة حمقاء تمامًا!

خلال سفر الرجل، وصل إلى مكان، حيث تتكلم فيه الطيور مثل البشر، مكان وآخر تتكلم فيه الحيوانات مثل البشر أيضًا. رأى أشجارًا ذات

أصابع وعيون مثل البشر، وشعر أنه من المرجح تمامًا أن يجد الشجرة التى يريدها. بالطبع، أيًا كان المكان الذى يصل إليه، كان يسأل كل الطيور، والحيوانات، والأشجار عن الشجرة التى ينمو عليها شعر. واستمر يرحل لشهور كثيرة بهذه الطريقة. ظن أنه سيصل إلى المكان المطلوب بسرعة، لكنه وصل إلى البحر دون نجاح. صنع لنفسه زورقًا وبدأ فى الإبحار. وطوال الوقت الذى سافر فيه كان يتجه نحو الشرق.

أبحر ميوما ثم أبحر، حتى وصل إلى جزيرة. ومن مركبه، كان يمكنه أن يرى أنها جزيرة صغيرة جدًا وجرداء، وكان عليها ثلاث أشجار فقط. إحدى الأشجار تحمل حَبات بسلة حمراء، والثانية ذات لون رمادى أخضر يجعلها تشبه شجرة فضة، والثانية ذهبية، ومدهشة جدًا. كانت هذه الشجرة الثالثة شديدة الارتفاع، وكانت قمتها تشبه قبة ذهبية. وجه زورقه إلى شواطئ الجزيرة، وخرج من زورقه، وسار ثم وقف أسفل القبة الذهبية. وفجأة، مع انفجار صاخب جدًا، تشققت القبة إلى اثنتى عشرة قطعة. سقطت كلها على الأرض فى اللحظة نفسها وعلى الفور شب حريق فى كل الشجرة، وأحرقها حتى سطح الأرض.

أصيب ميوما بالفزع إلى أقصى حد، وهز رأسه ونظر إلى الأرض بينما كانت تجرى كل هذه الأحداث، وبعد أن تلاشى الصوت وانطفأ الحريق، التقط حبة بسلة حمراء من الأرض ووضعها فى كيسه، ثم التقط حبوبًا أخرى أيضًا، وحملها إلى زورقه. ثم أبحر من جديد، وقد تأكد حينئذ أنه كان على الطريق الصحيح، وأنه سرعان ما سيرى الشجرة التى يريدها.

بعد أن أبحر بعض الوقت، سمع صوتًا مرعدًا فى السماء. نظر إلى أعلى، ورأى طائرًا ضخمًا، حط على زورقه وحدق فى وجهه. سأله الطائر

ما إذا كان قد أحضر حبات البسلة الحمراء من الجزيرة الصغيرة، وأجاب بأنه فعل ذلك. عندئذ قال الطائر، "أزل غلاف حبة بسلة، افتحها، وإعطني حبة بسلة". عندما أكل الطائر البسلة، قال للشاب، "إلى أين أنت ذاهب؟". حكى للطائر ما حدث لابنة الملك، وكيف فقدت شعرها، وكيف أصبحت تواقة إلى استعادته.

بعد أن سمع الطائر القصة، قال، "أتذكر عندما ذهبت إلى بلدكم وتحدثت مع ابنة الملك عن شعرها. وأنا الذى قلت لها إنها سوف تفقد شعرها لأنها رفضت أن تعطينى القليل منه لأصنع عشي". طلب الطائر من ميوما حبة حمراء أخرى، وشرع فى أكلها، بينما كان ميوما يحكى له كيف حلمت ابنة الملك بحلم عن شجرة، ينمو فيها الشعر، وكيف وعد الملك بإعطاء جائزة ضخمة للشخص الذى يمكنه العثور على الشجرة. قال له الطائر، "سوف تبحث عن هذه الشجرة لوقت طويل. لو أن الفتاة كانت فى انتظار هذه الشجرة، أنا متأكد أنها ستنتظر وقتًا أطول بكثير برغم ذلك! وكان عليها أن تكون أكثر حكمة لو أنها كانت سخية معي!". ثم أعطاه الطائر إرشادات للعثور على الشجرة.

واصل ميوما الإبحار وظل مبحرًا أيامًا كثيرة أخرى حتى وصل إلى أرض جديدة. كانت الشجرة التى رآها هناك تتحرك هنا وهناك مثل الكائنات البشرية، لكنه لم يجد بشرًا يعيشون هناك، ولا حيوانات. وبينما كان يسير فى البلد الغريب، مر بالقرب من زهرة كانت تمد يديها بعيدًا، كما لو كانت تريد أن تمسك به، وصار مستعدًا للقضاء عليها بقوسه وسهامه، لكن الزهرة قالت له، "لا تقضى عليَّ! لم أؤذك!". توقف ميوما بالقرب منها. ثم واصلت الزهرة كلامها، "من أين أتيت؟ لم أر كائنًا بشريًا فى هذه المنطقة من قبل.

أنت أول إنسان يزور هذه الأرض". أجاب ميوما، "جئت في زورقي الكانو[٦٠]، للبحث عن شجرة تطرح شعرًا. اسمي ميوما". قالت الزهرة، "ما الذي تريد أن تفعله بهذه الشجرة؟ قل لي، بما أنك نجحت في الوصول إلى هنا حيًا، سوف أساعدك". هكذا حكى ميوما للزهرة عن ابنة الملك وعن رحلته إلى هذا البلد الجديد. قالت الزهرة، "الحبات الحمراء التي كنت تحملها من الجزيرة الصغيرة هي التي أنقذتك. لو لم تكن لديك، فإن الطائر الذي هبط إلى زورقك كان سيفترسك. احتفظ بما تبقى لديك منها، لأنها سوف تساعدك أمام الأخطار الكثيرة الأخرى القادمة". ثم بدأت الزهرة في البكاء، وتحير ميوما، وسألها، "ما الذي يمكنني أن أفعله لأساعدك؟" أجابت الزهرة، "إعطني واحدة من حباتك الحمراء، لأنني أتضور جوعًا، لكن احتفظ بالباقي، لأنها سوف تنقذك من الخطر. ثم انطلق، على الطريق نفسه، وسوف تجد الشجرة التي تحمل شعرًا بشريًا". أعطى ميوما الزهرة إحدى حباته الحمراء، ثم انطلق في طريقه.

عندئذ، بينما كان في رحلته، بدأ الطريق يصبح أكثر ضيقًا، والصخور التي بدت حتى ذلك الحين بعيدة، أصبحت أقرب. واصل رحلته، حتى وصل إلى منطقة لا توجد فيها سوى صخور جرداء. بدأت الريح تهب بشدة وتثور، كما لو أنها قد انتابها غضب شديد، ثم سُمع صوت صاخب مرعب في كل مكان حوله، كما لو أنه يأتي من شلال. وظل يسير حتى وصل إلى جلمود هائل يسد طريقه. توقف ونظر بحذر، ورأى بابًا صغيرًا، وعلى الباب كانت هناك كتابة، بأحرف ذهبية:

وحده الذي يعرف يمكنه الدخول،

---

(٦٠) الكانو canoe: زورق طويل ضيق يقاد بمجداف أو أكثر – المترجم

لا أحد غيره، ينجو الذى لا يخاف.

عندما رأى هذه الكتابة، تذكر ميوما إرشادات الطائر فى ما يتعلق بهذه الصخرة والباب، لذلك همس بالكلمات التى علمه إياها الطائر:

أنا الذى يعرف، يعرف،

إن الريح تهب، تهب،

إن الماء يتدفق، يتدفق،

هنا تنمو شجرة الشعر، تنمو،

أنا الذى يعرف، يعرف.

بمجرد أن انتهى من قول هذه الكلمات، انفتح الباب الصغير بنفسه، وتسلق ميوما إلى داخل الصخرة. وهناك، فى داخلها، رأى الشجرة التى تحمل شعرًا بشريًا، وعندما رآها، شعر بفرح غامر، لأنه عرف أنه قد وصل إلى نهاية رحلته الطويلة. اقترب والتقط أقصى ما يحتاج إلى أخذه معه، وأخذ بعضًا من ثمارها وبذورها أيضًا. ثم بدأ رحلة العودة إلى بلده.

عندما وصل، ذهب مباشرة إلى الملك وأعطاه الشعر لابنته. أعادوه على رأسها، ونما فوقه، وظهرت جميلة، كما لم تكن أبدًا من قبل. ابتهج الملك، وابنته، وكل الناس فى المملكة أيامًا كثيرة، وأعطى الملك لميوما الكثير من الذهب، وابنته أيضًا. أصبحت زوجة له. وهكذا عاش ميوما وابنة الملك سعيدين معًا أيامًا كثيرة.

هذه هى نهاية قصتي.

_ أكامبا Akamba

(٨)
ترضية مربحة

عندما أتى الناس فى البداية إلى العالم، لم تكن لدى الملك، دادا سيجبو، زوجة. استدعى كل الناس معًا. وأخرج صَدَفة بحرية، لأنها كانت ما يستخدمونه كنقود فى تلك الأيام. وطلب من شعبه أن يأخذوا هذه الصدفة ويجدوا زوجة له.

قال الناس لأنفسهم، "ما الذى يعنيه الملك؟ هل يمكن لشخص الحصول على زوجة بصدفة واحدة فقط؟ هذا مستحيل". واتفق الجميع: "لا يمكننا أن نفعل ذلك. لا يمكن لرجل أن يجد زوجة بصدفة واحدة".

لكن رجلًا واحدًا، يوو، تقدم إلى الأمام، وقال إنه يستطيع الحصول على فتاة بصدفة واحدة. قال دادا سيجبو، "جيد".

فى البداية أرسل يوو شخصًا لشراء أداة صوانية(٦١) وخيزران طرى بالصدَفة. ثم ذهب للبحث عن قش جاف، وأشعل فيه النار بالأداة الصوانية والخيزران. بدأت الجنادب المختبئة فى القش تقفز، وأحضر يوو الكيس الذى كان قد جهزه، وجمعها فيه.

وهكذا انطلق يوو فى طريقه ومعه كيس الجنادب، حتى وصل إلى بيت امرأة عجوز. فى ذلك الوقت، كانت المرأة تحاول تجفيف حبوب أمام بيتها، لكن الدجاج كان يأتى ليأكلها كلها قبل أن تكون جاهزة.

---

(٦١) أداة صوانية استخدمها الإنسان البدائى لإشعال النار - المترجم

قال يوو، "أليست لديك ذرة تعطيها لدجاجك؟". لكن ذلك كـان زمـن مجاعة، ولم يكن هناك أى شيء يُؤكل. عندئذ قال يوو للمرأة، "حسنًا، لـدى جنادب هنا. إذا وضعتها أمام دجاجك، سوف تترك حبوبك دون أن تمـسها". وافقت المرأة، وأعطاها الجنادب لدجاجها، لكنها بمجرد انتهائها من أكلهـا، أخذ الحبوب.

صاحت المرأة العجوز، "لكن، يوو، لماذا تأخذ حبوبي؟".

قال، "ألم تطلبى منى أن أرمى الجنادب لدجاجك؟ لقد اشتريت الحبوب بصدَفة".

الجنادب جاءت من القش،

والمال من أجل القش جاء من دادا سيجبو.

وهكذا انطلق يوو فى طريقه. عندئذ وصل إلـى نهـر، حيـث كـان الصيادون يصطادون الأسماك. رأى أن الناس من قرية توفى كانوا يحاولون أن يصطادوا، لكن لم يكن هناك ما تأكله الأسماك. لذلك قـال، "إذا رغبـتم، فسوف أرمى حبوبى فى النهر. وسوف تأتى الأسماك لتأكل وسوف يكـون لديكم صيد وافر".

قال الناس، "هذا صحيح، صحيح"، وطلبوا منه أن يرمـى بـالحبوب. وفورًا أمسك الصيادون بالكثير، الكثير جدًا من الأسماك.

التقط يوو أكبر سمكة له. صاح الصيادون خلفه، "لماذا تأخذ سمكتنا؟".

قال يوو، "هل نسيتم أنكم أخذتم حبوبي؟".

الحبوب جاءت من عند المرأة العجوز،

والمرأة العجوز أخذت جنادبي،

والجنادب أتت من القش،

والمال من أجل القش أتى من دادا سيجبو.

"أنا لا أفعل شيئًا دون الحصول على مكافأتي".

واصل يوو طريقه حتى وصل إلى مكان، حيث كان يعمل الحـــدادون. كانت هناك معازق على الأرض كلها، لكنه عنـــدما رأى الحـــدادين، كـــانوا مرهقين جدًا.

قال يوو، "لماذا أنتم مرهقون، أيها الحدادون؟ أليس لديكم ما تـــأكلون؟ إنكم لا تستطيعون حتى رفع مطارقكم. إذا رغبتم، فسوف أعطيكم ســـمكتي، بذلك يمكنكم أن تأكلوا".

قال الحدادون، "هذا صحيح، صحيح".

أخذوا السمكة، وأكلوا. عندما انتهوا من أكل السمكة، أخذ يوو المعازق وسكاكين الدغل، وملأ كيسه بها.

صاح الحدادون، "إلى أين أنت ذاهب، يوو؟ إلـــى أيـــن أنـــت ذاهـــب بمعازقنا وسكاكيننا؟".

لكن يوو قال للحدادين، "ألم تكونوا تعرفون ذلك، قبل أخذكم سمكتي؟".

السمكة جاءت من عند الصيادين،

والصيادون أخذوا حبوبي،

والحبوب جاءت من عند المرأة العجوز،

والمرأة العجوز أخذت جنادبي،

والجنادب جاءت من القش،

والقش جاء من مال حصلت عليه من دادا سيجبو.

عندئذ وصل يوو إلى حقل، حيث كان يعمل عدد من الرجال. وفى هذا الوقت، لم يكن لدى هؤلاء الرجال لا سكاكين ولا معازق. كانوا يعملون بأيديهم. سألهم، "ألا تريدون سكاكين دغل ومطارق لتعملوا بها؟".

أجاب الرجال، "نعم"، وهكذا أعطاهم الأدوات، التى عملوا بها بشكل أسرع.

ووقف يوو وراقب ما يحدث. وفى ذلك الوقت، كان لدى الرجال طبق حبوب ودقيق منيهوت(٦٢) يسمى أبلا abla. تقدم يوو وجمعه كله.

صاحوا، "يوو، يوو، ما الذى تفعله بطعامنا؟".

قال يوو، "ألا تعرفون؟".

المطارق جاءت من عند الحدادين،

والحدادون أخذوا سمكتي،

---

(٦٢) المنيهوت cassava: نبات استوائى يزرع من أجل جذوره الدرنية النشوية الكبيرة – المترجم

السمكة جاءت من النهر،

والصيادون أخذوا حبوبي،

والحبوب جاءت من عند المرأة العجوز،

والمرأة العجوز أخذت جنادبي،

والجنادب جاءت من القش،

والقش أخذ صدفتي،

والصدفة جاءت من دادا سيجبو.

"أنا لا أفعل شيئًا دون الحصول على مكافأتي".

وهكذا انطلق من جديد فى طريقه. سار زمنًا طويلاً، حتى وصل إلى منزل بجانب الطريق. فى ذلك المنزل، كانت هناك فتاة متوفاة. وكل الناس كانوا يولولون. لم يكن لديهم ما يأكلون، ولا يمكنهم دفن الجثة.

دخل يوو وقال لهم، "أرى أن ليس لديكم ما تأكلون. ولدى أبلا. قسموها بينكم واشربوا ماءً معها. عندئذ سوف تنتعشون، وسوف تجدون طريقة لدفن المتوفاة".

وهكذا جعلوا يوو يجلس أمام المتوفاة، رغم أنه كان دخيلًا عليهم. وفى الليل، بينما كان الآخرون يحفرون قبرًا، أخذ الجثة.

هرول الناس خلفه وصرخوا، "يوو، يوو، لماذا تأخذ جثتنا؟".

أجاب يوو، "ألا تعرفون؟"

الأبلا جاءت من المزارعين،

والمزارعون أخذوا مطارقي،

والمطارق جاءت من عند الحدادين،

والحدادون أكلوا سمكتي،

والسمكة جاءت من النهر،

والصيادون أخذوا حبوبي،

والحبوب جاءت من عند المرأة العجوز،

والمرأة العجوز أخذت جنادبي،

والجنادب جاءت من القش،

والقش جاء من صدفة واحدة،

والصدفة جاءت من دادا سيجبو.

وهكذا لم تعد لديه سوى الجثة. فى ذلك اليوم سافر يوو من الصباح الباكر حتى الليل. وذهب لرؤية ملك البلد، وقال له إن دادا سيجبو أخبره بأن يذهب ليبحث عن زوجة له. والآن، وقد وجدها، فإنه يرغب فى مكانٍ يقضى فيه الليل مع الفتاة التى تخص دادا سيجبو.

وضع الجثة فى البيت الذى أعدوه له، ودخل معها. وفى الفجر ترك الجثة هناك، وانطلق بعيدًا. وعند عودته فى الساعة السادسة، دخل البيت وبدأ يولول.

"لقد قتل الناس هنا زوجة دادا سيجبو. قتلوا زوجة دادا سيجبو! مـــاذا أفعل؟ ما الذى سأقوله لدادا سيجبو؟".

حينئذ استدعى كبير العائلة كل الناس. قال الناس، "يوو يكذب، كانـــت تلك المرأة ميتة عندما أتت هنا. لم يرها أحد. لم يقترب منهـــا أحـــد. يـــوو يخدعنا".

قال يوو، "لا أجرؤ على حمل هذه الجثة إلى دادا ســيجبو. لا بـــد أن أحصل على فتاة أخرى، تكون على نفس الدرجة من الجمال".

اجتمع كل الرؤساء معًا وتولوا هذا الأمر. قالوا، "لا يمكننا إغـــضاب دادا سيجبو. قال يوو إنه أحضر هذه المرأة هنا حية. والآن هى ميتـــة. لقـــد ماتت فى قريتنا. علينا أن نجد امرأة أخرى". وحيث إن ملك هذا البلد كـــان لديه ابنة شابة مهذبة، قالوا إنه يجب أن يعطيها ليوو من أجل دادا سيجبو.

بدأ يوو يولول من جديد. "ما الذى سوف أفعله؟ ما الذى سأقوله لـــدادا سيبجبو؟".

وهكذا أعطوه الفتاة، وواصل طريقه. ووصلا إلى قرية تسمى بودينى ماوى بود. ومنها أرسل يوو راسلة إلى دادا سيجبو بأنه بصدفة واحدة عثـــر له على زوجة.

بدأت الفتاة تغني:

الجوع يأتى من بعيد،

تتبع الجوع الطريق إلى هنا،

والأمعاء تأتى من بعيد،

الأمعاء تتبعت الطريق إلى هنا.

عندئذ، أرسل دادا سيجبو الكثير من الرجال لمقابلة يوو على الطريق. وكان لديه أيضًا الكثير، الكثير جدًا، من الأطباق التي طهيت وأرسلها على الطريق إلى الرجال. وحصلت الفتاة ويوو على كثير من الأكل. وعندما أتى الطعام، قالت الفتاة، "ابتلعوا بسرعة". وعندما قالت ذلك، اختفى الطعام، وذُهل يوو.

وهكذا وصلت الفتاة ويوو إلى مكان اسمه تودوجبا. أرسل يوو رسالة أخرى إلى دادا سيجبو يطلب منه طعامًا، وأرسل له دادا سيجبو أكثر مما أرسله من قبل. كان هناك ستمائة وأربعون ثمرة قرع مملوءة بالطعام. وكان هناك ماء. كانت هناك قوارير مليئة بشراب قوي. عندما رأت الفتاة الطعام آت، بدأت تغني الأغنية نفسها من جديد.

الجوع يأتي من بعيد،

تتبع الجوع الطريق إلى هنا،

والأمعاء تأتي من بعيد،

الأمعاء تتبعت الطريق إلى هنا.

وعندما اقترب الرجال والنساء بالطعام كله، صاحت الفتاة، "ابتلعوا بسرعة". واختفى الطعام.

قال يوو لمن جاءوا من عند داد سيجبو، "هذه المرأة تدهشني إنها لا تأكل أبدًا بيديها، لكنها عندما تقول (ابتلعوا بسرعة) يختفي الطعام". بعث برسالة إلى دادا سيجبو يقول إنه يريد أربعين بندقية وبارودًا، وثمانمائة ثمرة قرع مملوءة بالطعام.

عندما رأت الفتاة الطعام الجديد يقترب، بدأت تغنى الأغنية نفسها:

الجوع يأتى من بعيد،

تتبع الجوع الطريق إلى هنا،

والأمعاء تأتى من بعيد،

الأمعاء تتبعت الطريق إلى هنا.

عندئذ، عاد الناس ليخبروا دادا سيجبو بأن الفتاة كانت أكثر قدرة منهم. ففى لحظة رؤيتها للطعام آتيًا، جعلت تصرخ "ابتلعوا بسرعة" واختفى كل شىء.

لكن يوو أرسل برغم ذلك طلبًا آخر للطعام من دادا سيجبو. وفى هذه المرة طلب ثلاثة آلاف ثمرة قرع. جاء الطعام، وفعلت الفتاة الشيء نفسه من جديد، لكن فى تلك المرة، عندما جعلت الطعام يختفي، بدأت تأكل الرجال. فى اللحظة التى رأت فيها رجلًا يقترب، صاحت "ابتلعوا بسرعة" ولم يعد من الممكن رؤية الرجل بعد ذلك.

أسرع رجل ليخبر دادا سيجبو بأن الفتاة شريرة. لقد قضت على ثلاثة آلاف ثمرة قرع، وها هى قد قضت على الرجال. استدعى دادا سيجبو كل شيوخ القبائل. قالوا، "من المرعب أن تكون لديك امرأة جميلة مثل هذه، تأكل الناس. إن هذا أمر بالغ الغرابة".

أحضروا الفتاة إلى دادا سيجبو. وتجمع كل الناس فى البلد أمام باب الملك ليروها. لكن فى لحظة تثبيتها لعينيها على رجل وقولها، "ابتلعوا بسرعة" اختفى الرجل.

سأل دادا سيجبو رئيس الوزراء، مينجا، "ما الذى سنفعله الآن؟ ها هى فتاة أكلت الكثير، ولم تكتف حتى تأكل الرجال أيضًا. ما الذى سنفعله؟".

قال رئيس الوزراء، "هذه المرأة تعرف فقط كيف تقتل. دعنا نقتلهـــا. يوو ليست لديه عائلة، لذلك ليس هو الرجل الذى يُرسل للعثور على زوجة".

فى وقتنا الحاضر، من أجل الزواج، على الرجل أن يكون لديه الكثير من المال. وفى الأزمنة السابقة، لا يحتاج الرجل سوى إلى صـــدَفة واحـــدة للزواج، لكن كل ما كان مرجحًا أن يحصل عليه الرجل بها هو ساحرة.؟

– داهومى Dahomey

(٩)

الرجل وفأر المسك

كان هناك أحد الصيادين، اعتاد الخروج مع كلبه للبحث عن لحم صيد يعود به لزوجته وأطفاله. وذات يوم قال، "سوف أدخل فى عمق الدغل لأن الطرائد أصبحت نادرة هذه الأيام". خرج بقوسه وسهامه ورمحه وكلبه.

بعد أن قطع جزءًا من الطريق، سمع صوتًا يقول، "أوو، أنت، أيها الصياد، ساعدنى عبر الطرق المتشعبة وسوف أساعدك فى يوم آخر".

نظر حوله دون أن يرى الذى تكلم إليه، ثم توقف، وقال، "من هذا الذى يتكلم؟ ألا تكلمت من جديد، حتى يمكننى رؤية من أنت؟".

عندئذ سمع مرة أخرى: "أوو، سيدي، ساعدنى عبر الطرق المتشابكة وسوف أساعدك فى وقت ما آخر _ أنا، فأر مسك"[٦٣].

نظر الرجل إلى أسفل ورأى الحيوان، وقال، "سوف أساعدك لتعبر الطريق، ومع أنك تصدر رائحة عفنة جدًا تجعل رائحتى مماثلة".

أجاب فأر المسك، "أوو لا، سيدي، ساعدنى فقط لعبور الطريق، لأننى لو لم أعبر فسوف أموت. إذا ساعدتني، فسأساعدك فى يوم ما".

قال الرجل، "ماذا تقول! أنت بالغ الصغر سوف تنقذنى وأنا بكل هذه الضخامة؟ ما الذى يمكنه هزيمتى وتستطيع أنت التغلب عليه؟ أنت تكذب، أيها الحيوان الصغير!".

---

(٦٤) فأر المسك muskrat: قارض مائى له غطاء بنى يستخدم بشكل واسع كفراء – المترجم

أجاب فأر المسك، "أوو، لا سيدي، فقط ارفعنى بقوسك إذا كنت تخشى أن أجعل رائحتك عفنة، وارم بى، بحيث أسقط على الجانب الآخر من الطريق، وفى يوم ما سوف أنقذك من مشكلة صعبة!".

تناول الرجل النبيل قوسه ورفع فأر المسك فوق الطريق، وأسقطه على الجانب الآخر.

"أشكرك كثيرًا بشفقتك عليّ"، قالها فأر المسك. ثم شق كل منهما طريقين منفصلين. كان هذا هو كل ما حدث فى ذلك اليوم.

فى المساء، عاد الرجل إلى البيت وحكى لزوجته مقابلته فأر المسك وما قاله له. قالت زوجته بازدراء، "يا لها من وقاحة! كيف يمكن لفأر أن يساعدك!". أجاب الزوج، "حسنًا، ظننت ذلك أيضًا، عندما قال إنه قد يساعدنى فى يوم ما، لكن هذا ما وعدنى به". ونام الأب حتى الصباح. وقضى ذلك اليوم فى القرية، قائلاً إنه فى اليوم التالى سوف يذهب للصيد فى الدغل. وعندما عاد الظلام، نام من جديد.

جاء الصباح، وقال لزوجته، "أوو، يا زوجتي، جهزى لى بعض الطعام حتى يمكننى أن آكل، لأننى ذاهب اليوم إلى مكان أبعد مما ذهبت فى أى وقت".

سخنت زوجته بعض التوابل، وشوت بعض الدقيق، وجهزت عصيدة دخن. أكل زوجها حتى شبع. ثم أخذ أجهزة صيده المعتادة، ونادى على كلبه، وانطلق خارجًا.

ظل يسير حتى قطع مسافة طويلة. وفى ذلك الوقت، كان موسم الرطوبة، وكانت السماء محملة بالمطر، مع سحب هائلة تغطى المشهد. قال لنفسه، "نعم، اليوم سيغمرنى الماء، لكن ماذا يمكننى أن أفعل؟".

وفكر، "فقط علىَّ أن أجد مكانًا ألجأ إليه" _ فى هذا الطقس كان الإنسان مهددًا بالموت بالتأكيد، أو على الأقل يكون قد أجهد نفسه ، وبعد ذلك يصطاد ثلاثة من الغرغر[٦٤].

واصل السير ثم، لحسن الحظ، لاحظ كهفًا ودخل فيه مع كلبه بمجرد أن بدأ المطر ينهال ساقطًا. حسنًا، هناك كان يختبئ فى الظلام فأر المسك أيضًا.

عندئذ حدث أن أسدًا ما، كان يصطاد هو الآخر، كان هو نفسه يبحث عن مأوى يحميه من المطر، وجاء إلى الكهف نفسه. حدق الرجل ورأى الأسد، وقد أصبح فى الداخل. استحوذ عليه الخوف، وبدأ كلبه ينبح، لكن الرجل أسكته بأن أمسك بخطمه. ثم قال، "حسنًا، أيها الأسد، قد تأكلني، لكننى أريد أن أقول إننى لست لصًا، لم أسرق ما لدى الناس، ولم أسط على مخازن قمحهم، ولم أقتل أى شخص أبدًا. أنا مجرد رجل دغل، رجل فقير له زوجة وأطفال، وأنا مثلك، كنت أبحث عن طعام، وجاء بك المطر إلى هنا، وهكذا يمكنك أن تأكلني".

عندئذ بدأ الأسد يزأر، حتى تساقطت الدموع من عينى الرجل، قطرة قطرة قطرة. قبض على أسلحته بشجاعة رجولية، لكن الأسد استمر يزأر بل ازداد زئيره، حتى ارتج الكهف، وبدا كما لو أنه سينهار.

---

(٦٤) الغرغر guinea fowl: الدجاج الحبشى ذو ريش مسود مرقط بنقط بيضاء صغيرة. المترجم

عندئذ قال الأسد للرجل، "أوو، سيدي، إعط لكلبك هذا الغرغر هنـــاك، وعندما ينهى أكله، يمكنك أكل الكلب، وأخيرًا سوف آكلـــك. مـــا قولـــك؟". والرجل النبيل، وقد شعر فى ذلك الوقت بأنه فى ورطة، قال، "نعـــم، اليـــوم سوف أموت بسبب عملى هذا فى الصيد!".

قال له الأسد من جديد، "أنت يا سيدي، إعط كلبك الغرغر، وبعـــد أن يأكل، عندئذ تأكل الكلب، ثم آكلك بعد ذلك. ما قولك؟".

فى تلك اللحظة سمعا صوتًا يأتى من مكان ما فى الكهف، قائلاً، "نعم، سيدي، إعط الغرغر لكلبك، وبعد أن يكون قد أكل، يمكنك أن تأكل الكلـــب، ويمكن للسيد الأسد أن يأكلك، وعندما يكون قد أكلك، سوف آكلـــه". عنـــدما انتهى فأر المسك من قوله هذا، أضاف، "حسنًا، أيهـــا الأولاد فـــى حرســـى الشخصى الملكي، ماذا تقولون؟".

أجابت الأرضة[٦٥] فى جدران الكهف، "ممممممممم".

عند ذلك، ذهل الأسد والرجل، وهما مندهشان من هذا الذى يتكلم فـــى هذا المكان. عندئذ سمعا من جديد، "أنت يا سيدي، إعـــط الغرغـــر للكلـــب، وعليك أن تأكل الكلب، وسوف يأكلك الأسد، ثم سآكل أنا الأسد. أليس هـــذا صحيحًا، يا رجـــال حرســـى الشخـــصى الملكـــي؟". وأجابـــت الأرضـــة، "ممممممممم".

عندئذ، كان تفكير الأسد يزداد حول أن يتم أكله أكثر من تفكيره فـــى أكل أى كائن آخر، وقال له الرجل، "امنع الكهف من الانهيار، وسوف أذهب

(٦٥) الأرضة: نمل أبيض يتغذى على الخشب، مدمرا الأشجار والمبانى الخشبية - المترجم

لقطع بعض الدعامات الخشبية حتى يمكننا أن نسنده". وافق الأسد. ثم خرج الرجل، والأسد لا يزال رافعًا للكهف، وهو يظن أنه قد ينهار. خرج الرجل مهرولاً بأسرع ما يمكنه، وكذلك فعل كلبه، ولم يتوقفا حتى وصلا إلى البيت.

وذات يوم، قابل فأر المسك مرة أخرى، وقال الفأر، "هل عرفت من الذى كان يتكلم فى الكهف، قائلاً، (أوو، سيدي، إعط الغرغر للكلب وأنت تأكل الكلب والأسد يمكنه أن يأكلك، ثم سوف آكل الأسد؟). ألم أقل إننى قد أنجيك، عندما ساعدتنى فى عبور الطريق؟ وفى الحقيقة لقد أخفت الأسد وأنقذتك".

شكره الرجل كثيرًا، ثم ذهب إلى البيت وحكى لزوجته، وكانوا جميعًا سعداء.

ـــ فيبا Fipa

(١٠)

معزقة الأرنب البري

ذات يوم قال الأرنب البرى للظبى الرمادي، "دعنا نذهب لنبذر البسلة"، لكن الظبى قال، "لا أحب البسلة، أفضل الفول البري"، لذلك ذهب الأرنب بمفرده. وعندما بدأت البسلة تتبرعم، لاحظ أنها تختفي، لذلك تَخفَّى فى الحقل، وأمسك بالظبى وهو يقتلع بسلته. "أها!"، قال، "أنت اللص. ادفع الغرامة!".

أعطى له الظبى معزقة، ثم انطلق فى طريقه.

قابل بعض النساء اللائى كن يحفرن فى الطين بعصي. قال لهن، "أليستْ لديكن أى معازق؟" "لا"، هذا ما قلنه، "ليس لدينا أى منها". "إذن خذن هذه"، هذا ما قاله. "يمكنكن إعادتها لى فيما بعد". وعندما انتهين من العمل، قامت آخر واحدة تستخدم المعزقة بتحطيمها. عندئذ غنى الأرنب الأغنية التالية:

يا حافرات فى الطين، يا صديقاتي،

أعدن إلى المعزقة التى أعطانى إياها الظبي،

الظبى الذى دفع غرامة مقابل بسلتي.

رفعت النساء أحد أوعيتهن، وأعطينه إياه.

غادر المكان، وقابل بعض الرجال، الذين كانوا يجمعون العسل، وكانوا يضعونه فى قطعة من لحاء الشجر. "أليس لديكم أى إناء لوضع هذا

العسل فيه؟" سألهم. "لا"، قالوا، "ليس لدينا أي إناء". وهكذا أعطاهم إناءه. وآخر من استعمله حطمه. وعندما تحطم غنى الأرنب:

يا جامعي العسل، أعيدوا إلى وعائي،

وعائي الذي أعطينه لي حفارات الطين،

أعطته لي حفارات الطين مقابل معزقتي،

معزقتي التي أعطاها الظبي لي،

الظبي الذي دفع غرامة مقابل بسلتي.

وهكذا أخذوا بعضًا من عسلهم وأعطوه له.

وصل إلى قرية، ورأى هناك نساء يسحقن دقيق الذرة الصفراء. قال لهن، "أليس لديكن أي عسل لمزجه بالدقيق؟". "لا"، قلن، "ليس لدينا منه شيء". وهكذا أعطاهن عسله، قائلاً، "خذنه، لكن إحرصن على إبقاء بعض منه لي". لكن آخر واحدة منهن استهلكته كله. عندئذ غنى:

يا ساحقات بالهاون، أعدن لي عسلي،

العسل الذي أعطاه لي جامعو العسل،

جامعو العسل الذين دفعوا لي لقاء وعائي،

الوعاء الذي أعطينه لي حفارات الطين،

حفارات الطين اللائي دفعن مقابل معزقتي،

المعزقة التي أعطاها الظبي لي،

الظبى الذى دفع غرامة مقابل بسلتي.

أخذن بعضنا من عجينهن وأعطوه له.

واصل طريقه، وقابل بعض الأولاد يرعون الماعز.. "أليس لديكم أى شيء تأكلونه؟" قال لهم، "شفاهكم تبدو شديدة الجفاف". "لا"، أجابوه، "ليس لدينا أى طعام على أى حال". وهكذا أعطاهم العجينة، قائلًا، "كلوها! لكن اتركوا لى بعضنا منها". أكل آخر واحد منهم آخر لقمة. عندئذ غنى الأرنب:

يا رعاة الماعز، أعيدوا إلى عجينتي،

العجينة التى أعطانى إياها الساحقات بالهاون،

الساحقات بالهاون دفعن مقابل عسلي،

العسل الذى أعطاه لى جامعو العسل،

جامعو العسل الذين دفعوا لى لقاء وعائي،

الوعاء الذى أعطينه لى حفارات الطين،

حفارات الطين اللائى دفعن مقابل معزقتي،

المعزقة التى أعطاها الظبى لي،

الظبى الذى دفع غرامة مقابل بسلتي.

أخذوا معزاة، وأعطوها له.

قابل بعض الشباب يرعون ثيرانًا. قال لهم، "شفاهكم تبدو جافة جدًا، أليس لديكم ما تأكلونه؟" "لا"، قالوا له، "ليس لدينا أى شيء". وهكذا قال،

"خذوا هذه المعزاة، لكن تأكدوا من أنكم قد تركتم بعضًا منها لـــي". آخـــرهم التهم آخر لقمة. عندئذ غنى الأرنب:

يا مربى الماشية، أعيدوا إلى معزاتي،

المعزاة التى أعطاها لى رعاة الماعز،

الرعاة الذين دفعوا لى مقابل عجينتي،

العجينة التى أعطانى إياها الساحقات بالهاون،

الساحقات بالهاون دفعن مقابل عسلي،

العسل الذى أعطاه لى جامعو العسل،

جامعو العسل الذين دفعوا لى لقاء وعائي،

الوعاء الذى أعطينه لى حفارات الطين،

حفارات الطين اللائى دفعن مقابل معزقتي،

المعزقة التى أعطاها الظبى لي،

الظبى الذى دفع غرامة مقابل بسلتي.

أمسكوا به وضربوه، وعندما كان فاقد الوعى تمامًـــا، أخرجـــوه مـــن القرية، بعد أن ظنوا أنه ميت. لكنه استعاد شعوره وتسلق شجرة، التى كانت فى وسط القرية، بالضبط فى المكان الذى كانوا يشربون فيه الجعـــة، ولـــم يلاحظه أحد، وعندما وصل إلى قمة الشجرة، جذب فى اتجاهه كـــل الجعـــة الخفيفة والماء فى الآبار، بطريقة جعلتها كلها تنسكب على الأرض، وسرعان

ما وجد الناس أنه ليس هناك ما يشربونه. صرخ الصغار، طالبين الماء، ولم يكن هناك ماء! وبدأ الرجال والنساء يفتشون عن الماء، لكنهم لم يجدوا أى ماء، وحتى الأنهار كانت قد جفت كلها! مات الصغار، وأيضًا كل من الرجال والنساء! مجرد قلة هى التى نجت. وهؤلاء ذهبوا إلى الأرنب، وقالوا له، "يا سيدنا، نريد ماءً، لأننا نموت من العطش". "اقتلعوا هذا القصب من جذوره"، قالها لهم. كل الرجال، حتى الأكثر قوة من بينهم، حاولوا بكل جهد اقتلاع القصب، لكنهم لم ينجحوا فى ذلك. "والآن" قال الأرنب، وبإصبع واحد، اقتلعه من الأرض، ومن ذلك الوقت فصاعدًا تدفق الماء والجعة، الخفيفة والقوية. عندئذ قال، "أعطونى خمس نساء عجائز". وجعلهن يغطسن فى البحيرة، وأغرقهن. بعد ذلك، خصصوا له إقليمًا صغيرًا، حيث حكمه كأعلى رئيس له.

_ تانجا Thanga

(١١)

سبب هروب الأرنب البري

هذه قصة عن الأرنب البرى وبقية الحيوانات.

كان الطقس الجاف قد جعل الأرض قاحلة، حتى أصبحت قاسية. لم يكن هناك أى ندى. وحتى كائنات الماء كانت تعانى من العطش. وسرعان ما جاءت المجاعة، واجتمعت الحيوانات، التى لم تعد تجد ما تأكله، فى مجلس للتباحث فى الأمر.

"ماذا سنفعل"، قالوا، "لحماية أنفسنا من الموت والجوع والعطش؟". وتشاوروا زمنًا طويلاً.

فى النهاية قرروا أن كل حيوان عليه أن يقطع طرفى أذنيه، ويستخرج الدهن منهما. ثم يتم جمع كل الدهن وبيعه، وبالمال الذى سيحصلون عليه، يمكنهم شراء معزقة وحفر بئر، لكى يحصلوا على بعض الماء.

وكلهم صاحوا، "إنها البئر. دعنا نقطع أطراف آذاننا".

فعلوا ذلك، لكن عندما جاء دور الأرنب البرى، رفض.

اندهشت الحيوانات الأخرى، لكنهم لم ينطقوا بشيء. أخذوا الآذان، واستخرجوا الدهن، وذهبوا لبيعه كله، واشتروا معزقة بالمال.

عادوا بالمعزقة وبدأوا حفر البئر فى قاع بحيرة جافة، حتى وجدوا الماء أخيرًا. قالوا، "ها! أخيرًا يمكننا أن نروى عطشنا قليلاً".

لم يكن الأرنب هناك، لكن عندما أصبحت الشمس فى منتصف السماء، أخذ ثمرة قرع فارغة وذهب نحو البئر.

عندما سار فى طريقه، كان يسحب ثمرة القرع على الأرض، فأحدثت ضجة كبيرة. وقالت، "شان - جان - جان - جان، شان - جان - جان - جان".

والحيوانات، التى كانت تراقب من البحيرة، سمعت هذه الضجة المرعبة وخافت. سألوا بعضهم البعض، "ما هذا؟" ثم، مع اقتراب الضجة المستمرة، هربوا. وعندما وصلوا إلى بيوتهم، قالوا إن هناك شيئًا مرعبًا عند البحيرة جعلهم يهربون.

عندما اختفت كل الحيوانات، استطاع الأرنب أن يسحب الماء من البحيرة دون إعاقة. ثم هبط فى البئر واستحم، حتى إن الماء أصبح موحلًا.

وفى اليوم التالي، هرولت كل الحيوانات لإحضار الماء، ووجدوه موحلًا.

"أوو"، صاحوا، "من الذى أفسد بئرنا؟".

بعد قولهم هذا، ذهبوا وأخذوا دمية تمثال. وصنعوا دبقًا[٦٦] دهنوا به التمثال.

ثم، بعد أن أصبحت الشمس فى منتصف السماء من جديد، ذهبت كل الحيوانات للاختباء فى الدغل القريب من البئر.

---

(٦٦) الدبق: مادة لزجة توضع على الفروع والغصينات للإمساك بالطيور الصغيرة - المترجم

من فوره أتى الأرنب، وكانت ثمرة القرع تصيح، "شان – جان – جان – جان، شان – جان – جان – جان". واقترب من التمثال. لم يظن أبـــدًا أن كل الحيوانات مختبئة فى الدغل.

ألقى الأرنب التحية على التمثال. لم يقل التمثال شيئًا. حياه من جديد، وبرغم ذلك لم يقل التمثال شيئًا.

"خذ حذرك"، قال الأرنب، "وإلا فإننى سأصفعك".

صفعه، والتصقت يده اليمنى بسرعة فى الدبق. صفع بيده اليـــسرى، فأمسك بها الدبق بسرعة أيضًا.

"أوو! أوو!" صاح، "سوف أضرب بقدمىّ"، وفعل ذلك، لكـــن قدميـــه أصبحتا مثبتتين، ولم يستطع النجاة.

عندئذ خرجت الحيوانات من الدغل وأتت، لترى الأرنب وثمرة القرع.

"يا للعار، يا للعار، أوو، الأرنب!" صاحوا معًا. "ألم توافقنا على قطـــع طرفى أذنيك، وعندما جاء دورك، ألم ترفض؟ ماذا! أنت رفضت، ومع ذلك تأتى لتوحل ماءنا؟".

حملوا سياطًا، وانقضوا على الأرنب وضربوه. ضربوه حتى قـــاربوا على قتله.

"يجب أن نقتلك، أيها الأرنب البغيض"، قالوا، "ولكن لا _ إجر".

تركوه يذهب، وهرب الأرنب. ومنذ ذلك الحين، لم يترك العشب.

_ إوى Ewe

(١٢)

ذكر السلحفاة والصقر

ذات مرة، كانت لدى رئيس قرية ابنة جميلة، وقال للناس إنه لن يحصل عليها أحد إلا إذا تنافسوا عليها. والرجل الذى يتفوق على زملائه، سيصبح صهره. هكذا جاء صقر وذكر سلحفاة برية، قالا للرئيس إنهما يريدان أن يتنافسا. قال لهما، "اذهبا إلى بانجانى Pangani، وانتظرا يوما، ويومًا آخر، وفى اليوم الثالث ابدآ فى الصباح، وعليكما أن تكونا فى فافا Vagha بعد خمسة أيام".

وانطلقا. حينئذ عرف ذكر السلحفاة أنه لن يمكنه السير كل هذه المسافة بهذه السرعة، لذلك بحث عن رفاقه، وقال لهم، "ساعدونى فى هذه المهمة، لأننى إذا هُزمت سيكون الوضع، كما لو أنكم هُزمتم".

وافقوا على اقتراحه وقالوا، "سوف نساعدك، لكن ما الذى يمكننا أن نفعله؟ لا أحد من بيننا يمكنه أن يسير بسرعة". قال أحدهم، "دعنا نصادق الأرنب البري، وسوف يساعدنا". وهكذا جاءوا إلى الأرنب، الذى كان جالسًا فى بيته، وحيوه، وشرحوا له المشكلة. سأل الأرنب عن كيفية مساعدته لهم. قالوا، "لدينا عشرة أماكن توقف فى الأيام الخمسة، اثنان لكل يوم. الآن تذهب إلى بانجاني، وتضع أحدنا هناك، ثم واحد فى كل مكان توقف عندما تصل إليه، لكن كل واحد يجب أن يُطلق عليه مادالامبا، لأن الاسم الموجود فى فافا هو مادالامبا". هكذا ذهب الأرنب إلى بانجاني، ووضع الأول، وقال له إن اسمه يجب أن يكون مادالامبا. واستمر ووضع الباقين، قائلاً الشيء نفسه لكل منهم.

حينئذ جاء اليوم الثالث، الصباح الـذى علـيهم أن يغـادروا خلالـه بانجاني. وهناك خرج ذكر السلحفاة مع الصقر، هو على أقدامـه، والطـائر يطير. وعندما تابعا السباق فى جزء من الطريق، أخفى ذكر السلحفاة نفسه. طار الصقر حتى مكان التوقف الأول، واستقر على شجرة، وهو يفكر، "الآن لقد تركت ذكر السلحفاة ورائى بعيدًا، لكن برغم ذلك على فقـط أن أناديـه لأعرف إذا ما كان يجيب أم لا". وهكذا نادى، "مادالامبا، مادالامبا". وسـمع خلفه، "يوو"، وعندما اختلس النظر أسفله، رأى أن ذكر السلحفاة كان هناك. قال الصقر لمادالامبا، "دعنا نستمر فى السباق"، وأجـاب، "موافـق". طـار الصقر وتهادى ذكر السلحفاة فى طريقه ببطء، ثم أخفى نفسه. لـم يتوقـف الصقر عن الطيران، "سأحصل على ابنة الرئيس"، قال لنفسه. واستمر طائرًا إلى المرحلة التالية.

كان الوقت مساء، وحدق الصقر. رأى أسفله كائنًا حيًا يطبخ فى وعاء، ويبحث عن حطب لإشعال نار. ظل الصقر صامتًا حتى رأى الحطب يشتعل، فقال عندئذ، "سأحاول أن أناديه، لكننى أعرف أنه بالتأكيد لا يمكن أن يكـون مادالامبا". نادى الصقر، "مادالامبا". أجاب ذكر السلحفاة، "يوو". قال، "متـى وصلت؟" أجاب، "ألا تعرف أننا وصلنا معًا؟". ناما. وفـى الـصباح نـادى الصقر، "مادالامبا". أجاب، "يوو". وقال الصقر، "دعنا نرحل"، وأجاب ذكـر السلحفاة، "موافق". وهكذا انطلقا.

طار الصقر إلى مكان التوقف الثالث، ونظر إلى أسفل لكنه لم ير شيئًا. ظل صامتًا فترة وجيزة، ورأى مادالامبا يظهر، وسأله، "أين كنـت؟". قـال مادالامبا، "تركتنى خلفك بقليل". استراحا، وبعد أن استراحا انطلقـا مـسافة

قصيرة، وأخفى ذكر السلحفاة نفسه. وفى المساء، طار الصقر فى المرحلـــة الرابعة، ورأى أن ذكر السلحفاة كان هناك. وهكذا كان الأمر فى كل مرحلة، حتى المرحلة الخامسة، بالقرب من فافا. وهناك، قابل رفيقه علـــى الأرض. قال ذكر السلحفاة للصقر، "غدًا سوف ندخل فافا مبكرًا"، ووافق الصقر.

والآن، حيث كانا، إذ أصدرت طبلة صوتًا، يمكنـــك ســماعها. فكـــر الصقر _ "هذا الكائن معى فى كل مكان. لذلك غدًا سوف أنطلق مبكرًا جدًا".

والآن، مادالامبا الحقيقى _ ذكر السلحفاة الذى شارك فى المنافـــسة _ كان فى فافا بالفعل، مختبئًا فى ساحة الرئيس، رغم أن أحدًا لم يكن يعلم ذلك، الجميع كانوا يتوقعون أنه فى بانجاني. وفى الصباح المبكر تمامًا فى اليـــوم الخامس، لم يطلب الصقر من ذكر السلحفاة أن يبدأ معه، لذلك، عندما استيقظ ذكر السلحفاة من النوم، كان رفيقه قد انطلق. ومادالامبا، الموجود فى ساحة الرئيس، خرج مبكرًا ودخل إلى الغابة، وعندما ظهر الضوء شوهد الـــصقر آتيًا من مسافة بعيدة، وصاح كل الناس فى فافا، "الصقر سيهزم الـــسلحفاة". حينئذ عندما كان الصقر يقترب، خرج ذكر السلحفاة من الغابة، فى الطـــرف الداخلى لفافا، بينما كان كل الناس عند المدخل، ينظرون إلى الصقر. تـــابع ذكر السلحفاة سيره إلى باب الرئيس، حيث كانت هناك كومة من الحطـــب، وخبأ نفسه فى هذا الحطب. وصل الصقر وهو يصيح، بينما كان يطير حول المدينة، "لقد هزمته". ضحكت ابنة الرئيس، قائلة، "هزم الـــصقر الـــسلحفاة". وصل الصقر إلى بيت الرئيس، واستقر على المنطقة المركزية، وقال للناس، "أنتم ترون لقد تركت السلحفاة خلفي. ومع ذلك، ورغم أننى تجاوزته، سوف أناديه، حتى يعرف الجميع أننى هزمت مادالامبا". وهكذا نادى الصقر، "أنت،

يا مادالامبا، أنت، يا مادالامبا"، رأى الناس ذكر السلحفاة يخرج من الحطب. وكان الصقر لا يزال يناديه، "أنت يا مادالامبا"، عندما أجاب، "يوووو". ارتاع الصقر. "متى جئت إلى هنا؟" قال، "جئت من قبلك ببعض الوقت". أسود وجه ابنة الرئيس بسرعة، لأن أباها قال، "هذا هو زوجك. لا أعرف الآخر". وتم الاحتفال بالزواج.

والآن، فإن مادالامبا، رغم أنه سلحفاة، كان في الحقيقة شابًا مهذبًا قد اتخذ صدَفة السلحفاة عن قصد. لكن زوجته لم تكن تعرف ذلك بعد، وهكذا احتلا وضعيهما. لكن في كل ليلة، في منتصف الليل، يخرج مادالامبا من صدفته عندما تكون زوجته نائمة، ويدفئ نفسه عند النار، ثم يدخل صدفته من جديد. وفي إحدى الليالي، بالمصادفة، استيقظت الفتاة ورأت نارًا ساطعة، وعندما نظرت إلى زوجها رأت كم كان في الحقيقة زوجًا رائعًا. وانبهرت بالنظر إليه. بحثت عن الصدَفة ورأتها هناك خلفه. ظلت هادئة تمامًا، حتى المساء التالي. عندئذ لم تذهب للنوم، لكنها تظاهرت به فقط، وفي منتصف الليل رأته يخرج من الصدفة ليدفئ نفسه. عندئذ نهضت الفتاة من السرير وحملت الصدفة ووضعتها في النار. عندئذ قال مادالامبا، "لقد قتلتني". قالت، "لا، لم أقتلك، أنت شخص رائع، ولقد فعلت ذلك عن قصد". وهكذا ناما، وفي الصباح، قالت ابنة الرئيس لأبيها، كيمويلي، "انتبه يا أبي، زوجي رجل، ورجل رائع. والآن لن نخرج من هذا البيت حتى تذبح ثورًا، وسوف نخطو فوقه عندما نخرج". اشترى كيمويلي ثورًا، وتم ذبحه، هناك عند الباب، وخطا صهرة وابنته فوقه، وهما يخرجان. وكل الناس إنتبهوا إلى أن مادالامبا كان غريبًا.

والآن، عندما ترى شخصًا للمرة الأولى، لا تجعله محتقرًا فى عينيك، لأنك لا تعرف من أين أتي، ولا من هو، ولا أين هو ذاهب.

ـ بوندى Bondei

(١٣)

رابيا

أعطى أحد السلاطين الأوامر بأن كل طفل ذكر يولد فى مملكته، يجب قتله، وأن المواليد الإناث فقط يتم الإبقاء عليهن. وبعد وقت قصير من فرْضِ هذا الأمر، وُلد ابن لرجل وزوجته يعيشان فى عاصمة البلاد. ولأن الطفل كان ضخمًا وقويًا، قال الوالدان، "من المثير للأسى أن يموت. سوف نحتفظ به فى البيت، وعندما يكبر، سوف نرسله إلى الغابة ليتدبر أمره. نما الطفل بسرعة وبإفراط، وبمجرد أن استطاع الكلام، قال لوالديه، "اسمى رابيا".

فى ذلك الوقت، اعتاد رابيا كل يوم، أن يترك بيت والديه ليلعب فقط مع أطفال الجيران الإناث. لكن ذات يوم وهو يلعب، ضرب إحدى صديقاته على رأسها بإصبعه، وكانت قوته من الشدة، حتى إنه شق جبينها وجعل الدم يسيل. عندما رأى والداها الجرح ذهبا مباشرة إلى السلطان يشتكيان من أن هناك طفلاً ذكرًا يسمى رابيا، أخفاه والداه، فى تحد للقانون الذى وضعه السلطان. عندما سمع والدا رابيا بما حدث، خافا، وقالا، "إذا احتفظنا به هنا، فسوف يحكم عليه السلطان بالقتل، وعلينا نحن أيضًا، لأننا أخفيناه". عندئذ، كان يعيش فى المزرعة، التى تخص هذا الرجل وزوجته، جنى يقتل كل من يقترب منها، ولهذا السبب لم يكن أحد يستطيع التوجه إلى هذه الأرض. "من الأفضل أن نرسله إلى المزرعة الريفية لكى يفترسه الجني"، هذا ما قاله والدا رابيا. وهكذا قاده أبوه، بعد أن أعطاه سيفًا كبيرًا كان لديه فى المنزل، إلى خارج المدينة. وبعد أن سارا لبعض الوقت عبر الطريق المرتفع، وصلا إلى ممر ضيق، مملوء كله بعشب يفوق فى نموه الحجم الطبيعي، وقال الرجل

لرابيا، "تتبع هذا الممر، وسوف يقودك إلى المزرعة فى المرج". هكذا تتبع رابيا الممر، وفى الوقت المناسب وصل إلى المزرعة، والتى وجدها مليئة بالأناناس اليانع، والموز، والفواكه الأخرى. وكانت هناك أشجار نخيل جوز الهند، وثمارها موجودة ببساطة على الأرض أسفلها، لأن الرجال كانوا يخافون المجيء وجَمْعَها بسبب الجني.

دخل رابيا المنزل فى المزرعة. وهناك، فى الغرفة الداخلية، وجد جنية، قطع رأسها بسيفه، وتاركًا إياها ملقية هناك، أخفى نفسه فى الحجرة الخارجية للبيت. وبعد قليل، عاد زوجها، الجنى الذى يحتل المزرعة، قائلًا، "أشم رائحة كائن بشري". نادى زوجته، لكنه لم يتلق أى إجابة. وبعد قليل، دخل إلى الحجرة الداخلية ووجد جثتها. عندئذ، خرج رابيا من مكان اختبائه، وبعد أن تغلب على الجنى، سحب سيفه ليقتله. لكن الجنى صاح، "إذا أبقيت عليَّ، فسوف أكافئك". سأل رابيا عما يمكنه أنه يعطيه له، وأجاب الجني، "سوف أعطيك طاسة ماء سحري، وإذا أردت أن تعرف ما إذا كان أى من أصدقائك فى مأزق، ليس عليك سوى النظر فيها. إذا ظل الماء صافيًا، لا يكون هناك مأزق وقع فيه، لكن لو أصبح الماء قاتمًا، يكون فى حاجة إلى مساعدة". قال رابيا، "إعطنى هذا الماء السحري، وسوف أبقى عليك". وهكذا أحضر الجنى الماء، وأعطاه إلى رابيا، الذى أخذه وأبعد الجنى عن المزرعة.

عندئذ جمع رابيا حزمة كبيرة من جوز الهند، وبعد أن حملها بحبل على ظهره، انطلق عائدًا إلى والديه. لكنه التقى فى الطريق رجالًا، سألوه عما إذا كان قد رأى رابيا، حيث أرسلهم السلطان للقبض عليه. قال لهم

رابيا، "لن تستطيعوا القبض على رابيا، لأنه شديد القوة". لكنهم أجابوا بأنهم لو التقوه، به فإنهم مستعدون للمحاولة. عندئذ قال رابيا، "أنا صديق لرابيا، فإذا استطعتم التغلب عليَّ، ستستطيعون التغلب عليه". سحب سيفه وذبح كل هؤلاء الرجال سوى اثنين منهم. قيَّد أحدهما وقطع أذني الآخر، وأمره بأن يعود إلى السلطان ويخبره بما حدث.

عندما سمع السلطان بأن رابيا تغلب على الرجال، الذين أرسلهم للقبض عليه، انفجر في غضب شديد، وأرسل قوات للقبض على رابيا. لكن رابيا ذبحهم أيضًا، كلهم سوى اثنين. ومن بين الاثنين، قيَّد واحدًا، وقطع يد الآخر، وقال له، "اذهب إلى السلطان، وأخبره بأنه إذا أرسل رجالاً للقبض عليَّ مرة ثالثة، فسوف أدخل قصره وأقتله". عندئذ أطلق رابيا سراح الرجلين اللذين قيدهما، وقال، "هل تأتيان معي وتصبحان أخوين لي؟" وافق الرجلان على ذلك، وهكذا انطلق ثلاثتهم على الطريق.

ذات يوم، بينما كانوا يرحلون في الدغل، سمعوا أصواتًا، وزحف رابيا بهدوء، وبعد أن نظر من خلال الأغصان، رأى جنيين يتحدثان معًا. في ذلك الحين، كان أحدهما هو الجني الذي سكن سابقًا في المزرعة، التي تخص والد رابيا، وكان يخبر الجني الآخر، كيف تغلب عليه رابيا، وكيف لم يتمكن من الهرب هو وزوجته إلا بعد أن قدم له ماءً سحريًا. عندما سمع رابيا هذا الحديث، اندفع وقبض على الجني الذي لم يره من قبل. لكن الجني صاح، قائلًا، "إذا أبقيت على حياتي، فسوف أعطيك بذورًا محققة المفعول، أملكها. إذا أردت أن تعرف ما إذا كان أحد أصدقائك في مأزق، عليك أن تسكب ماءً على إحدى هذه البذور، فتنمو شجرة. إذا كانت أوراق هذه الشجرة نضرة،

فإن صديقك، يكون آمنا من الخطر، لكن إذا كانت الأوراق جافة وميتة، فإن صديقك، يكون فى حاجة إلى مساعدتك". وهكذا أخذ رابيا البذور وسمح للجنيين بالرحيل.

رحل رابيا وأخواه، حتى وصلوا إلى أرض، يحكمها سلطان آخر. وبعد دخولهم المدينة الرئيسية لهذه البلاد، وجدوا مسكنًا فى الطابق العلوي، استلقواليناموا. وفى انبلاج الفجر، أراد رابيا أن يسير فى الشوارع، وبعد أن نزل من حجرته، ذهب ليفتح باب البيت. لكن المرأة التى تملك البيت قالت له، "لا تخرج مبكرًا هكذا، لأن هناك أسدًا ضخمًا، يتجول فى المدينة من غروب الشمس حتى الفجر، مرغمًا الجميع على البقاء فى بيوتهم". لكن رابيا قال لها، "أنا لا أخاف من الأسد". وهكذا خرج، وأغلقت المرأة الباب خلفه ووضعت المزلاج. بينما كان يتجول، التقى الأسد. سحب سيفه، وبينما كان الأسد يثب عليه، شق رأسه وقتله. قطع مخالب الأسد وذيله، وأخذهما، وانطلق مبتعدًا. رغم عدم معرفتها به، كانت ابنة السلطان تنظر من نافذة القصر بالقرب من المكان، ورأت كل ما حدث.

سرعان ما مر أحد جنود السلطان ورأى جثة الأسد. رفع رمحه وطعن الأسد مرات كثيرة برمحه، وبعد أن غمر ذراعيه فى دمائه، جرى إلى السلطان وأخبره بأنه قتل الوحش. امتلأ قلب السلطان ابتهاجًا عندما سمع ذلك، وقال، "مكافأة على شجاعتك، أعطى لك ابنتي، الأميرة، لتتزوجها". لكن الأميرة قالت، "لن أتزوج من هذا الرجل. دعنى أولًا أرى جثة الأسد الذى قتله". تم إحضار جثة الأسد، وقالت الأميرة، "أين المخالب؟". أجاب الجندي، لقد قتل الكثير من الرجال حتى إنه فقد مخالبه". عندئذ قالت الأميرة، "أين

الذيل؟". أجاب الجندي، "ليس له ذيل". قالت الأميرة حينئذ، "من سمع من قبل عن أسد بلا ذيل؟ أنت لم تقتله، لكن رجلا آخر عظيمًا، هو الذى قتله، رجل رأيته من نافذة قصري". ثم قدمت الأميرة أوصاف رابيا إلى أبيها، وأرسل رجالًا للبحث عنه. وسرعان ما وجدوه، وأحضروه إلى القصر. عندما عرض أمام السلطان المخالب والذيل التى قطعها من الأسد، أمر السلطان بأن يتم إعدام الجندى الذى زعم أنه قتل الأسد. وعرض ابنته على رابيا ليتزوجها، لكن رابيا قال، "أنا مجرد شاب، وهذان، أخواي، أكبر مني. لذلك، من المناسب تمامًا أن يتزوجا قبلي". وهكذا تزوج أحد أخوى رابيا، ابنة السلطان، وأعطاه رابيا الماء السحري، وقال له، "انظر فى هذا الماء كل صباح، وإذا ظل صافيًا فسوف تعرف أننى آمن من الخطر، لكن إذا أصبح قاتمًا، فهذا علامة على أننى فى مأزق". وهكذا أخذ الرجل الماء، وانطلق رابيا فى طريقه مع الأخ الباقي.

أخيرًا وصلا إلى بلد يحكمه سلطان آخر. وفى ذلك الوقت كان قد سبق للسلطان أن كان لديه سبع بنات، لكن واحدة فقط هى التى بقيت وكانت عذراء ذات جمال غير عادي. وحول هذه المدينة، كان هناك مكان واحد فقط يمكن جلب الماء منه، وكان بحيرة شاسعة تقع على مسافة قريبة. وكان يسكن فى هذه البحيرة ثعبان أفعى ذو سبعة رؤوس كان يجب إعطاؤه كل صباح إحدى بنات السلطان لالتهامها، قبل أن يتمكن الناس فى المدينة من جلب الماء. فى الليلة التى وصل فيها رابيا، كانت صغرى البنات موضوعة على سريرها على حافة البحيرة، حتى يلتهمها الثعبان فى الصباح. ورابيا، عندما سمع قصة الثعبان، بقى بجوار الأميرة حتى يمكنه إنقاذها.

عند بزوغ الفجر، تحولت مياه البحيرة إلى دماء حمراء، ثم جفت تمامًا ولم يبق فيها سوى الطين. بعد أن فار الماء وتشكل علـــى هيئـــة فقاعـــات، وارتفع من جديد، طلع الثعبان من البحيرة لالتهام الأميرة. سحب رابيا سيفه، وقطع رؤوس الثعبان السبعة، وقتله. ثم ذهب إلى الأميرة ووضع فى إصبعها خاتمًا فضيًا محفورًا اسمه داخله. وبعد أن فعل ذلك، عاد إلى المدينة.

وحالًا، جاء أحد خدم السلطان. وعندما رأى جثة الثعبان، جرى إلـــى السلطان وأخبره بأنه ذبحه وأنقذ الأميرة. غمرت السعادة السلطان، ووعد بأن يزوج الأميرة للخادم. لكن عندما سمعت الأميرة بنيته، قالت للـــسلطان، "لا أريد الزواج من هذا الرجل". عندئذ قال السلطان، "رغم أنه عبد، أنقذك مـــن الثعبان، ولذلك يجب أن تكافئيه عن طيب نفس". عندئذ قالت الأميرة للخادم، "هل تعرف هذا الخاتم وما هو مكتوب فى داخله؟". قال الخادم، "لا أعـــرف ذلك". ثم قالت الأميرة، "الذى ذبح الثعبان وضع هذا الخاتم علـــى إصـــبعي، وهو يعرف المكتوب عليه".

فى ذلك الصباح تقدم رابيا إلى حضرة السلطان، وقال، " ابنتك لـــديها خاتم فضى حول إصبعها، وداخله مكتوب اسمى _ رابيا". أجابت الأميـــرة، "هذا صحيح، هذا هو الذى ذبح الثعبان". عندما سمع السلطان ذلك، غمرتـــه البهجة، وعرض ابنته على رابيا ليتزوجها. لكن رابيا أجاب، "أنا مجرد شاب صغير، وهذا الرجل، أخى، أكبر منى فى العمر. لذلك دعه يأخـــذ الأميـــرة ويتزوجها". وهكذا تزوج أخو رابيا ابنة السلطان، وأعطى رابيا لأخيه البذور السحرية، قائلًا، "اسكب الماء على واحدة منها كل صـــباح، وســـوف تنمـــو شجرة. إذا كانت أوراق الشجرة نضرة، عندئذ تعرف أننى على ما يرام، لكن

إذا كانت جافة وذابلة، فسأكون فى حاجة إليك". ثم، بعد أن أوضح لأخيه الطريق الذى يوشك أن يسلكه، انطلق فى طريقه.

بعد أيام كثيرة، وصل إلى أرض الجن، وبعد أن دخل إحدى مدنهم، أخفى نفسه فى منزل. وحالًا، جاء الجن إلى المدينة، يحملون أحمالًا من العاج والفضة والبضائع الغالية. خرج رابيا من مخبئه، وسحب سيفه، وانطلق يضربهم بقوة، على اليمين وعلى اليسار. ومن بينهم كان الجنيان اللذان أعطياه الماء والبذور السحرية، وعندما عرفا من يكون، هربا، ناشرين الخبر بين الآتين من كل الجهات. بعد أن ذبح رابيا كل الجن فى هذه المدينة، واصل رحلته حتى وصل إلى مدينة أخرى من مدنهم، وهناك أيضًا أخفى نفسه فى أحد المنازل.

ومن جديد، وصل الجن يحملون البضائع والفضة والعاج، ومرة أخرى سحب رابيا سيفه وقتلهم الواحد بعد الآخر، حتى لم يبق منهم أحد. وعندما أخلى المدينة تمامًا من الجن، واصل رحلته، حتى وصل إلى المدينة الرئيسية فى تلك البلاد، حيث تعيش سلطانة الجن، لأنه لم يكن هناك سلطان. ورغم أنها كانت امرأة عجوزًا، بدت كفتاة شابة بالغة الجمال، بثديين ناهدين راسخين بارزين. عندما رآها رابيا، توجهت نحوه وقالت، "كنت أنتظرك، والآن عليك أن تتخذنى زوجة لك". وافق رابيا على ذلك، وواصلت المرأة غير المتزوجة، "لكن أولاً، عليك أن تنظف هذه الملابس الوسخة من أجلي". وافق رابيا على ذلك أيضًا. وبعد أن ترك سيفه فى البيت، خرج بالملابس لغسلها. وبعد أن ابتعد، أخذت المرأة سيفه وأخفته.

عندما عاد رابيا بالملابس قالت له المرأة، "الآن، سوف أقتلك، لأنـــك قضيت على الجميع فى مدينتين من مدني". فى حوائط تلك الغرفة كان معلقًا الكثير من السيوف، لكنها مصنوعة بشكل خادع من الطين. وعنـــدما ســـمع رابيا كلمات المرأة، أمسك بأحد السيوف وضربها به. وعندما تحطم السيف، أمسك بآخر وضربها به، لكنه، أيضًا، تحطم إلى أجزاء. عندئذ رفعت المرأة قضيبًا أسود، وضربت رابيا به، فتحول على الفور إلى حجر.

فى ذلك الحين، كان أخوا رابيا، يقومان كل يوم، لمعرفة ما إذا كـــان على ما يرام وآمنًا من الخطر أم لا، باختبار الماء السحرى وأوراق الشجرة التى تنمو من البذور السحرية. وفى صباح ما، وجد الذى لديه الماء السحرى أنه تحول إلى ماء قاتم عندما نظر إليه، والذى لديه البذور السحرية، وجد أنه عندما سكب الماء عليها، نمت شجرة كانت أوراقها جافة وذابلة. لذلك شرع كل منهما فى الانطلاق، للبحث عن رابيا، وتقابلا فى الطريق. قال كل منهما للآخر، "رابيا عاملنا كأخين له، وزوج كلاً منا بابنة سلطان. لذلك، علينا أن نبذل كل ما فى وسعنا لمساعدته". وهكذا رحلا، باحثين عن رابيـــا، ومـــرا بمدينتى الجن التى تم ذبح سكانها. وفى الوقت المناسب، وصلا إلى المدينـــة الرئيسية للجن، وذهبا إلى قصر السلطانة. عندما رأتهما، قالت، "كنـــت فـــى انتظاركما، والآن على أحدكما أن يتزوجنى والآخر سيكون أخـــا زوجـــي". وافق الأخوان على ذلك، وبقيا فى البيت يتحادثان مع السلطانة. وبعد مرور بعض الوقت، قالت لهما، "راقبا هذا الحجر. منذ أيام مضت، جاء مـــن هـــذا الطريق شاب اسمه رابيا، وضربته بهذه العصى السوداء وأصبح حجرًا". قال أحد الأخوين للمرأة، " هل سيبقى دائمًا حجرًا؟. وردت المرأة، "لا. لأنـــه إذا

تم ضرب الحجر بهذه العصى البيضاء، سيختفى وسوف يظهر رابيا في مكانه". عندما سمع الأخان ذلك، سحبا سيفيهما، وقتلا ملكة الجن. ثم أخذا العصى البيضاء التى أرتها لهما، وضربا الحجر بها، فاختفى الحجر وظهر رابيا مكانه.

أعطى رابيا كلاً من أخويه إحدى المدينتين اللتين أخضعهما، أما المدينة الثالثة، التى كانت سلطانة الجن تسكن فيها، فإنه احتفظ بها لنفسه. وعاد رابيا إلى بلده الخاص، إلى منزل أبيه وأمه، وعاد أخواه إلى زوجتيهما. وانتهت القصة.

– السواحلية Swahili

(١٤)

الأسد الطائر

يحكى أنه فى سالف العصر والأوان، كان أووم ليو Oom Leeuw معتادًا على الطيران، ولم يكن يفلت منه شيء. لم يكن جناحاه مغطيين بالريش: كانا يشبهان جناحى الأخ الخفاش، كلاهما من الجلد والضلوع. لكنهما كانا بالغى الضخامة، وغليظين إلى حد كبير، وشديدى القوة، وعندما لا يكون طائرًا، كانا ينطويان مستلقيين على جانبيه. وكان عندما يغضب يترك حافتيهما ملقاتين على الأرض، تر – ر – ر، مثل الديك الرومى Oubaas Turkey، عندما يكركر ويختال فى مشيته أمام زوجاته، تر – ر – ر، وعندما يريد أن يقوم من على الأرض، ينشرهما إلى الخارج ويجعلهما يرفرفان إلى أعلى وإلى أسفل ببطء فى البداية، ثم أسرع فأسرع – وهكذا، هكذا، هكذا – حتى يُحدث حركة هواء شديدة بهما، وينطلق بخفة فى الهواء مبتعدًا.

يا للروعة، لكنه كان مشهدًا مخيفًا. عندئذ، عندما يكون عاليًا فوق الأرض، ينظر أسفله ليجد ما يفترسه. إذا رأى قطيعًا من الغزلان الصغيرة[٦٧]، يطير هنا وهناك حتى يصبح فوقها تمامًا، وينتقى واحدًا لذيذًا بدينًا، ثم يبسط مخالبه الحديدية، ويبسط جناحيه و – وووش! – ينقض هابطًا

(٦٧) غزال صغير springbok: غزال صغير أبيض وبنى من جنوب إفريقيا، يتميز بعاداته بالقفز السريع العالى فى الجو عند تجفيله – المترجم

على الظبية المسكينة قبل أن يتوفر لديها الوقت لتقفز مبتعدة. نعم، تلك كانت الطريقة التى يصطاد بها أووم ليو فى الأزمنة القديمة.

كان هناك شيء واحد يخشاه، وهو أن عظام الحيوانات التى يقتنصها ويأكلها قد تتحطم إلى قطع. لا أحد يعرف السبب، والجميع كانوا يخافون من أووم ليو، فلم يحاولوا تفسير الأمر. اعتاد أن يحتفظ بها فى بيته ولديه غربان للاعتناء بها، ليس مثل الغربان السوداء القبيحة، التى تبنى أعشاشها فى شجر الصفصاف بالقرب من السد، ولكن غربان بيضاء، النوع الذى يأتى مرة واحدة فقط خلال سنوات كثيرة. وبمجرد ميلاد غراب وليد، كان يُحمل إلى أووم ليو - تلك كانت أوامره. ثم يحتفظ بها فى الجبال، تاركًا إياها تنمو وتكبر، وعندما يموت الغراب الأبيض كبير السن، يصبح الأكبر سنًا هو المراقب، وهكذا تظل هناك غربان تراقب العظام، عندما يذهب أووم ليو للصيد.

لكن فى يوم ما، بينما كان بعيدًا، أتى الضفدع الكبير، هوب - هوب - هوبتى - هوب، هوب - هوب - هوبتى - هوب، وقال: "لماذا تجثمون هنا طوال النهار، أيتها الغربان بيضاء الرأس؟". وقالت الغربان البيض: "نجثم هنا للاعتناء بالعظام من أجل أووم ليو". "لكن لا بد أنكم مرهقون، إذ تظلون جاثمين هكذا!"، قال الضفدع الكبير. "طيروا بعيدًا بعض الوقت، وانشروا أجنحتكم. سوف أجلس هنا وأعتنى بالعظام". نظر الغربان البيض إلى هذا الطريق وذاك الطريق، إلى أعلى وإلى أسفل، وحولهم فى كل مكان، فلم يروا أى كائن! لم يستطيعوا رؤية أووم ليو، وفكروا: "الآن هى فرصتنا لأن ننطلق فى الطيران". وهكذا قالوا، "كر - ر - راو، كر - ر - راو"،

ونشروا أجنحتهم، وابتعدوا طائرين. صاح الضفدع الكبير خلفهم، "لا تتعجلوا العودة. ابقوا طائرين أطول مدة تحلو لكم. سوف أعتنى بالعظام".

لكن بمجرد أن طاروا بعيدًا، قال: "الآن عليَّ أن أعرف سبب احتفاظ أووم ليو بالعظام لكى لا تتحطم. وانطلق من أحد أطراف بيت أووم ليو إلى الطرف الآخر، محطمًا كل العظام التى يستطيع أن يعثر عليها. وعمل ذلك بسرعة! كراك! كراك، كراك، كراك! وأينما كان يذهب، كان يحطم العظام. ثم عندما انتهى من عمله هذا، وثب بخفة وسرعة، مبتعدًا بأسرع ما يستطيع. وعندما اقترب من الوصول إلى سده، لحقت به الغربان. كانوا قد وصلوا إلى الجبل، وعندما عادوا ورأوا العظام المحطمة أصابهم الخوف.

"كراو، كراو" قالوا، "أيا الأخ الضفدع الكبير، لماذا أنت شرير إلى هذا الحد؟ سوف يكون أووم ليو شديد الغضب، سوف يقطع رؤوسنا البيضاء الجميلة. ودون رأس، من يمكنه أن يعيش؟".

لكن الضفدع الكبير تظاهر بأنه لا يسمع. فقط وثب بخفة بأسرع ما يمكنه، ولاحقته الغربان البيضاء.

"ليس من الملائم الوثب مبتعدًا، أيها الضفدع"، قالوا. "سوف يعثر عليك أووم ليو أينما كنت، وبضربة واحدة من مخالبه شديدة الصلابة، فسوف يقتلك".

لكن الضفدع الكبير المسن أعرض عنهم. استمر فقط فى الوثب بخفة وسرعة، وعندما وصل إلى سده، جلس وأسند ظهره على حافة البحيرة، وجعل يطرف بعينيه الجميلتين فى رأسه الهرم القبيح، وقال: "عندما يأتى

أووم ليو، قولوا له إننى من حطم العظام. قولوا له إننى أعيش فى هذا السد، وإذا أراد أن يراني، فعليه أن يأتى إلى هنا".

كانت الغربان السود فى حالة إحباط شديد. طاروا إلــى أســفل لنقــر الضفدع الكبير، لكنهم فقط غرزوا مناقيرهم فى الطين الطري، لأن الضفدع الكبير لم يكن جالسًا حينها فى مكانه. لقد غطس فى الــسد، ولــم تــستطع الغربان البيضاء أن ترى سوى حلقات حول المكان، الذى صنع فيه فجوة فى الماء.

كان أووم ليو بعيدًا جدًا، ينتظر الطعام. وفى النهاية رأى قطيع حمير وحشية، وحاول الطيران إلى أعلى حتى يمكنه أن يهبط فوق واحد منها، لكن لم يستطع فعل ذلك. حاول مرة أخرى، لكنه لم يستطع. نشر جناحيه ورفرف بهما، لكنها كانت ضعيفة جدًا.

عندئذ عرف أووم ليو أن شيئًا سيئًا حدث فى بيته، وأصابه الغــضب. غرز مخالبه شديدة الصلابة فى الأرض وجعل يزأر ثم يزأر. وبضعف بدأ، مثل رعد بعيد تمامًا، يرتعش فى الوديان العميقة الضيقة، ثم أصبح صــوته أعلى فأعلى، حتى – "هــوور – رر – رر – رر، هــوور – رر – رر – رر" – بدت الأرض أسفله، كأنما تهتز. كانت ضجة مرعبة.

لكن كل هذا الزئير لم يساعده، وأخيرًا كان عليه أن يــنهض ويــسير عائدًا إلى البيت. وجد الغربان المسكينة وقد قاربت على الموت من الخوف، لكن سرعان ما أدركوا أنه لم يعد قادرًا على الطيران، لذلك لم يعودوا خائفين منه.

"هوور – رر – رر – رر، هوور – رر – رر – رر" زأر. "ما الذى فعلتونه حتى أصبح جناحاى بهذا الضعف؟". قالوا: "بينما كان أووم بعيدًا، جاء أحدهم وحطم كل العظام". وقال أووم ليو: "تم وضعكم هنا لحراستها. إنه خطأكم أنها كُسرت، ولمعاقبتكم فسوف أقطع رؤوسكم البيضاء. هوور – رر – رر – رر!".

قفز تجاههم، لكنهم حينئذ لم يكونوا يخافون منه. طاروا بعيدًا، وحلقوا حول المكان فى الهواء فوق رأسه، على ارتفاع عال جدًا، بحيث لا يمكنه الوصول إليهم فيه، وصاحوا: "ها _ ها! أووم لا يمكنه الإمساك بنا! تحطمت العظام، ولا فائدة من جناحيه. والآن يمكن للبشر والحيوانات أن تعيش من جديد. سوف نطير بعيدًا ونخبرهم بالأنباء الطيبة".

قفز أووم ليو فى الهواء، أولًا إلى أحد الجوانب، ثم إلى الجانب الآخر، مسددًا ضرباته تجاههم، لكنه لم يستطع الوصول إليهم، وعندما أدرك أن كل جهوده غير مثمرة، تحرك فى دوران على الأرض، وزأر بصوت أكثر ارتفاعًا من أى وقت مضى. طارت الغربان البيضاء حوله فى حلقات، وصاحت: "ها _ ها! لم يعد يستطيع الطيران! إنه يدور على الأرض ويزأر! قال الذى حطم العظام: (إذا سأل عنى أووم ليو، يمكنه أن يأتى ويبحث عنى عند السد). كراو، كراو". وهكذا ذهب إلى السد، وهناك كان الضفدع الهرم، جالسًا فى الشمس على حافة البحيرة. زحف أووم ليو ببطء، وبسرعة، خلف الضفدع.

"ها! الآن نلت منه" هكذا فكر، وقفز، لكن الضفدع قال، "هوو!" وغطس فى السد، وظهر فى الجانب الآخر، وجلس هناك يطرف بعينيه فى

الشمس. جرى أووم ليو حول المكان بأسرع ما يستطيع، وكان على وشك القفز فحسب، عندما غطس الضفدع مرة أخرى، وظهر فى الجانب الآخر. واستمر الأمر على هذا المنوال. فى كل مرة، بمجرد أن يوشك أووم ليو على الإمساك به، يغطس الضفدع ويصيح، "هوو!" من الجانب الآخر من السد.

عندئذ، وفى آخر الأمر، أدرك أووم ليو أنه لا فائدة من محاولة الإمساك بالضفدع، لذلك عاد إلى بيته ليرى ما إذا كان يمكنه ترميم العظام المحطمة. لكنه لم يستطع فعل ذلك، ومنذ ذلك اليوم، لم يعد قادرًا على الطيران، ويسير فحسب، على مخالبه شديدة الصلابة. ومنذ ذلك اليوم، أيضًا، تعلم أن يتسلل بحذر وبسرعة خلف طرائده، ورغم أنه لا يزال يمسك بها ويأكلها، فإنه لم يعد خطيرًا جدًا، كما كان عندما كان يستطيع الطيران.

ولم تعد الغربان البيضاء قادرة على الكلام. تستطيع فقط أن تقول، "كراو، كراو".

لكن الضفدع الكبير الهرم، لا يزال يروح ويجيء هوب _ هوب، هوبيتى - هوب حول السد، وعندما يرى أووم ليو، يقول فحسب، "هوو!" ويغطس فى الماء بأسرع ما يمكنه، ويجلس هناك ضاحكًا، عندما يسمع أووم ليو يزأر.

- جنوب إفريقيا

(١٥)

رجل بين كل الرجال

هذه القصة عن عملاق الغابة، وعن رجل يدعى رجل بين كل الرجال. أي قصة، هي قصة؟ دعها تذهب، دعها تأتي.

كان هناك أحد الرجال الذى يحمل اسم رجل بين كل الرجال. ودائمًا عندما يأتى من الدغل، كان يجتث شجرة، ويرمى بها على الأرض قائلاً، "أنا رجل بين كل الرجال". قالت زوجته، تعال الآن، توقف عن القول بأنك رجل بين كل الرجال، إذا رأيت رجلًا بين كل الرجال، ستجرى مهرولاً". لكنه قال، "أى كذبة هذه؟" عندئذ، سار الأمر دائمًا على هذا المنوال _ أينما أحضر حطبًا، كان يقول الشيء نفسه، وتجيب زوجته بالإجابة نفسها.

فى تلك الأيام، ذهبت زوجته ذات يوم إلى النهر الصغير. وأتت إلى إحدى الآبار، وكان الدلو عنده ثقيلاً جدًا، حتى إنه يحتاج إلى عشرة رجال لسحبه إلى أعلى. ذهبت إلى هناك، لكنها لم تحصل على ماء، لذلك عادت. وكانت فى طريقها إلى البيت، عندما التقت امرأة أخرى. وقالت: أتيت ورأيت دلوًا هناك لم أستطع سحبه، لذلك أنا عائدة إلى البيت". قالت تلك المرأة الأخرى، التى كان لديها ابن، "هيا نعود، لكى تحصلى على مائك". قالت المرأة الأولى، "موافقة". وهكذا عادتا معًا إلى البئر. طلبت المرأة التى لديها ابن من الصبى أن يرفع الدلو ويجلب الماء. فى ذلك الحين كان الصبى

صغيرًا، لم يكن قد وصل إلى عمر النضج، وعندها كان محمولاً على ظهر أمه. لكنه رفع الدلو فى حينها ووقتها، ووضعه فى البئر، وسحب الماء إلى أعلى. ملأتا أوعية الماء الكبيرة لديهما، واغتسلتا، وغسلتا ملابسهما، وحملتا الماء للعودة إلى المنزل. كانت المرأة الأولى مندهشة. ورأت المرأة التى لديها صبى، وقد تحولت عن الطريق ودخلت الدغل. قالت زوجة من يسمى نفسه رجلاً بين كل الرجال، "إلى أين أنتِ ذاهبة؟". قالت الأخرى، "أنا ذاهبة إلى البيت، إلى أين أذهب غير ذلك؟". "هل هذا هو الطريق إلى بيتك؟". "نعم". "بيت من هو؟". "بيت رجل بين كل الرجال". ظلت الزوجة صامتة، حتى عادت إلى البيت. عندئذ أخبرت زوجها بما حدث، أنها التقت طفلًا، ابن رجل يسمى بالفعل رجل بين كل الرجال، ويستحق الاسم، لأنه شديد القوة. أجاب بأن عليها أن تصحبه إلى هناك غدًا. أجابت، "إذا أبقانا الله إلى الغد".

فى الصباح التالى كان أول من صحا من النوم. أخذ أسلحته ووضعها على كتفه. وضع بلطته على كتفه وأيقظ زوجته. قال،"استيقظي، هيا بنا نذهب. اصحبينى لعلى أرى، لعلى أرى فعلاً من تقولين إنه حقًا رجل بين كل الرجال". استيقظت، وحملت إناء الماء الضخم لديها، وسارت فى المقدمة. تبعها حتى وصلا إلى حافة البئر. عندئذ وجدا ما يبحثان عنه بالفعل. عندما كانا فى طريقهما إلى البئر، جاءت زوجة رجل بين كل الرجال، هى وابنها. ألقيا التحية عليهما، وزوجة المتبجح أرته الدلو، وقالت، "ارفعه وأجلب لى الماء". وهكذا رفع الدلو فى غيظ، وعندما أنزله فى البئر، سحبه الدلو بشدة حتى إنه كاد يسقط خلفه، لكن الصبى الصغير أمسك به، بكل من الرجل والدلو، وأخرجه ووضعه على جانب، لأنه كان ضعيفًا

بالفعل. ثم رفع الصبى الدلو، ووضعه فى البئر، وسحب الماء، وملأ آنية الماء لديهما. قالت زوجة الرجل، "قلت إنك تريد رؤية من يسمى رجل بين كل الرجال. لقد رأيت زوجته وابنه. إذا كنت لا تزال تريد الذهاب إليه، يمكنك أن تتبعهما. أما بالنسبة لي، فأنا لن أذهب". قالت أم الصبي، "أحذرك، من الأفضل لك ألا تأتي، لأن زوجى يسمى، فعلاً، رجل بين كل الرجال". لكنه أصر، وقالت، "دعنا نذهب". وشرعوا فى الرحيل. عندما وصلوا إلى البيت، أرشدته إلى مكان لتخزين اللحوم، حيث يمكنه أن يختبئ فيه ويرى هذا الرجل، ودخل فيه. فى ذلك الحين لم يكن سيد البيت موجودًا فيه، كان قد ذهب إلى الدغل. قالت زوجته، "كما رأيت لقد ذهب إلى الدغل، لكن لا يجب أن تستفزه عندما يعود". ظل فى الداخل حتى المساء. جاء سيد البيت. وعندما جاء، قال، "أشم رائحة رجل". قالت زوجته، "هل هناك شخص آخر هنا؟ ألست أنا؟". وهكذا، إذا قال إنه يشم رائحة رجل، فإنها تقول عندئذ، "هل هناك شخص آخر هنا؟ ألست أنا؟ إذا أردت أن تأكلني، لا بأس، لأنه ليس هناك أحد آخر غيري".

والآن لقد كان رجلاً ضخمًا، كلماته مثل إعصار، يمكنه أن يأكل عشرة أفيال. عندما أتى الفجر، أعد وجبته الصباحية من فيل واحد، ثم ذهب إلى الدغل، ولو أنه رأى شخصًا هناك، فسوف يقتله. والآن، ظل المتبجح مختبئًا فى المخزن. قالت زوجة الرجل له، "لا يجب أن تتحرك حتى ينام. إذا رأيت المكان مظلمًا، فإنه لا يكون نائمًا، وإذا رأيت المكان مضيئًا، فذلك يدل على أنه نائم. من الأفضل أن تجرى بعيدًا عندئذ". بعد وقت قصير، رأى

المكان مضيئًا مثل النهار، وخرج. جرى وجرى حتى الفجر، وظل يجـــرى، حتى أشرقت الشمس وهو يجري، لم يتوقف.

عندئذ استيقظ رجل بين كل الرجال من النوم، وقال، "أشم رائحة رجل، أشم رائحة رجل". نهض، وتتبع مسار رحيل الرجل، وجرى خلفـــه. ظـــل المتبجح يجرى حتى قابل بعض الناس، كانوا يخلون الأرض لمزرعة. سألوا عمّا حدث، وقال، "شخص ما يطاردني". قالوا، "قف هنا حتى يأتي". مر وقت قصير، وهبت العاصفة التى أثارها العملاق، رجل بين كل الرجال، فرفعتهم وألقت بهم إلى أسفل. وقال، "نعم، إنها هي، الريح التى أثارها، إنه هو نفسه لم يأت بعد. إذا كنتم قادرين على مقاومته، أخبرونى بذلك. إذا لم يكن ذلـــك فى استطاعتكم قولوا هذا". وقالوا، "إجر". وهكذا جرى مبتعدًا.

وسرعان ما وصل إلى بعض الناس يحرثون الأرض. سألوا، "ما الذى يطاردك؟". أجاب، "شخص يلاحقني". قالوا، "ما نوع هذا الرجل الذى يطارد شخصًا مثلك". أجاب، "شخص يقول إنه رجل بين كل الرجال". قالوا، "لـــيس رجلًا بين كل الرجال، إنه رجل بين النساء. قف حتى يأتي". بقى هناك، وظل هناك عندما بدأت الريح، كانت تدفع الرجال الذين يحرثون. لذلك قال، "لقـــد رأيتم الريح، التى يحدثها رجل بين كل الرجال حتى قبل أن يصل. إذا كنـــتم أندادًا له، قولوا لي، وإذا لم تكونوا كذلك، فأخبرونى بذلك". قـــالوا، "إجـــر"، وجرى مبتعدًا.

كان يجرى عندما التقى بعض الناس ينثرون البـــذور. قـــالوا، "لمـــاذا تجري؟". قال، "شخص يطاردني". وقالوا، "ما نوع هذا الرجل الذى يطـــارد أمثالك؟". قال، "اسمه رجل بين كل الرجال". قالوا، "إجلس هنا حتى يـــأتي".

جلس. وخلال وقت قصير، هبت الريح ورفعتهم، ورمت بهم على الأرض. وقالوا، "أى نوع من الرياح هذه؟". والرجل الذى كان مطاردًا قال، "إنها ريحه". وقالوا، "إجر". قذفوا بعيدًا بأدوات نثر البذور، وانطلقوا إلى الدغل واختبأوا، لكن الرجل المتبجح استمر يجري.

والآن لقد استمر يجرى، حتى وصل إلى رجل ضخم يجلس وحده تحت شجرة تبلدي. كان هذا الرجل قد قتل أفيالًا وكان يشويها. يمكنه أن يأكل عشرين فيلاً كلها فى وقت واحد، لكنه فى الصباح يفطر على خمسة فقط. كان اسمه مارد الغابة. سأله المارد، "إلى أين تذهب بكل هذه السرعة؟". قال، "رجل بين كل الرجال يطاردني". قال مارد الغابة، "تعال هنا، إجلس حتى يأتي". جلس، وانتظرا وقتًا قليلاً. عندئذ أتت الريح التى يحدثها رجل بين كل الرجال، ورفعت الرجل، وكانت على وشك أن تحمله بعيدًا، عندما صاح فيه مارد الغابة أن يعود. قال، "لست أجرى مبتعدًا، الريح التى يحدثها رجل بين كل الرجال تحملانا بعيدًا". عندئذ، انطلق مارد الغابة غاضبًا، ونهض وأمسك بيد الرجل، ووضعها تحت فخذه.

كان جالسًا هناك، عندما ظهر رجل بين كل الرجال، وقال، "أنت الجالس هناك، هل أنت من بين الأحياء أو الأموات؟". أجاب مارد الغابة، "لا تتدخل". وقال رجل بين كل الرجال، "إذا أردت أن تظل سليمًا، اعطنى هذا الذى تحتفظ به هنا". وعندئذ، انطلق فى غضب وقفز وأمسك به. بدآ يتصارعان مع بعضهما. وعندما لفا سيقانهما حول بعضهما البعض، قفزا فى السماء. وطوال ذلك اليوم، كانا يتصارعان هناك. وعندما أصابهما الإرهاق، جلسا يستريحان، وعندما نهضا للقتال، كان رعد فى السماء _ إنه قتالهما.

والرجل، خلال كل ذلك، كان يراقب، وفجأة وجد نفسه حرًا. عاد إلى المنزل وحكى الحكاية. قالت زوجته، "هذا هو سبب أننى كنت دائمًا أقول لك، مهما تفعل، اقتصد فى ما تفعل. ولو أنك عظيم فى التحمل، أو فى القوة، أو فى الثراء، أو الفقر، ومنتفخ من الفخر، فالأمر سيان، هناك دائمًا من هو أفضل منك. كنت تقول من الخطأ تصديق ذلك، ولكن الآن، لقد رأيت بعينيك".

– هوسا Hausa

(١٦)

منافسة فى الأكاذيب

لفهم كيف يتم حكى مثل هذه القصص بالأسلوب الإفريقي، أوردت هنا مجموعة منها، تم تسجيلها حديثًا بواسطة دونالد كوسينتينو Donald Cosentino، وهى مدمجة فى دراسته حول تقاليد حكى القصص، أو domeisia، تبعًا للغة شعب الميند Mende فى سيراليون. تم ابداع هذه النصوص الثلاثة بواسطة هانا سامبا Hannah Samba (المُعرَفة هنا باعتبارها الراوية ١)، ومارياتى ساندى Mariatu Sandi (الراوية ٢)، ومانونجو Manungo (الراوية ٣). هن راويات أنداد فى منافسة نابضة بالحياة، يؤدونها بالإمكانيات السردية لموقف درامي. التركيز على الموقف الذى يظهر عندما تؤدى البطلة النسائية بأكثر الطرق فظاظة بسبب دافعها الجنسى، غير القابل للسيطرة عليه. (هذا السلوك نجس بشكل خاص، لأنه ينطلق مباشرة فى وجه قواعد طقوس انضمام المرأة المدنية إلى الجماعة، مجتمع ساند Sande). تقودها تجاوزاتها إلى إبعادها إلى الدغل، بواسطة شخص فائق الذكورة الذي، كما يبدو، هو روح، كبانا Kapana، استعار سماته الوسيمة من عدد من الأفراد عليه أنه يعيدها إليهم. وتدور الحبكة حول وضع المرأة، واكتشافها للشخصية الحقيقية لأسرها، وأحوالها عندما يكون لديها طفل، وموتها عند عودتها إلى القرية.

وكما يوضح كوسينتينو ذلك، فإن هذه القصص ظهرت أثناء الترفيه فى أمسية عادية فى القرية. يتكون الاحتشاد من ثلاث نساء فـــى حالـــة عـــداوة بصورة مطردة لبعضهن. ومثل هذه العداوة ليست مناقـــضة للقـــدرة علـــى الإبداع. وعلى الأحرى، لأنها من المرجح أن تستحوذ علـــى اهتمـــام كـــل شخص فى مجموعة استماع لمشاهدة النساء، يهجمن على بعضهن الـــبعض، أن تشحذ المواجهة مع الجمهور مهارة الراويات. وكما يقول كوسينتينو:"رغم الكراهية بينهن، أو ربما لهذا السبب، لم يكن مثل هذا الاحتشاد غير عـــادي. كانت النساء متعودات على المعارضات ضدهن، وعلى التوترات التى تبرز عندما يتحاورن، وعلى الاستقطابات فى حياتهن. وكان أداء تقاليـــد حكـــى القصص domeisia، بُعدًا آخر للمنافسة بينهن، يحول عداوتهن إلى أعمـــال فنية، كانت أشكالها النهائية مفروضة، ليس فقط بواسطة [أعراف الحكايات]، ولكن أيضًا بطبيعة العلاقات الإنسانية التى تحصر الرواة بالتنـــافس مـــدى الحياة".

كل هذه الحكايات الثلاث تحكى من الناحية الأساسية القـــصة نفـــسها، القصة التى لا تختلف، إلى حد كبير، فى البناء عن بعض الحكايات الخرافية الأكثر شيوعًا لدينا، مثل "جاك قاتل المارد". وتدور كلها حول الروح التـــى تسقط فى النوم لمدة طويلة من الزمن. لكن المؤديات هنـــا يـــؤدين بحبكـــة أساسية تعرض قدراتهن الفردية فى رواية القصص، خاصـــة مـــن خـــلال السيطرة على المؤثرات الصوتية الفكرية ideophonic، والإسهاب فى المشاهد ذات المرجعيات المعاصرة، واستخدام القصة لإبراز الأخلاقى الفريد فيهـــا. وفى هذا التقرير، وهو ترجمة دقيقة، يمكننا أن نرى أهمية التقنيات الصوتية

المتنوعة لتأسيس والمحافظة على الفصاحة والتشويق الـدرامي. تبـدأ أول راوية، كما هو الحال دائمًا، بأن تقول، "لدىَّ قصة، دومى أو دوميسيا Domei oo Domeisia"، ويرد على ذلك المتفرجون، "سا كوند Sa Konde". عندئذ تندفع فى الحكي.

الراوية الأولى (هانا سامبا): انتبهوا إلى تلك الفتاة من زمن قديم، لقـد كانت زانية مميزة. استمرت تزنى زمنًا طويلاً، ثم بدأ نشاط مجتمع ساند فى تلك المدينة. جاءت الأرواح من الغابة الشاسعة، جاءت إلى مكـان الـرقص هذا. كان اسم إحدى الأرواح كبانا. وعندما جاءت الـروح، تحـدث إليهـا بكلمات الحب. قبلت كلمات الحب هذه الموجهة إليها، لكنها لم تقل شيئًا منها لوالديها. نامت الأرواح فى الليل، ثم عند طلوع النهـار، توسـلوا لتـركهم يذهبون.

قالوا، "سنغادر غدًا".

ذهبت مع رفيقاتها (كن خمسًا) مع هؤلاء الرفاق، صاحبوهن. عندئـذ ذهبن فى صحبتهم.

عندئذ قال عشاقهن لهن، "عدن يا حبيبات، وجهتنا ليست مبهجة". لهذا السبب قالوا، "عدن!".

فى ذلك الحين عدن، أولئك الأربع، ووحدها بقيت.

وهكذا قال لها حبيبها، "يومبو، عودي!".

أجابت، "دعنى أذهب إلى هناك".

قال، "وجهتى ليست مبهجة، ولهذا السبب، عودي!".

"كوو"، قالت. "كابانا، مكان موتك هو مكان نومي. لا يهم أين تذهب، على أن أذهب!".

توسلت إليه وقتًا طويلاً. أعطاها مائة جنيه استرليني.

"أوو"، قالت، "سوف أذهب بالتأكيد الآن". قالت، "حتى لو أعطيتني ثلاثمائة جنيه، سأتبعك أينما ذهبت".

وهكذا قال، "موافق".

وبينما كانا ذاهبين، هذا الكبانا..... كل الأشياء التى لديه، كل ملامح الوسامة... انتبهوا، كان "شيئًا ضخمًا"! ملامحه الإنسانية، كل هذه الملامح التى استعارها، انتهت. وعندما وصلا إلى مكان، كان يذهب لزيارة الشخص ويعيد إليه ملمح وسامته الخاص. وعندما وصلا إلى مكان آخر، كان يذهب لزيارة ذلك الشخص ليعيد إليه ملمحه الوسيم الخاص. وهكذا تحول إلى روح. ثم بلغا أعماق بعيدة فى غابته الخاصة.

قبل أن يصلا إلى مكانه الخاص، وبينما كان هذا الرفيق يغير من نفسه، اعتراها خوف شديد، لكن لم يكن هناك ما يمكن فعله تجاه ذلك لأنهما كانا قد ابتعدا كثيرًا جدًا. لم يكن هناك ما يمكن فعله عندئذ، بخصوص عودتها. وهكذا عرضت أنوثتها، وتقوى قلبها حينئذ. رحلا بعيدًا، حتى وصلا إلى المكان الخاص لهذا "الشيء الضخم".

فى الفجر، يذهب هذا "الشيء" إلى الدغل، مكان الصيد. ذهب إلى هناك وقبض على هذا الشخص، ثم عاد وقبض على حيوان، حيوان دغل، وأتى به.

قد يقول، "هيى هيي"، وقد يقول، "يومبو، يومبـــو، النـــوع النـــاعم أو المكسو بالشعر، أيهما تفضلين؟".

"كوو"، قالت، "أيها الأب، لقد أكلنا باستمرار النوع المكـــسو بالـــشعر هناك".

قال، "ها هو إذن".

عندئذ أخذت النوع المكسو بالشعر وأخذ "الشيء الضخم" النوع الناعم وأكله. كله كله.

ظلا هناك. جلسا معًا، وهكذا عرفا كل منهم الآخر فى ذلـــك الحـــين. بقيت هناك وعندها حملت فى طفل.

هذا "الشيء الضخم"كان منذ زمن بعيد قد نام لمدة عام. وعندما كـــان نائمًا استطاع أن يضطجع واستطاع أن ينام عامًـــا كـــاملاً، واســـتطاع أن يستيقظ. (آه، هذا العناد الذى تتسم به، يمكنها أن تُظهره مرة أخرى بالطريقة نفسها). وهكذا جمع هذا "الشيء الضخم" الكثير من الأشـــياء، الكثيـــر مـــن الطعام، ما يكفيها لمدة عام، جمعها كلها، وجاء معها. جمعها كلها فى بيـــت واحد حتى ملأه، لأنه ينام عامًا واحدًا قبل أن يستيقظ. عندئذ أخبرهـــا هـــذا "الشيء الضخم" عن هذا الأمر.

"كوو"، قالت، "لا أوافق أن أبقى هنا وحيدة. نحن الاثنان، دعنا نـــدخل هذا البيت معًا".

"إيي"، قال "الشيء الضخم" لها، "يومبو، هذا شيء أقوله لك، أنـــصتى إليَّ". قال، "سوف أنام لمدة عام واحد".

قالت، "دعنا ندخل هذا البيت معًا، فسوف أقوم بهذا النوم أيضًا".

ظننت أن الأمر كان نكتة يداعبها بها.

وهكذا دخلا ذلك البيت. هى وهذا "الشيء الضخم"، دخلا بيت القصة الكبير هذا. كان مصنوعًا من الحديد، حتى عتب النافذة. وهكذا دخل هذا "الشيء الضخم": جباجبا نج gbugba NG جباجبا نج جباجبا نج.

عند ذلك، تم إغلاق كل البيت، انتهى الأمر سى نج seNG.

عندئذ ذهب واستلقى على سريره. وعندما ذهب واستلقى على سريره، صدر عن "الشيء الضخم" هذا الشخير: سوف أنام عامًا، سوف أنام عامًا، سوف أنام عامًا. صدر عنه صوت الشخير هذا. وظل يُصدر صوت الشخير هذا زمنًا طويلًا. فعل ذلك مدة شهرين، ثم مدة ثلاثة أشهر. وفى الشهر الرابع أصاب المرض الطفل بين يدى يومبو. ورغم أن الطفل كان مريضًا بين يديها، أوو أيها الأصدقاء، كان كل المنزل مغلقًا بالحديد! وهكذا، لم تكن تستطيع فعل شيء على أى حال لفتحه. عندما كان هذا الطفل مريضًا حينئذ بين يديها، ظننت أن الأمر نكتة يداعبها بها هذا "الشيء الضخم". أوو يا. غنت أغنية لهذا "الشيء الضخم" المستلقى هناك فى نومه.

لا تنم يا ليكيمو، لا تنم يا ليكيمو،

أنت تغش فى القانون، أنت تغش فى القانون،

طفلك، انظر إليه وهو يموت بين يدي.

أنظر إلى وأنا أموت مثل هذا.....

سوف أنام عامًا، سوف أنام عامًا.

استمرت تغنى هذه الأغنية. عندئذ مات الطفل بين يديها. وعندما مات هذا الطفل بين يديها، سقطت هى نفسها. سقطت هى نفسها وماتت.

ولزمن طويل كان هذا "الشيء الضخم" غارقًا فى النوم. مر العام بكامله واستيقظ. وعندما استيقظ، اكتشف عظامهما فى المكان. اكتشفهما مبعثرين هناك، هى وطفلها. وعندما نهض هذا "الشيء الضخم"، حمل مكنسة قش ولقاطة كناسة، وجمع عظامهما وى وى وي. وخرج ورماها بعيدًا.

لذلك السبب فإن العناد ليس لائقًا. مهما تفعل، وقتما يقول شخص، "لا تفعل ذلك"، أطعه.

وتنتهى قصتى إلى ....

الراوية ٢ (مارياتى ساندي): دومى أوو دوميسيا.

المستمعون: سا كوند.

الراوية ٢: انظروا إلى هذه الأرواح منذ زمن بعيد، كانت هناك اثنتا عشرة منها فى غابتهم. عندئذ تم تنظيم رقص فى المدينة، كان رقص ساند للبدايات، رقص لمراسم الزواج. وكانت هناك حفلتان للرقص، تم تنظيمهما فى مدينة واحدة. عندئذ كان من أمر كل هذه الأرواح، كلها تحولت إلى رجال شباب. أوو! كم كان هؤلاء الشباب بالغى الجمال! عندما رأتهن كل النساء، رغبن فيهم، دون حتى الحصول على هدية! وهكذا ارتدوا جميعًا ملابس فاخرة، وأتوا إلى الرقص، ولقد جاءوا وجامعوا كلهم فى المدينة _ هؤلاء الاثنا عشر، كلهم. حصلوا على اثنتى عشرة فتاة عند ذلك الرقص، ورقصوا عشرة أشهر، كان قد بقى شهران فقط لتكملة العام.

عندئذ توسلوا ليرحلوا، وقالوا، "سنرحل غدًا".

كل تلك الأشياء الصغيرة التى كانت لديهم، أعطوها لحبيباتهم. ثم فـــى الفجر أدركوا الطريق. وذهبت معهم خليلاتهم كمرشدات. كانت هناك فتـــاة واحدة بينهن عنيدة جدًا، ويضاف إلى ذلك أنها كانت تريد بالفعل رجلًا. (هذه القصة التى أحكيها، أحكيها لنا نحن الزانيات، لا أحكيها لأى أشخاص آخرين سوانا، نحن اللائى نرتكب الفاحشة. إنها قصتنا تلك التى أرويهـــا. وأيـــضًا، نحن اللائى نسد آذاننا، اللائى لا نقبل أى كلام صادق، نحن الشخصيات ذوو الآذان المسدودة، ونحن الزانيات النهمات، هذه هى قصتنا". ثم إن رفيقاتهـــا، البنات الإحدى عشرة، عدن. وهكذا من الأرواح الاثنتى عشرة تلك أيـــضًا، خرجت إحدى عشرة روحًا جميعًا من أماكنهن واحدة تلو الأخرى. وصـــلن إلى مكان اجتماعهن على الطريق الكبير، ثم عدن هؤلاء الإحدى عشرة.

وهكذا ظل وحيدًا، هو ومعشوقته. وهكذا قال لها (تسمى هذه الـــروح كبانا، واسم الفتاة يومبو)، قال لها، "يومبو _ عودي"! هنـــاك، حيـــث نحـــن ذاهبان، هناك الأمر سيئ". قال، "لقد رأيت كل رفيقاتك وقد عـــدن، وأنـــت أيضًا، أتوسل إليك، عودي".

فى إصبعه كان هناك خاتم ذهب جميل. عندما ذهـــب مثـــل (إيمـــاءة انعطاف)، كان الخاتم يلمع. وفى الواقع، كان الناس البيض قد أخـــذوه منـــذ زمن طويل وحولوه إلى كهرباء هى التى تشع ضوءًا بهذا الشكل الذى نـــراه اليوم...

المستمعون: كوو!

الراوية ٢: ثم إنه أعطاه لها وقال، "عودي!". قالت، "لن أعود". قالت، "أينما تذهب سأصل إليك. مكان موتك هو مكان نومي".

هذه الروح أخذت عندئذ كولا[٦٨] من بنطلونه (من ذلك المكان الصغير الذى نضع فيه شيئًا نطلق عليه اسم بوى boi، ويطلق عليه الناس البيض "جيب" _ كان فى بنطلونه)، عندئذ أخرج الكولا من داخل البوى، وقسمه وأعطاها جزءًا منه. وهكذا أخذته هذه الفتاة فى يدها، وأخذت الروح أيضًا جزءًا فى يدها.

رحلا بعيدًا، ومرا على الدغل، عندئذ: قال لها، "يومبو، انتظرينى". قال، "دعينى أدخل فى الدغل". دخل إلى الدغل، لكن لم يكن خداعًا أنه يصطاد. أول شخص وصل إليه كان الشخص المشعراني. (مثلكم أيها الناس البيض هنا، مثل شعركم الآن، كان أيضًا شعره الذى أعاره للروح". كان شعر الروح الخاص فى الواقع خصلة واحدة فقط على رأسه. عندئذ أخذ هذا الشعر وذهب به.

قال، "إي، فيتنجو المشعرانى يا عزيزي، أخذت شعرك. أعد لى شعرتى الوحيدة".

وهكذا انتزع فيتنجو المشعرانى عندئذ شعره الخاص وأعاد شعرة الروح الواحدة إلى رأسه.

المستمعون: كوو!

---

(٦٨) الكولا Kola: نبات إفريقى، له بذور على شكل بندقة تنتج الكافيين ومركب الثيوبروسين، ويستخدم فى المشروبات الغازية ومستحضر صيدلى – المترجم

الراوية ٢: وبينما كان يخرج فى ذلك الحين، قالت يومبو هــذه، "أى كرب هذا؟. "مَنْ الآتي؟".

قال، "لا تخافى مني، إنه أنا كبانا"، قال، "إنه إنـــه إنـــه... يومبـــو، يومبو، الكولا الخاصة بك، الكولا الخاصة بي، أليس الأمر كـــذلك؟". قـــال، "دعينا نذهب".

ثم انتزع الكولا الخاصة به من البوي، جيبه، إنه الـــشيء المناســـب بالفعل. وقال، "الكولا الخاصة بك، الكولا الخاصة بي، أليس الأمر كـــذلك؟". وقال، "دعينا نذهب".

أحدث ذلك حينئذ فزعًا شديدًا. واصلا الرحيل، ووصلا إلى هاكاباما Hakawama. عندئذ دخل برجلين. ذهب وأعادهما. كانت رجل واحـــدة فقـــط أسفل الروح. أعادهما له.

قالت، "لماذا حدث أننا رحلنا اليوم وأرجل أبى كانت اثنتين، والآن لديه رجل واحدة؟".

قال، "هيى هيى هيي.. الكولا الخاصة بك، الكولا الخاصة بي، ألـــيس الأمر كذلك؟".

قالت، "أيها الأب، دعنا نذهب بعد ذلك!".

خلق هذا خوفًا شديدًا ليومبو، كل هذه الأشياء التى خلقها الرب للرجال الفانين _ أصابعه، شعره، عنقه، كل شيء _ أعادها كبانا كلها.

عندئذ رحلا ووصلا إلى نهر. عند مكان عبور الماء هذا منـــذ زمـــن بعيد كان يجلس هذا الرفيق على حافة الماء. عبر النهر مع شـــخوص فـــى

قاربه. كان اسمه رجل شيربرو Sherbro. عندما كانا راحلين، قال هذه الروح لرجل شيربرو إنها ستعبر النهر معهم. ويومبو نفسها، وهى تـسير بجانـب الرجال كانت سعيدة، كزت على أسنانها، مصممة تجاه هذا الرفيـق، رجـل شيربرو. ثم غنت أغنية:

رجل شيربرو _ رجل شيربرو _ شير....

رددوها جميعًا.

المشاهدون:

رجل شيربرو _ رجل شيربرو _ شير....

الراوية ٢:

اعبر النهر معى _ أوو

لا يمكننى عبور النهر معك،

أنت أيتها الشفة الكبيرة المكتنزة.

أنت معتاد أكل مكنسة القش القذرة.

استمرا بهذا الشكل، ثم رحلا ووصلا إلى محل إقامته الـدائم. وهكـذا بقى رجل الشيربرو هذا، جالسًا على ضفة النهر.

هكذا وصلا إلى بيوت هذه الروح المصنوعة من كتل الأسمنت، والتى كانت قد بنتها هذه الروح، منذ زمن بعيد. فقط فى أمريكا يوجد هذا النوع من البيوت. فى فريتاون بكاملها، كل فريتاون، لا يوجد حصن من هذا النـوع. (إذا كنت تقول أكاذيب، فهذا يشبه ما عليك قوله، يجب أن ترتب الأمر على

هذا النحو): مرايا هذه الحصون، إنها تلك التى كان يصنعها الناس البيض، ويثبتونها فى واجهات سيارتهم، والتى ظهرت الآن على الطرق لمساعدة الناس.

فى الفجر كانت هذه الروح تذهب إلى مكان الصيد. ذهبت للصيد واقتنصت حيوانات، اقتنصت أحيانًا تسعمائة حيوان. ومن الناس الأحياء، أمسك أحيانًا بسبعة شخوص. عندئذ أحضرها وكدسها باشى bushu، لقد كدسها باشي، ثم سقط. واستلقى هناك، كان مجهدًا. وظل مستلقيًا زمنًا طويلاً، وكانت الشمس تسقط هناك فى البحر.

عندئذ لم يكن الجوع يزعج يومبو، ببساطة لأنهما بمجرد وصولهما، أعطاها طعامًا يمكن أن يكفى ليومين. وهكذا كانت يومبو تشعر بالامتلاء.

قال، "هيى هيي، يومبو، يومبو، الناعم أم المشعراني، ما الذى تفضلينه؟" (إنه صوت الشيطان الذى يكون مؤلمًا إلى هذا الحد).

أجابت يومبو، "بالنسبة لنا، أيها الأب، نحن نأكل المشعرانى عادة".

عندئذ قال، "خذى ما تحبين". (هكذا تكلمت الروح).

وهكذا ظلت يومبو حريصة على هذا اللحم. وبينما تكون مشغولة فى إعداد هذا النوع، يمكن إفساد النوع الآخر، يمكن تجفيف النوع الآخر، يمكن للنوع الآخر، أن يكون مقليًا، أو طهيه على البخار، يمكن تمليح النوع الآخر. ولقد وضع هذا الرفيق تلك الكائنات البشرية، كل الأشخاص السبعة الذين قبض عليهم، فى مكان، حيث يمكنه أكلها فى سبعة أشهر.

وبقيا على هذا المنوال لزمن طويل، عندئذ أصبحت يومبو حاملًا. حملت فى طفل. كان اسم الطفل بوبو (اسم أبيه كبانا، واسمه بوبو كبانا). بقى هذا الطفل هناك وقتًا طويلاً، بعدها شب عن الطوق وأصبح وسيمًا حقًا. وصل إلى عمر الرجل الناضج، هذا البوبو كبانا.

وهكذا مر عام. عندئذ عاد كبانا إلى مكان صيد الحيوانات. وعندما ذهب كبانا إلى مكان الصيد هذا، قد يبقى هناك حتى تسع سنوات، يصطاد هذه الحيوانات. بقى فى مكان الصيد هذا، لأن بومبو لم تفعل شيئًا للتسعمائة حيوان هذه، وبعضها أصبح فيه يرقات.

عندئذ أتى رجل وقال، "لقد جئت، دعينا نبقى معًا فى هذا المكان".

قالت، "همم _ م _ م. أوافق على طلب البقاء معًا هذا الذى قدمته، لأننى هنا وحيدة، الشخص الحى الوحيد، أنا وطفلى الصغير. قالت، "هذا الشخص الذى جاء معى منذ زمن بعيد هو روح. أى نوع من الأكل أرغب فيه، يصطاده لي، ويضعه فى هذا البيت، لقد ملأه كووبو ن ج kooboNG. عندما يأتى هذا، فسوف نأكله، سوف نلهو به، وما يحلو لنا أن نفعل به، نفعله. لكن بما أنك جئت هنا، سيان من جيريشو أو من خلف فريتون أو مكان نمو الصخر، من أى مكان كان، سوف يكتشف أنف الأب رائحتك. سوف يأتى وعندما يأتي، سوف يأكلك أنت نفسك!".

سأل "لماذا؟".

قالت، "إنه يأكل الناس. الناس الوحيدون، الذين لا يأكلهم هما أنا وطفلي. فقط نحن الاثنان لا يأكلنا. رغم كل هذا". قالت، "سوف نبقى هنا".

عندئذ طهت هذه الفتاة طعامًا بسرعة، وأعطته لهذا الرفيق، لهذا الضيف. اسم الضيف هو ماجيا. ثم أعطته لماجيا وأكله. أوو ياي. عندئذ اقترب موعد عودة هذه الروح.

كانت هناك عاصفة شديدة على وشك أن تهب. كانت نفس تلك العاصفة التى قسمها الرب بين الأرض والبحر. عندما تكون جالسًا بجوار البحر وتسمعها داا داا، فهى مثل هذه العاصفة، إنها تفعل ذلك فى البحر. لعل هذه العاصفة، كانت تفعل ذلك فى الزمن القديم، وقتما تعود الروح. نفس هذه العاصفة على شاطئ البحر التى تسمعها داا داا. أوو ياه. لقد بدأت من هناك، وسوف تصل قريبًا إلى آخر العالم.

قالت، "كوو، أيها الشاب، هذه الحياة معًا التى نمارسها، لقد اقترب وقت وصول (واتى wati) زوجى الآن". (أيها الناس البيض، تسمون الوقت تايمى taimi، ونحن نسميه واتي).

قالت، "الوقت يقترب. هذا ما قال إنه سيفعله، وهو الآن آت".

عندئذ خرج براز من الفتاة. ذلك البراز الحقيقي، لم يكن شيئًا آخر غير براز كبير، خرج منها. أوو!

ثم جاء فى ذلك الوقت. لذلك التقطت الشاب وحملته هناك، إلى الطابق التاسع فى ناطحة السحاب هذه، ذلك البيت متعدد الطوابق الذى هيأه _ حتى الآن، بولو ن ج poloNG!

فعلاً، عندما جاءت هذه الروح، كان قد هبط منذ سبع سنوات قبل أن يستيقظ. بمجرد وصوله، جاءت الروح وجمعت هذه الأشياء. قال، "هيي، هيي، هيي، يومبو، يومبو، المشعراني أم الناعم. ماذا تفضلين؟

قالت، "أيها الأب، إنه المشعراني الذى نأكله، نحن فى بلدنا".

قال، "حسنًا إذن، خذيه".

عندئذ استلقت هذه الروح. وهذا ما بدأ منخاراه يفعلانه، لذلك قال، "همم _ همم، رائحة شخص طازج طازج". (كان هذا روحًا). أراد أن يعرف ما فعلته الفتاة، خلال السنوات التسع، خلال وجوده فى مكان صيد اللحم.

"إيي". قالت، "أقول أيها الأب، أنت تعرف أن كبانا بوبو كائن بشري، أنا نفسي، أنا كائن بشري. تقول رائحة شخص طازج طازج، ماذا عن هؤلاء الناس الذين أتيت بهم، أليسوا شخوصًا طازجين؟".

قال، "هيي، هيي، هيي، هيي، يومبو، يومبو, لا أعرف ما تفكرين فيه. لا تجعلى منى أضحوكة. قلت رائحة شخص طازج طازج".

ظلا (يتجادلان) على هذا النحو زمنًا طويلاً. ثم نسيت هذه الروح (كل ما يخص الموضوع). وهكذا قام بترتيب كل هذه الأمور.

وهكذا فإن هذا الشخص الذى أتى اليوم، والذى رفعته يومبو إلى أعلى مستوى، كان لديه كبافى kpafei. كان هذا الكبافى من النوع الذى يملكه التواؤم أيضًا. كان طويلاً ونحيلاً، وله رائحة مثل تلك الرائحة، كان داخل شعره. كل هذه الثروة تدخل العالم، أنتم أيها البيض، هذه الثروة (ثروتكم)، هى يومبو، التى أتت منذ وقت طويل مع هذه الثروة، التى أتيتم أيها البيض

معها. أنتم يا من تعطوننا مالاً، أنتم يا من لديكم ولع بشئوننا، إنها يومبو التى أحضرتها. حسنًا، عندئذ جمعت يومبو كل هذه الثروة وأظهر الحبيب الكابافى الخاص به من أجل هذه الوجبة الواحدة التى أعطتها له.

قالت، "لقد التقطت الكبافى جبا kpafei gba!"

كانت الروح تبقى نائمة لأنها اعتادت أن تنام حتى أكثر من سبع سنوات. كانت تبقى على حالها فى هذا النوم.

قالت، "لقد التقطت الكبافى هنا جبا!".

قالت، "الحصن، ناطحة السحاب، سقف الزنك، أى شيء من أى نوع يحتاجه الشخص، أكياس الأرز، ألف كيس من الأرز الصلب"، قالت إنها كلها سوف تدخل فى الكبافى الخاص به. قال إن ألف خروف، قال أى شيء من أى نوع، ألف منه - أبقار، بط، دجاج، كلها - سوف تدخل (الكبافي).

عندئذ قال الحبيب إنه سوف يكشف عن الكبافى الخاص به هنا وعلى كبانا بابو أن يدخل عندئذ فى هذا الكبافي. وقال إن أمه أيضًا عليها أن تدخل ولقد دخلت. وهكذا مر عام تى ن ج tnNG. كانت هذه الروح نائمة، نامت، نامت، نامت بى pu. وانطلق هذا الرفيق فى الرحلة معهما. وبينما كانوا منطلقين تاكى تاكي، تحركوا خطوات تيلى tele وسقطوا. آه، عندئذ استيقظت من نومها هذه الروح التى نامت خمس سنوات وانطلقت فى رحلتها. وهناك كانت منطلقة فى رحلتها. أوو، المدينة بعيدة. وعندما ترجع، تكون قد نسيت الطريق الذى سلكته، قد تأخذ طريقًا آخر. لكن هذا الرفيق، كان يعرف الطريق الذاهب إلى المدينة.

واصلوا الرحلة، عندئذ قالت هذه الروح، "آأ، أيها الــرب العظــيم، إذا أخذت شخصية وأتيت معها إلى مدينتك، وأعطيت لها (هدايا)، وفعلت كــل شيء من أجلها، ثم ذهبت، وحتى لم تقل وداعًا لــك _ أوو، أوو! إنـــه أنـــا كبانا"، قال. أيًا كان ما أرادته وفرته لها. سرقت كــل ثروتـــي _ أبقـــاري، خرافي، جيادي، دجاجي، بطي، خنازيري، كل شيء _ ذهبت بها. إنها حتى لم تقل وداعًا لي! أوو أيها الخالق، هذه هى الحقيقة، لن أراها مرة أخـــرى، إنها ليست هنا. أوو، دعنى ألحق بها الآن".

أقول، عندما برزت هذه الروح، كانت المسافة بينهم من عمود الشرفة هنا حتى باب ذلك البيت هناك.

ثم استدار هذا الرفيق ومن داخل الكبافى قالت يومبو، "كبـــو! اســـتدر هنا، الروح هناك تقترب من خلفنا". ثم قالت أيضًا، "أيهـــا الـــرب العظـــيم، افترض أن شخصًا يأتى مع طفل شخص ما، وإلى مدينته الخاصة، ولا يعود معها إلى مكان نومها الخاص، ألا تعيدها إلى مكان نومها الخـــاص؟ هـــذه الروح جاءت منذ زمن بعيد معي. قابلتنى منذ وقت بعيد فى شئون الحـــب، أحبتني، وقالت، (تعال معي)، لكنها تريد أن تأكلني! أيها الخالق، ســـاعدنى حتى أصل إلى عائلتى الخاصة".

أقول، إن ريحًا هى تلك التى هبت عليهم. اســـتمروا راحلـــين زمنًـــا طويلًا، هاا ن ج haaNG، عندئذ انزلقت الروح وسقطت. وكانـــت عليهـــا أن تظل أربعمائة ساعة فى هذه السقطة. أصيبت بالشلل، ولم تستطع النهوض.

استمروا فى الرحلة هاا ن ج. وأخيرًا وصلوا إلى طرف المدينة. كانت الروح قد وهنت بالفعل الآن، لأنها عندما رأت الناس فى المدينة، أصبحت عندئذ خائفة. ولم تتقدم أكثر من ذلك، لكنها عادت. وعندما عادت، لم يكن هناك شيء، مجرد بيت فى مزرعة. اكتشف أن الأرضة أكلت، وأنهت على كل شيء. كل شيء محطم ومتناثر ووجو ن ج wojoNG. ولم تستطع أيضًا الحصول على طعام، هذه الروح نفسها، لم تستطع الحصول على أى شيء.

وهكذا وصل هذا الرفيق بجانب تلك المدينة مع هذين الشخصين. نظر إلى البيت. نظر إلى المدينة.

ثم أجلسهما وقال، "لقد وصلنا هنا".

نزل كبانا بوبو وأمه، يومبو، عندئذ، وقاما بتحية كل الناس فى المدينة. كان كل الناس قد اشتاقوا إليهما، لكنهم لم يتعرفوا عليهما، لأنها كانت فى شبابها. كانت محبوبة، شابة، محبوبة عندما خرجت منذ زمن بعيد، وصاحبت تلك الروح.

أمها الحقيقية التى ولدتها، كانت قد تيبست. طرحوها أرضًا، ووضعوها فى جرة. وعندما عادت طفلتها، عندئذ فقط، قلبوها رأسًا على عقب وأخرجوها. وعادت المرأة، وتحولت إلى شخص حى فى مملكة هيمنة الرب. ثم ذهبت ورأت طفلتها، واستمروا فى تحية الناس.

وافق الناس عندما قالت، "هيي، أعطونى مكانا أبنى عليه".

أنا أقول، حالما تم هذا القول، فجأة كانت هناك مدينة مثل سالو ن ج SaloNG موجودة هناك (مثل فريتاون، حيث كنتم منذ وقت قريب). وهكذا

كانت هذه المدينة تشبه ذلك. وحالاً اجتمعوا معًا كلهم، وتم الانتهاء من تمليس الأسمنت هناك، وفرك القار، وتمهيد الشوارع فى كل مكان، حتى تصل إلى كل الغابات، سى ن ج seNG.

كانت يومبو هى التى أحضرت الأسمنت إلى البيوت. كانت هى التى جاءت منذ زمن بعيد بالثروة. كانت هى التى جاءت منذ زمن بعيد باسطبلات البقر. كانت هى التى جاءت منذ وقت بعيد بتدجين الخنزير. ذلك العناد الذى مارسته يومبو وحدها، الخاص بها كان يناسبها. أوو، فعلت يومبو ذلك من أجلنا فى الوقت الراهن. نحن الذين نقيم فى الأماكن البراقة التى يطلقون عليها "المسقوفة بالزنك"، اعتدنا أن نضع عشب الفيل على قمة بيوتنا. يومبو كانت هى التى أغنتها تلك الروح بثروتها. شكرًا لذلك الطعام الذى أعطته لهذا الحبيب، فهو الذى جعل الثروة تأتى فى العالم، كل الثروة القديمة هذه.

لقد سمعت ذلك وقلته.

الراوية ٣ (مانونجو): دومى أوو دوميسيا

المستمعون: سا كوند. [لا تحكى قصة طويلة، أيتها الراوية]

الراوية ٣: إنها نهاية الغيرة، هو ما سوف أوضحه لكم.

المستمعون: القصة التى قدمتيها أمس، لا تحكيها مرة أخرى!

الراوية ٣: ليست هى التى سأحكيها. سأحكى عن الغيرة، هذا ما سوف أعرضه أمامكم.

كان هناك رقص في زمن بعيد، بدأوا الاحتفال بمجتمع سائد عظيم في المدينة. وهكذا تم تنظيم رقص عظيم. جينج Jenge جينج جينج، عندئذ جاء الأسلاف، الأسلاف، كانوا أرواحًا، سوف أسميهم الأسلاف. ثم أتوا إلى الرقص. كانوا اثنين فقط.

فتاة تدعى يومبو. وشخص الدغل الذي جاء منذ زمن بعيد كان اسمه كبانا. عرض عليها الحب. ورفيقه، واسمه جينا بيمبا، عرض الحب على فتاة أخرى. وهكذا مارسا الجماع لمدة ثلاثة أيام في حفل الرقص هذا، ثم قالا، "سوف نغادر".

وهكذا اصطحبوهما. عندئذ طلب رفيقه من فتاته أن تعود. قال، "عودي!". وهكذا عادت.

قالت يومبو، "لا تهتم بالأمر، سوف نذهب أنا وأنت معًا".

أجاب حبيبها، "هناك حيث نحن ذاهبان بعيد جدًا. ولذلك لا تتبعيني!".

"كوو"، قالت، "عزيزي، حيث إنك أحببتني حقًا. أنا أحبك. هناك حيث تقيم بالفعل، ومن حيث أتيت...".

قال، "إيي؟".

قالت، "أنت وأنا ذاهبان إلى هناك".

ثم ذهبا. وبينما كانا في طريقهما، وصلا إلى نهر صغير وعبراه. كان لديه جوزة كولا، شطرها وأعطى جزءًا منها لها واحتفظ بجزء لنفسه. ثم انطلقا بعض الوقت أبعد من ذلك..

المستمعون: لا تقولى أكاذيب

الراوية ٣: إذا كنت أكذب، عندما تصدر الضفادع نقيقهـــا... ســوف أتوقف عندها. لن أقول المزيد.

ثم عبرا النهر الصغير، وشطر الكولا فا va، وأعطى لفتاته ما يخصها، واحتفظ بما يخصه. ثم قال، "لا تعودي!".

قالت، "لا أريد أن أعود". وهكذا استمرا فى الرحلة. انطلقا على طريق طويل، ثم فا، هبطت سلسلة من السماء. يويويويو، نزلت.

قال، "فتاة....".

قالت، "إيي؟".

قال، "بهذه السلسلة يمكننا أنت وأنا أن نذهبا إلى تلك المدينة".

قالت، "إيي".

قال، "امسكى بهذه السلسة جيدًا".

قالت، "إيي".

قال، "امسكى بخصرى بإحكام. سوف أمسك بهــذه السلــسلة، وأنتـــى امسكى بى بإحكام، امسكى بخصرى بإحكام. إذا انفــصل أحـــد عـــن هـــذه السلسلة، سوف يسقط ويموت".

هكذا أمسك بهذه السلسلة وقال:

جى ن ج jeNG جى ن ج جى ن ج جى ن ج جى ن ج

ما جى ن ج Ma jeNG كى جى ن ج Ki jeNG

جى ن ج جى ن ج جى ن ج جى ن ج جى ن ج

ما جى ن ج Ma jeNG كى جى ن ج Ki jeNG

هيا نمسك بالحبل جيدًا، هيا نذهب.

قلت لك منذ زمن بعيد

وجهتى باجبالي.

جى ن ج جى ن ج جى ن ج

ما جى ن ج Ma jeNG كى جى ن ج Ki jeNG

هيا نمسك بالحبل جيدًا، هيا نذهب.

لعله يقول، "دعينى أقول لك....".

قالت، "إيي؟".

قال، "عندما صحبتني، بينما كنا فى الطريق، أوضحت لك أننا عند وصولنا إلى المدينة، إذا رأيت ضفدعًا، أو دودة أرض، أو شخصًا مصابًا بالقرح، أو شخصًا مريضًا، أو مجزومًا، وإذا لقوك بفرح، يجب أن تحييهم. لا يجب أن تتراجعي، هل تفهمين؟

قالت، "إيي".

قال، "لا يجب أن تتقهقري، هل تفهمين؟"

قالت، "إيي".

قال، "هل تفهمين؟"

قالت، "إيي".

جى ن ج jeNG جى ن ج جى ن ج

ما جى ن ج Ma jeNG كى جى ن ج Ki jeNG

هيا نمسك بالحبل جيدًا، هيا نذهب.

واصلا المسيرة، واصلا المسيرة، واصلا المسيرة، ووصلا إلى مدينة مثل ماترى Mattru الآن. وصلا إلى هناك وقال، "أترين هذه المدينة هناك؟".

قالت، "إيي".

قال، "تحبين.."

قالت، "إيي".

قال، "قلت لك سنحب بعضنا. بقيت ثلاثة أيام فى مدينتك، وأنت قلت إنك وأنا علينا أن نأتي. قل، (لا تأتي)، قلت لك، "مكان نومى بعيد": أصبحت أكثر قربًا مني، كونى ن ج KoniiiNG. والآن، حيث إننا ذاهبان [إلى المدينة]، إذا رأيت شخصًا مصابًا بالقرح، أو ضفدعًا، أو دودة، إذا قابلك، قائلاً جوجبا جوجبا [قائلاً] (زوجتى أنت! الأم أنت! شيء ما حدث!)، لا تتقهقري! إذا تراجعت بعيدًا عنهم، فسوف تُعاقبين بقسوة".

جى ن ج jeNG جى ن ج جى ن ج

ما جى ن ج Ma jeNG كى جى ن ج Ki jeNG

هيا نمسك بالحبل جيدًا، هيا نذهب.

كبى ن ج آم KpuNGame، وصلا إلى المدينة. دفعهما النـــاس: كبـــى Kpi، سوف ترين هذا قادمًا، تى ن ج tiNG، كرات كبيرة قادمة دى ن ج دى diNGde، كل الأنواع قادمة [تصيح]: "زوجتنا! أخونا جاء مع زوجتنا. أخونا قادم...".

عندئذ أتى ذلك الشخص وعانقته، فيجبا vigba، تحاضنا. ثم جاء هـــذا الشخص، فيجبا، وتحاضنا. ثم جاء هذا الشخص، فيجبا.....

دخلا البيت، كوت kote. وقال لها، "قلت لك....".

قالت، "إيي".

قال، إذا كانت أمى الحقيقية التى حملت بـــي، إذا رأيتهـــا وإذا كانـــت مصابة بالقرح، إذا كان لديها قرح هنا وهناك فى أى مكان كان هذا الصديد، الذى لا يخرج منها، وكانت الدماء تخرج منها، لا تتقهقـــرى بعيـــدًا عنهـــا، موافقة؟ أيًا كان نوع الشخص الذى يأتي، حتى المجزوم، ابقى ثابتة بحزم فى مكانك. إذا طهت طعامًا وأعطته لك، لا تتقهقرى بعيدًا عنه، موافقة؟"

قالت، "نعم".

وعندما ذهبت، فعلوا جميعًا [كما سبق أن قال] معهـــا. انتهـــى شـــهر هناك، كبو ن ج جو ن ج kpoNGjoNg. انتبهوا _ كل هؤلاء النـــاس كـــانوا طيبين!

وهكذا عند انبلاج الفجر، قالت أم زوجها لها، "أيتها السيدة الشابة، اغلى بعض الماء حتى يمكننى أن أغتسل، موافقة؟".

وهكذا غلت الماء وأعطته لها. اغتسلت به. واستعرضت قوتها النسائية لمدة ثلاثة أيام. فى اليوم الثانى أحضرت الماء المغلي. فى اليوم الثالث قالت، "يا فتاة...".

ردت، "إيي؟".

قالت، "هذا الماء الذى غليته من أجلى، لكى أستطيع الاغتسال. إذهبى إلى تلك الغابة الآن. سوف ترين بالفعل حطبًا صلبًا جدًا، مثل ذراع الطاحون هذا نيكى nikii، إنه بالفعل كليكل klekle قوي.

قالت، "إيي".

قالت، "حطميه. خلصيه من الأوراق، اربطيه بإحكام وأحضريه هنا. ثم تغسلين هذا القرح، وتعالجينه سى ن ج seNG، ثم تقضين عليه فولى voli. عندما ترين شيئًا يقفز عليك، فسوف تكون لك".

عندئذ تركت هذه الفتاة اغتسالها وقطعت هذا الشيء _ ذراع الطاحون نيكى هذا _ بسرعة. جاءت به. أزالت الأوراق، بولى poli، ربطته مثل حزمة كوجبا koogba التى كانت لدى شعب مجتمع الواند Wunde منذ زمن بعيد. وعندما أتى أمر هذه القرحة، وانتزعته فجأة، انتزعته فجأة، تو ن ج جو ن ج toNGjoNG. وخاتم ذهبى كان أول السلسلة التى قفزت خارجة. تو ن ج جو ن ج: صناديق حديدية، ثلاثة صناديق حديدية، كانت بالغة الضخامة قفزت خارجة، كانت كل الصناديق الحديدية لها. عادت وانتزعته فجأة من

جديد. حصلت على هذه الأشياء، سن الفهد هذه، التى إذا كانت لديك منذ وقت طويل، ستكون غنيًا. وهكذا رفعوا الصندوق الضخم، ثم نهضت الفتاة، ونقلته إلى بيتها.

عندئذ قال لها، "يومبو..".

قالت، "إيي؟".

قال، إذا نزعت ورقة منى (سيكون موعد مغادرتك قد اقترب)، دعينى أقول لك: لا تفسدى الأشياء! عندما تنزعى ورقة منى (سيكون موعد مغادرتك قد اقترب)، وسوف أخبر عائلتى بذلك. عندما تغادرين...".

قالت، "إيي".

قال، "هذا الصندوق فى ذلك البيت، هذا الصندوق الحديدي، إذا رأيت شخصًا قذرًا جدًا جدًا... هل تنصتين لي؟ _ لا تختارى اللامع منها! موافقة؟".

قالت، "إيي".

قال، "لا تختارى اللامع منها! موافقة؟".

(غيرة الزوجات المشتركات هو ما سوف آتى إليه الآن)

قالت إنها موافقة. ناما ليلتين. وفى الثالثة كانت ستغادر. ذهب ورتب رحيلها مع عائلته.

قال، "هذه الفتاة التى جاءت فى صحبتى تقول إنها ستغادر الآن".

قالوا، "كوو _ كبانا، دعنا ننام فى هذه الحالة. ومع انبلاج الفجر سوف نناقش الموضوع".

فى الصباح غسلت الفتاة نفسها بالكامل. أحضرت الماء لحماتها واغتسلت. قالوا، "هيا نذهب".

انتبهوا للبيت الذى كانوا قد بنوه، بيت دائري. كان بيتًا دائريًا كانوا قد بنوه. هناك محور مركزي، يمكن لمائة شخص الجلوس على ذلك المقعد حول المحور. كان الناس فى الأزمنة القديمة يستخدمون حطبًا مثل الموجود هناك لإحاطة العمود بمقعد.

وهكذا تزاحموا حول فينجى ن ج venjeNG. قالوا لها، "تعالى إجلسي".

ثم أعطوها كرسيًا. قالوا، "عزيزتي...".

قالت، "إيي؟".

"جاء أخونا بك، لكنك تقولين إنك تستدعيننا لتوديعك، أنت سترحلين. لذلك، من هذه الصناديق الموجودة هناك، ما الصناديق التى ترغبين فى العودة بها؟".

عندئذ أشارت إلى صندوق قذر. وهكذا أخذوا هذا الصندوق ووضعوه فى مكان هناك. ثم أشارت إلى آخر، فأخذوه ووضعوه فى مكان هناك، كل الصناديق الثلاثة كانت صناديق حقًا. هؤلاء الذين لا يكذبون يقولون إن هذه الصناديق _ تلك الصناديق الثلاثة _ التى أشار إليها هذا الشخص كانت تمتد

من عندها إلى تلك القنطرة البعيدة. بالنسبة لي، أنا الكاذبة...حسنًا، سوف أتوقف هنا.

ثم رحلت. كان الطريق الذى سلكاه منذ زمن طويل بعيدًا جدًا، ولم تكن رحلتها قصيرة. ميل _ هذا الميل الثانى _ ثم شاشالا chachala قفزت إلى هناك. صاحت عائلتها، كانوا سعداء جدًا، كانوا سعداء جدًا، كانوا سعداء جدًا.

كانت الزوجة المشاركة لها وطفلها الخاص هناك. (هذا الزنى نرتكبه، نحن وتلك المرأة نرتكبه... نهاية الغيرة هو ما سآتى إليه الآن....). سلمت الفتاة تلك الهدايا لعائلتها _ ماعز.. كل أنواع الأشياء _ يا أبي، أصبحت هذه العائلة ثرية!. وكانت تلك المرأة تعذب طفلها طوال الوقت، "انظر إلى زوجتك. أنت ستبدو طريح الفراش إلى الأبد، لكنك لا تفعل شيئًا من أجل ذلك. انظر إلى زوجتك، أنت وهى من بيت واحد! هذان الرفيقان جاءا منذ زمن بعيد، وأنت تعاشرهما، لكن الآن لقد عادت ومعها هذه الثروة لعائلتها!".

قال الرب القدير، "هذا [الأمر] _ نعم، سوف أرى أيضًا نهاية ذلك!".
بعد وقت قصير، تم تنظيم حفل راقص آخر من جديد. واجوجى Wujugu، الكثير من الناس أتوا من جديد إلى هذا الرقص. وعندما جاءوا فى ن ج feNG، تسكع طفلها مع ذلك الرفيق. ورفيقها الآن، نام هو أيضًا ليلتين.

فى الثالثة....

المستمعون: هل كان الرفيق نفسه؟

الراوية ٣: لا، كان غيره. ناما ليلتين. وقالت، "هيا نرحل أنا وأنت".

"هيا نرحل أنا وأنت!".

"كوو Koo"، قال، "أيتها الفتاة لا ترحلي".

"أيها الحبيب، عزيزي"، قالت، "هيا نرحل أنا وأنت".

قال، "لا ترحلي!".

"عزيزي"، قالت، "كما قلت، هيا نرحل".

رحلا بعيدًا. وبينما هما راحلان قال:

أرجحنى برقة فيو vio، أرجحنى برقة _ أوو.

التفت سلسلة حولها. سوف أغنى هذه الأغنية:

أرجحنى برقة فيو vio، أرجحنى برقة _ أوو.

كانت سلسلة. أنتم تعرفون كم هى سريعة الخدع!

أرجحنى برقة فيو vio، أرجحنى برقة _ أوو.

كانجي، قفزا إلى أسفل وهبطا فى المدينة. انتبهوا لتلك المدينة هناك.

قال، "أيتها الفتاة....".

قالت، "إيي؟".

قال، "عندما نصل إلى هناك، أنت وأنا، سوف ترين شخوصًا مرضى. سوف ترين دودة، سوف ترين دودة لها ألف رجل، سوف ترين أنواعًا من الأشياء. لا تتقهقرى بعيدًا عنها! هل تفهمين؟".

قالت، "إيي".

قال، "الآن نصل إلى المدينة، هل فهمتني؟"

قالت، "إيي".

قال، "لقد رأيت المدينة، هل فهمتني؟".

قالت، "إيي".

قالت، "هذه التوجيهات التى أعطيها لك، لا تستهينين بها!".

أرجحنى برقة فيو vio، أرجحنى برقة _ أوو.

أرجحنى برقة فيو vio، أرجحنى برقة _ أوو.

كانجى Kuje، هبطا إلى المدينة _ "ما يخص أخينا يأتى مع زوجتنا!".

"كوو Koo"، قالت، "أى لعنة هذه؟ أيتها السماء الطيبة، أسرتى العزيزة، انظر إلى هذه الأشياء المقززة _ القذارة التى دخلت فيها _ آه، تلك التى تتلوى هنا وهناك سوف تطيح برأس أحدهم! أيها الرب القدير، لا تدع هذه القذارة تصل إلىَّ هنا".

بينما كانت جالسة هناك أتى شخص، كانت كراته تتأرجح تى ن ج بى ن ج tiNGbeNG. "كوو"، قالت، "عزيزي، عزيزي، إذا كان الأمر هكذا هنا، منذ أن أتيت بى إلى هنا، إذن حاول مساعدتى لأننى راحلة. سوف أعود غدًا".

قال الرفيق، "هل هذا صواب".

قالت، "إيي!".

قال، "دعينى أقول ذلك غدًا لعائلتى حيث إنك عائدة".

فى تلك الليلة قال لعائلته، لقد فعل كل شيء ســـي ن ج seNG. قـــال، "هذه الفتاة التى أتت معى تريد العودة، لذلك، ها أنا أقول لكم".

قال الناس من جديد، "توافق".

عند بداية النهار فى اليوم التالي، عندما كان الفجر ينبلج، ملأوا منزلهم الدائرى الضخم كاملًا حتى القمة: كبا kpa. ثم قالوا لها، "أيتها الفتاة، أتيت مع أخينا، أنت وهو جئتما وأحببناك بصورة لا تحد، ومع ذلك، وبرغم ذلك، ها أنت ترحلين عائدة. من بين كل هذه الصناديق...".

قالت، إيي؟".

قالوا، ".... خذى ما تهواه نفسك. وما تختارينه سوف تأخذينه وترحلين به".

عندئذ فكرت كما يلي، أبدت رغبتها كما يلي: "هذا هـــو. أريـــد هـــذا الصندوق اللامع المنحوت حوله الذهب من كل جانب، الصندوق حوله الذهب من كل جانب!". (فى الواقع، إذا لم تضق عيناك، أو عندما تفتحهما، إذا لـــم تعتصرهما بشدة، لن يمكنك أن تنظر بعينيك إليه).

وهكذا أخذ هذا الصندوق ووضعه جانبًا. ثم نظرت إلـــى آخـــر ووضـــعه جانبًا. أخذ زوجها ثلاثة صناديق لكنها أخذت أربعة! وضعوها على رأسها....

أرجحنى برقة فيو vio، أرجحنى برقة _ أوو.

أرجحنى برقة فيو vio، أرجحنى برقة _ أوو.

رحلت. انتبهوا رحلت.

كالى Kule: فجأة وصلت إلى المدينة. قالت أمها، "أويايا Oyaya، يا طفلتي...". ذلك الصندوق الضخم، نجوانجوانج جوانججوانج جوا ngwungwungwungwungwu (بذلا جهدًا كبيرًا لحمله).

المستمعون: هل سيصبحون أثرياء عاجلًا؟

الراوية ٣: آه، يا عائلتي، تلك الصناديق، لا يمكن لأى من الناس أن يلقى نظرة عليها دون أن تعرض لباسًا أمام عينيه. عندئذ يمكنهم إلقاء نظرة عليها.

المستمع ١: مانانجا، لماذا لا يفعل ذلك، زوجها أو حبيبها، لماذا لا توضحى لها أمر هذه الصناديق؟

مستمع ٢: إنها لا تنصت إلى كلماته لذلك لم يوضح لها.. لا تدعيها تتراجع!

مستمع ٣: ذهبا وقضيا اليوم، ثم ناما فى الليل جبى gbu. ثم فى الفجر جمعت عائلتها، مثل زوجة عادت من مكان زوجها المثقل بالهموم بهدايا أعطاها لها رجلها.

المستمعون: عائلتها فقط؟

الراوية ٣: مم _ م. عائلتها فقط. ثم قالت هذه الفتاة، "يا عائلتي، هيا نغلق بيتنا بإحكام". وهكذا أغلقوا بيتهم بإحكام. أغلقوا أبواب غرفة نومهم بإحكام كبا ن ج kpaNg كبا ن ج كبا ن ج. مثل بيوتنا المغلقة تمامًا فى الوقت الحالى كبا ن ج، هكذا كان الأمر بالنسبة إلى بيتهم. ثم فتح هذا

الشخص الصناديق الضخمة وكل أسنان "الأشياء" هذه كانت مثل هذا. قتلتهم جميعًا!. قطعت رؤوسهم!

آه، لذلك، أن تضع عينيك على شيء فإن هذا أمر غير طيب. سـمعت هذه القصة الصغيرة وحكيتها. وتصل قصتى الآن إليكم .....

– ميند Mende

الجزء الثانى
قصص موضوع نقاش،
وربما موضوع نزاع

تـقـديـم

هذه قصص قصيرة حول الجانب الأخلاقى للسلوك، تُحكى لاستهلال مناقشة عميقة حول الموضوعات المهمة، على سبيل المثال، حول كيفية الحياة دون العائلة والجماعة. وهى تركز بإمعان على المشكلات الأساسية والمتكررة فى العلاقات الاجتماعية: طبائع الحب، أو طبيعة الطاعة، أو أخلاقيات الاختيار تحت تأثير الأحوال الضاغطة.

لكن، رغم حقيقة أنها تتعامل مع المشاكل اليومية، فإنها من بين الحكايات الأكثر خيالية، بل حتى الأكثر إثارة للضحك فى هذا الكتاب. إنها تلخص التناقض الأساسى بين الاستماع، والقراءة، والتعامل مع القصص، لأنها خيالات حول الحقائق؛ تناقض لا يمر دون اكتشافه من جانب المستمعين الإفريقيين الانتقاديين. وهذه الحكايات قابلة لنفس معيار التقييم، مثلها مثل قصص العجائب وقصص البطولة. إذا تم تقديم أى سرد بشكل سيئ، سوف يبدو ذلك بالنسبة للمستمعين باعتباره تنازلاً عن استمرارية تراث الجماعة. وسوف ترد الجماعة بأحكام تطعن فى صحة التزام الصدق، وفصاحة الراوي. ومن منظور المستمعين، فإن الحقيقة، مثل ما تبرز من سرد فصيح ومرح، فإنها تبرز أيضًا من جاذبية المهارة.

ويجمع هذا الفصل نوعين من الحكايات القصيرة معًا تبدو متعارضة تمامًا. الثمانية عشرة الأولى حكايات مأزق، حكايات دون نهاية، والباقية نماذج أخلاقية بليغة، قصص تشرح درسًا، أو تجيب عن سؤال جوهري.

ونتم مناقشة النوعين فى سياقين مختلفين، الثانى فى تلك المواقـف، حيـث يتحدث شخص من المفترض أنه أكثر حكمة مع أولئك الأقل وعيًا حـول جوهر العالم، والأول بين جماعات ذات خبرة وقوة متساويتين.

ولأن حكايات المأزق أو اللغز تعتبر، كما قلت، إفريقية سوداء من الجانب التمييزى، وأيضًا قصصًا غير مألوفة نجدها عادة فى مجموعات الحكاية، فإنـه يبدو من المفيد أن نشرح باختصار المواقف التى تنشأ عنها هذه القصص.

الفضيلة، فى سياق حكى القصص الإفريقي، تكمن فى كل من القـدرة على الجدل بفصاحة والقدرة على تأكيد سيطرة التراث. وفى الجـدل حـول المشكلات التى تعرضها القصص، لا يمكن التأكيد بقوة بالغة على أن تـدفق المناقشة هو الأمر المهم، ولا الوصول إلى حل. من خلال الجدل، يتم اتقـان الممارسات التقليدية للجماعة والاحتفال بها. عنـدما تجتمـع القبيلـة فـى سيراليون، على سبيل المثال، لحكى حكايات مثل هذه، فإن النقاش الذى يتبع القصة تلحق به قياسات موسعة على أنشطة الحياة اليومية.

يحاول كل شخص أن يقدم تفسيره للموقف "على أفضل ضوء ممكـن. ليس هناك نقاش حول حقائق الحالة، ولكن حول التفسير". ويـصبح تنظـيم المناقشة "ما يشبه عملية مشاركة". وأخيرًا، تتوقف هذه المناقشة، ليس لظهور رد فعل محدد من شخص ما، ولكن بالأحرى بسبب "شخص أعلـى مرتبـة وذى نفوذ من المدينة.يعبر عن اهتمامات الجماعة". وهو ما يقبله الجميـع بسبب إيجازه الفصيح[٦٩].

---

(٦٩) John Gay and Michael Cole, The New Math in an Old Culture (New York, Chicago, and San Francisco: Holt, Rinehart and Winston, 1967), p. 25.

"مشكلات الجماعة" هذه ترد ضمن أساليب، من أسلوب حكاية العجائب، كما هو الأمر مع "العين بالعين"، أو "مسابقة الأحاجي"، حتى حكاية المأزق، كما فى "الفهد والماعز واليام" (نوع إفريقى من الأحجية المنطقية الكلاسيكية).

ولأن معظم القصص تدعى الفضيلة الأعلى أو القوة المنغرسة فيها، فإنها إلى حد ما تعكس سياقًا جدلى النزعة لحكيها. والحكايات الأخلاقية، مثلها مثل حكايات المأزق، قصيرة وحادة. ومع ذلك، فإن رسالتها تكون واضحة عادة، وساخرة فى الغالب. وأغلب هذه القصص دراما عائلية، تركز على مسائل تبرز من سوء معالجة العلاقات أو مشكلات تحدث بسبب سوء الحظ.

الكثير من القصص الأخلاقية توضح حالة الجماعة والعائلة تحت تأثير الضائقة: ماذا يفعل الناس عندما لا يكون لديهم ما يكفى للأكل. ربما الأكثر أهمية هنا هو التأكيد على المشاركة فى الطعام، ويتم تصويرها عادة بأنانية شخصية أو أخرى. وهكذا، فى "رجل ثرى ورجل فقير"، التفاوت بين الاثنين يتم تصويره بإقبالهما على المشاركة، وفى "من يجد شيئًا يأخذه" يتم حث الأداء بسرقة طعام (السحلية تدعى أنها (وجدته)".

المبحث المرتبط بذلك هو ما يخص "افعل من أجل الآخرين" والذى يشكل المعاملة بالمثل - أو الافتقار إليها. هنا يعتبر السجل الإفريقى سجلًا غريبًا، كلما بدا السلوك الأنانى نموذجيًا، كما فى "قُتِل من أجل حصان". وقد تكون الإساءة ردًا على الطيبة، فى "طبيعة الوحش"، تكافأ زوجة الملك لإطلاقها سراح طائر البلشون، بأن يفقأ عينها - تصوير بالغ

الوضوح تمامًا، لاحتمال أن يجيب المنتفع من العمل الطيب على المحسن إليه بالاحتقار أو حتى بالأذى. ولكن، مع أخذ كل شيء بعين الاعتبار، يؤدى الفعل الودود والإقبال طويل المعاناة على الحياة إلى المكافأة الختامية والنصر النهائى للفضيلة.

ويركز بالطريقة نفسها الكثير من القصص الأخلاقية وحكايات المأزق، على جوانب فى الحياة "حسب الأصول" داخل الأسرة. وعلى سبيل المثال، فى "يجوّع أباه"، يموت الأب من الجوع لأنه يكفل حبيبته بدلًا من زوجته وابنه. ولـ "الرجل الذكى والرجل الغبي" عاقبة مماثلة، لكنها تقدم تنويعًا مثيرًا للموضوع.

وهناك مبحث آخر مهم، حول هذه الحكايات، يدور حول المحافظة على الآراء الخاصة. فى "فضول فمبار"، تموت الشخصية الرئيسية، لأنها أفشت السر، وفى "نصيحة الأب"، يطلب الأب المحتضر من ابنه الالتزام بعدم إفشاء "شئونه الخاصة" لزوجته.

(١٧)

مسابقة الأحاجي

ذات مرة، كان هناك ملك لم تكن لديه سوى طفلة واحدة، ابنة. وعندما كانت لا تزال فتاة صغيرة، أخبرت أباها بأنها تريد أن تتزوج رجلاً، يكـون واسع المعرفة بالأحاجي. وعندما أصبحت ناضجة بما يكفى لاختيـار زوج، استدعى أبوها رؤساء كل مقاطعات أبرون Abron أمامه، للعثور على الرجل الذى يمكنه النجاح فى الاختبار. قبل وصلوهم إلى مقر إقامة الملك، استدعى كل رئيس رجال قريته معًا وطلب منهم تعريفه بكل الأحاجى التى يعرفونها. ولكن عند وصول الرؤساء إلى بيت الملك، وسرد كل منهم كـل الأحـاجى للأميرة، لم تقبل أيًا منهم.

بعد عدة أشهر، قرر شابان من قرية بعيدة أن يجربا حظهما مع ابنـة الملك. وكانت الرحلة إلى مقر إقامة الملك طويلة، لذلك أخذا معهمـا شـابًا لحمل متاعهما. وعندما وصلا إلى مقر إقامة الملك، قالـت ابنـة الملـك إن عليهما الانتظار ثلاثة أيام، ثم فى اليوم الرابع، قد تقبل الزواج مـن واحـد منهما. فى اليوم الأول صنعت فتة من أجلهما، عجينة الخبز التى تعتبر قوام الحياة. وفى وسط الجزء الناتئ من العجينة، وضعت جوزة كـولا حمـراء. عندما وجد الرجلان الكولا، قذفاها بعيدًا، لكن الشاب الذى يخدمهما استردها واحتفظ بها. وفى اليومين الثانى والثالث، وضعت من جديد جـوزة كـولا حمراء فى مركز قمة العجينة، وفى كل مرة قذف الرجلان الكـولا بعيـدًا، واستعادها الشاب الخادم.. وفى اليوم الرابع، قامت ابنة الملك مـرة أخـرى بتجهيز الفتة للرجلين، ولكن فى تلك المرة وضعت كرة صغيرة من القطـن

فى وسطها. عندما وجد الرجلان الكرة القطنية، تخلصا منها، كما فعلا بالكولا، لكن الشاب استبقاها، كما استبقى الكولا.

عندما حضر الرجلان فى النهاية أمام الفتاة، سرد الأول كل الأحاجى التى يعرفها، لكنه عندما انتهى من ذلك، قالت الفتاة، "لا يمكننى الزواج منك". عندئذ سرد الرجل الثانى كل ما يعرفه من أحاجي، لكن عندما انتهى من سردها، قالت الفتاة، "لا يمكننى الزواج منك". والشاب، الذى واقف صامتًا طوال الوقت، طلب عندئذ الإذن بالكلام. رفض الرجلان أن يعطياه إذنًا، لكن ابنة الملك أمرت بأن يأخذ فرصته، هو أيضًا. تقدم الشاب إلى الأمام، وقال، "لدى القليل لأقوله لذلك لن آخذ الكثير من وقتك. فى اليوم الأول لوصولنا، وضعت ابنة الملك جوزة كولا حمراء فى وسط الفتة. فى اليومين الثانى والثالث، فعلت الشيء نفسه، ولكن فى اليوم الرابع، وضعت فى الوسط كرة قطنية. والآن أقول إنها كانت تحيض فى الأيام الثلاثة الأولى، ولكن فى اليوم الرابع كان الطمث قد انتهى". أجابت ابنة الملك بأن الشاب كان حكيمًا بالفعل وأنها ستتزوجه. شعر الرجلان الآخران بالغيرة، وأعلنا أنهما سيرحلان، وأن على الشاب أن يذهب معهما لحمل متاعهما. أجابت ابنة الملك بأن عليهم جميعًا أن يمكثوا يومًا آخر، حتى تتزوج هى والشاب، ووافقا.

وبمجرد اكتمال الزواج، انطلق الرجال الثلاثة إلى قريتهم. وخلال الطريق، قال الرجل الأول، "يجب أن نقتل الشاب". قال الثاني، "لا، لا يمكننا أن نفعل ذلك، لكن دعنا نعود إلى القرية ونسلمه لوالديه". بعد القليل من النقاش، وافقا فى النهاية على ربط الشاب فى شجرة والتخلى عنه، وهذا ما

فعلاه. ورغم أنه كان منهكًا، فلم يبك الشاب، لكنه انتظر. بعد القليـــل مـــن الوقت، كان يمر بائع كولا. قال له الشاب، "اذهب إلى ابنة الملك، زوجتـــي، وقل لها، (فكى هذه الكولا وحافظى عليها وإلا فـــسوف تـــتعفن بالتأكيـــد)". وعندما فعل البائع ذلك، هرولت الفتاة، دون أن تقول أي كلمة، إلـــى أبيهـــا وطلبت منه أن يعطيها حصانين. "زوجى مربوط فى شجرة، وإذا لم أذهـــب لإطلاق سراحه، فسوف يموت بالتأكيد". وهكذا رحلت الفتاة علـــى حـــصان وأنقذت زوجها. ومنذ ذلك الحين، عاشا سعيدين. والآن، يا أطفالي، أيهمـــا، الشاب أم ابنة الملك، كان أكثر حكمة فى معرفة الأحاجي؟

- أبرون Abron

(١٨)

الفهد والماعز واليام

كان رجل ما يجرى مبتعدًا عن قريته، وكان قد أخذ معه كل أملاكـــه. وهى تتكون من فهد وماعز ومعروشات يام. ومع الوقت وصل إلـــى نهــر، حيث لم يكن موجودًا سوى زورق كانو واحد. وكان بالغ الصغر، حتى إنـــه كان من المستحيل أن يأخذ الرجل معه أكثر من جزء واحد من ممتلكاته فى المرة الواحدة. والآن كيف ينجح فى نقل كل ممتلكاته إلى الضفة الأخـــرى، لأنه لو ترك اليام مع الماعز أو الفهد مع الماعز، سوف تأكل الماعز اليام أو يلتهم الفهد الماعز.

الإجابة هي: يأخذ الماعز فى المرة الأولى، ثم يعود ليأخذ اليـــام. ثـــم يعبر مع الماعز من جديد، ثم ينقل الفهد، ليعود فى المـــرة الرابعـــة لينقـــل الماعز.

– هوسا Hausa

(١٩)

العين بالعين

سمع ابن لأحد الرؤساء مرة أخبارًا عن ابنة جميلة لرئيس آخر، فخرج فى رحلة لزيارتها. وبينما كان فى رحلته، قابل رفيقًا شابًّا. قال، "أيها الشاب، أحب أن تأتى معي، حيث إننى خرجت للبحث عن زوجة". "أوو، لا"، قال الآخر، "لأن لدى أبًا لا يملك شيئًا، لا ثوب فضفاضًا ولا بنطلون ولا مئزر، وذلك المئزر الجلد، الذى ترانى أرتديه، هو كل ما لدينا نتبادله معًا، أبى وأنا. إذا كان أبى يعتزم الخروج من فجوتنا فى شجرة التبلدي، فإنه يأخذه ويرتديه، وأفعل أنا الشىء نفسه عندما أعتزم الخروج". "أين أبوك؟" سأل ابن الرئيس. "هناك، فى الفجوة فى شجرة التبلدي". وطلب ابن الرئيس أن يُرشد إليه.

وإلى هناك ذهبا. عندما دخل الشاب فى فجوة شجرة التبلدى قال "أبي، انظر!" كنت أسير وقابلت ابن رئيس، قال إنه يريد منى أن أذهب معه للبحث عن زوجة. لكننى أجبته بأننى يجب أن آتى وأخبرك أولاً، وأسمع منك ما تقول حول ذلك الأمر". "بأى حال من الأحوال اذهب معه"، أجاب الأب. وقال ابن الرئيس، "اخلع المئزر الجلدى وأعطيه لأبيك". وكانت لدى ابن الرئيس حقيبة سفر، تم فتحها، ومنها تم إخراج ثوب فضفاض وبنطلون، وتُربان[٧٠]، وقلنسوة، وسيف، وحزام للسيف، وتم إعطاؤها كلها للشاب الآخر. وجعله يحلق ويغتسل أيضًا.

---

(٧٠) - تُربان turban: عمامة وهى وشاح طويل يلف حول الرأس مباشرة أو حول قبعة صغيرة، وهى من ضمن اللباس الإسلامى التقليدى - المترجم

وهكذا أخذا طريقهما ورحلا، حتى وصلا إلى مدينة أخرى. وعندما وصل الكلام إلى ابنة الرئيس بأن لديها زوارًا، مال قلبها إلى خادم ابن الرئيس، الذى يعيش أبوه فى فجوة فى شجرة. وتكلمت وقالت إنه الشخص الذى تحبه. "لا، لا" قال، "لا أجرؤ على القيام بذلك. انظرى، ها هو سيدي". "لا" أجابت، "أنت من أحب". ولكن مرة أخرى اعترض بأنه وإياه، لا يملكان شيئًا، لكنهما يعيشان فى فجوة شجرة تبلدي، وأضاف، "حتى الملابس التى أرتديها أعطاها لى ابن الرئيس الموجود هنا الآن". "أوو" أجابت، "هل هذا هو كل ما فى الموضوع؟".

أرسلت إلى منطقة مساكن أبيها تطلب حقيبتين لحمل الأشياء، فى إحداهما ثوب فضفاض، وفى الأخرى بنطلون، وطلبت تُربانًا أيضًا. تم توصيل كل طلباتها إلى أبيها، الذى أرسل كل الأشياء التى طلبتها، وتم تسليمها لها. عندئذ قالت، "اخلع هذه الأشياء، وأعدها له. وخذ هذه وارتديها". "جيد جدًا"، أجاب، وفعل ما طلبته منه. جمع ملابس ابن الرئيس، وأعادها له.

وهكذا عاد ابن الرئيس وحده إلى البيت، تاركًا ابن الرجل صاحب المئزر الجلدي. لأن ابنة الرئيس قررت أنه هو الشخص الذى تحبه. عندئذ ذهبت وأخبرت أبيها، قائلة، "أبي، اليوم أريد أن أتزوج". "حسنًا"، قال، وهكذا تزوجا.

مر الزمن ومات أبوها. وتم تقسيم تركته الكبيرة كما ينبغى، وورثتها كلها، حيث لم يكن له أبناء أو بنات آخرون. ترك أبوها مجموعة مساكن الرئيس، وتم بناء مجموعة مساكن منفصله لها. عندئذ قالت الفتاة لزوجها،

"أين أبوك؟ دع أحدهم يذهب لإحضاره، ولنجعله يتزوج هو وأمي". أجـــاب، "إنه ناء هناك فى فجوة شجرة التبلدي".

ذهبوا وأحضروه، وعندما عادوا، تم إجراء مراسم الزواج كما ينبغي. وهذا عاشوا لبعض الزمن.

لكن بعد فترة من الوقت أتى زمن، تشاجر فيـــه الزوجـــان المـــسنان، وضرب أب زوج الفتاة زوجته فأوقعها، ونزع إحدى عينيها. عندئـــذ قالـــت الفتاة، بغضب، "أبوك تشاجر مع أمى ونزع عينها. إذا كنت تقدر زواجنـــا، اذهب وانزع إحدى عينى أبيك. إذا لم تفعل ذلك خذ مئزرك الجلدي، ويمكن لك ولأبيك أن تعودا لفجوتكما فى شجرة التبلدي. لكن إذا فعلت ذلك سيستمر زواجنا". حسنًا، ها هى مشكلة دقيقة! لقد كان معدمًا إلى حد كبير. إذا انتزع عين أبيه، قد يستمر يعيش مع زوجته، ولكن إذا لم يفعل، عليه أن يعود مـــع أبيه إلى فجوة شجرة التبلدي، من حيث أتيا!

– هوسا Hausa

(٢٠)
قوى عجيبة:
مرآة وصندل وجراب دواء

كان لدى رجل مسن ثلاثة أطفال، كلهم أولاد. وعندما وصلوا إلى سن الرجولة، استدعاهم معًا وأخبرهم بأنه أصبح فى ذلك الحين مسنًا جدًا، ولن يستطيع بعد ذلك أن يوفر موارد المعيشة، حتى ولا لنفسه. وطلب منهم الخروج لإحضار طعام وثياب له.

انطلق الأخوة الثلاثة فى رحلتهم، وبعد زمن طويل جدًا وصلوا إلى نهر واسع. وبينما كانوا قد رحلوا معا طوال الوقت، قرروا أن ينفصلوا عن بعضهم. طلب الأكبر من الأصغر أن يسلك الطريق الأوسط، ومن الثانى أن يتخذ الطريق اليمين، بينما سلك هو الطريق المتجه إلى الشمال. بعد ذلك، بعد مدة عام، عليهم العودة إلى نفس تلك البقعة.

وهكذا انفصلوا، وفى نهاية العام، كما هو متفق عليه، سلكوا طريقهم عائدين إلى ضفة النهر. سأل الأكبر الأصغر عمًا حصل عليه خلال رحلته، وقال الشاب، "لم أعثر على شيء سوى مرآة، لكن لها قوة عجيبة. إذا نظرت فيها، يمكنك أن ترى كل البلاد، مهما كانت بعيدة". وعندما سأل الأخ الثاني، بدوره، عمًا حصل عليه، أجاب: "فقط زوج صندل له قوة بالغة، حتى إنك إذا ارتديته يمكنك السير من فورك، إلى أى مكان فى البلاد فى خطوة واحدة". عندئذ، قال الأكبر نفسه: "أنا، أيضًا، لم أحصل سوى على القليل، ثمرة قرع صغيرة مليئة بدواء، هذا كل ما هنالك. لكن هيا ننظر إلى المرآة لنرى كيف يتدبر الأب أمره".

أخرج الأصغر مرآته، ونظروا كلهم فيها ورأوا أن أباهم قد توفى بالفعل، وحتى الجنازة العرفية كانت قد تمت. عندئذ قال الأكبر: "هيا نسرع عائدين إلى البيت لنرى ما يمكننا فعله". وهكذا أحضر الثانى صندله، ووضع الثلاثة كلهم أقدامهم فيه، وعلى الفور، تم حملهم إلى قبر أبيهم. عندئذ رج الأكبر الدواء، مخرجًا إياه من الجراب، وسكبه على القبر. وفى الحال نهض أبوهم، كما لو أنه لم يحدث له أى شيء. والآن أى من هؤلاء الأبناء هو الذى قام بمهمته على أفضل ما يكون؟

– توجو Togo

(٢١)

دخل الشيطان بينهم

ذات مرة رأى شاب فتاة وأخبرها بأنه يحبها، رأته وقالت لـــه الكـــلام نفسه. وهكذا ذهب الرفيق الشاب وحمل حصيرة نومه، وأخذ الفتاة من يدها، وذهب معها إلى داخل الدغل. وهناك بسط الشاب الحصيرة، ودعا الفتاة إلى أن تجلس. جلس الاثنان يثرثران. كان إبليس الـــشيطان مـــارًا علـــى هـــذا الطريق، فأمسك بالشاب، وقتله، ثم قطع رأسه. لم تستطع الفتاة أن تفعل أى شيء، سوى أن تجلس على الحصيرة وتنتحب.

فى الوقت ذاته كانت الأمان والأبان يبحثون عن ابنهم وابنتهم. أخبرتهم امرأة عجوز عن المكان الذى يجب أن يبحثوا فيه عنهما. بعد أن شـــكروها، انطلقوا بسرعة على الطريق، حيث وجد والدا الشاب ابنهما مقتولاً، وقد قُطع رأسه. عند ذلك بدآ ينتحبان، هما أيضًا.

وفجأة، جاء إبليس من جديد. صنع نهرًا من النار، ونهرًا من المـــاء، ونهرًا من أفاعى الكوبرا، ذات العرف الأسود، وفى هذا الأخير وضع سحلية أرضية آكلة للحم. ثم تقدم إلى الجماعة _ أم الفتاة وأبوها، وأم الفتى وأبـــوه، والفتاة نفسها _ وقال لهم، "هل تريدان أن أساعدكما فـــى اســـترداد ابـــنكم وإعادته للحياة؟" "طبعًا!" أجابوا. "حسنًا"، قال، "أنت، يا أم الفتى، عليـــك أن تدخلى فى نهر النار، ثم فى نهر الماء، ثم فى نهر الكوبرا، حيـــث تمـــسكين بالسحلية الأرضية وتأتين بها". لكن أم الفتى أجابت، "لا! لن أدخل فى نهـــر النار لأنه سيحرقني، ولا فى نهر الكوبرا، لأنها ستلدغ كل جـــسمي". قـــال

إبليس، "لو كنتِ قد ذهبت وقبضت على السحلية، لكنتُ قد ساعدتك بخصوص ابنك".

ومن ثم قالت الفتاة، "هل الأمر كذلك؟ لو تم القبض على السحلية وإحضارها هنا، هل سيعود الفتى إلى الحياة؟". "نعم"، قال إبليس. على الفور قفزت الفتاة قائمة وسبحت عبر نهر النار. ثم غطست فى نهر الماء وسبحت أيضًا فيه. ثم فى نهر الكوبرا، حيث دفعت الثعابين الزاحفة جانبًا ، وأمسكت بالسحلية الأرضية آكلة اللحم. وعادت من خلال الأنهار، وأعطت السحلية لإبليس.

عندئذ قال إبليس، "هكذا إذن! هكذا إذن هل أحضرت السحلية الأرضية لي؟". وعاد الفتى للحياة ونهض واقفًا. عندئذ تكلم إبليس من جديد، قائلاً، "والآن، لو تم ذبح هذه السحلية، فسوف تموت أم الفتى، ولكن لو لم يتم ذبحها، فسوف تموت أم الفتاة".

حسنًا والآن – هل يقدم الفتى على ذبح السحلية، فتموت أمه، أو يستبقيها فتموت أم الفتاة؟ ما الذى تظن أنه سيختاره من بين الموقفين؟

– هوسا Hausa

(٢٢)

طبيعة الصداقة

كان هناك شابان، كل منهما اسمه كامو، يسمعان عن بعضهما، لكنهما لم ير أحدهما الآخر أبدًا، أحدهما يعيش فى الشرق والآخر فى الغرب. وذهب الشاب الذى يعيش فى الغرب إلى الرجل الذى يخبر بالحظوظ بضرب الرمل، وقال له، "أريد أن أرحل لأرى صديقى الذى لم أره أبدًا من قبل، وأريد منك أن تضرب الرمل، حتى أعرف ما إذا كنت سأواجه حظًا طيبًا أو حظًا سيئًا". ضرب الرجل الرمل وأخبره بأنه إذا رحل لرؤية صديقه، لن يجده فى البيت، لكنه سيقابله على الدرب، وأنه عندما يصل إلى بلد صديقه، لا يجب أن يخرج فى الليل، مهما كان الذى ينادى عليه، لأنه إذا فعل ذلك، فسيموت بالتأكيد، ولن يستطيع أبدًا العودة إلى بيته.

ولأنه لم يكن راضيًا بما قاله العراف، ذهب الشاب إلى عراف آخر، ضرب الرمل هو أيضًا، وقال له نفس ما قاله العراف الأول. وبسماعه الكلمات نفسها من عرافين مختلفين، صدقهما أخيرًا، وقال، "سوف أذهب الآن لرؤية صديقي، لكن عليَّ أن أجعل نصب عينى ما قيل لي".

سار ثلاثة أيام وقابل صديقه، ولكن، بالطبع، لم يتعرف عليه، وسأل الآخر إلى أين هو ذاهب. أجاب الشاب من الشرق: "اسمى كامو، وأنا ذاهب لرؤية صديقى فى الغرب، الذى يسمى أيضًا كامو". أجاب الشاب من الغرب، "إنه أنا! كنت ذاهبًا لرؤيتك". وهكذا قال كامو من الشرق: "أنت

سرت ثلاثة أيام وأنا سرت يومًا واحدًا فقط. تعال معى نعود إلى المكان الذى أعيش فيه".

ومن ثم ذهب كامو وكامو إلى الشرق معًا. وفى الليلة التى وصلا فيها، ابتلع ثعبان ضخم كامو الشرق. وصاح كامو من هذا، وظل يصيح داخل بطن الثعبان الضخم حتى سمعه كامو الغرب واستيقظ. أراد أن يساعد صديقه، لكن تذكر ما قاله له العراف بألا يخرج ليلاً. جلس، لكنه فكر فى نفسه، "أعرف أننى سأواجه متاعب إذا خرجت، لكن كيف أبقى هنا، بينما صديقى فى محنة؟". وهكذا خرج ووجد أن الثعبان قد ابتلع كل الجسم وكاد يبتلع الرأس. الغربى قتل الثعبان بأن مزق فمه المفتوح. وبعد أن فعل ذلك، سال بعض دم الثعبان على عينيه، وأصبح أعمى على الفور.

عندئذ تحرر كامو الشرق، لكنه كان آسفًا على صديقه الذى فعل الكثير من أجله فأصابه العمى نتيجة هذا الفعل. وهكذا ذهب كامو من الشرق ليقابل عرافًا. ضرب الرجل الرمل، وقال له، "لديك ابن واحد، اذهب واقطع رقبته وخذ دمه من أجل صديقك لتغسل به وجهه، وبذلك سوف يعود إليه بصره". كامو من الشرق ذهب إلى بيته وقتل ابنه. كامو من الغرب غسل وجهه بدم ابن صديقه، وعلى الفور عاد إليه بصره وانتهت معاناته.

من الذى كان صديقًا أعظم، كامو من الشرق أم كامو من الغرب؟

– فاى Vai

(٢٣)

الأبطال الأربعة

خرج كل من "بطل الرأس ذى القرنين"، و"بطل القـضيب"، و"بطـل الفساء"، و"بطل الخصيتين" مع بعضهم البعض فى رحلة. وصلوا إلى مدينة، حيث سكنوا فى مجموعة مساكن الرئيس. وتم إرسال حزم الذرة إليهم لكـى يأكلوا من مخزن الرئيس؛ لكن المدينة لم يكن فيها مكان لدرس هذه الحـزم لاستخراج البذور!

عندئذ قال ذو القرنين، "تتمنى أن تطول حياة الـرئيس! هـا نحـن، ومازالوا يبحثون عن مكان يدرسون فيه. دعوهم يأتون ويفعلون ذلك علـى رأسي!". وهكذا أتوا وفكوا الحزم على رأس ذى القرنين.

لكن كان عليهم عندئذ العثور على قطعة خشب لدرس الذرة لـذلك قال القضيب، "تتمنى أن تطول حياة الرئيس! ها نحن هنا الآن، وما زالـوا يبحثون عن شيء يدرسون به! فقط أعطونى مساحة صغيرة وسوف ترون!". وأخرج قضيبه، وبدأ يدرس، وحالاً تم درس الذرة.

لكن لم تكن هناك ريح، وقيل للرئيس إنه، رغم درس الذرة، ولم تكـن هناك ريح، لذلك لن تكون هناك غربلة. عندئذ قال "مُفجر الريح"، "تتمنى أن تطول حياة الرئيس! ها نحن هنا ورغم ذلك مازالوا يبحثون عـن الـريح!". وكشف عن شرجه، وأطلق له العنان. وكل القشر المفصول بالدرس، تم نفخه بعيدًا، ولم تبق سوى الحبوب.

لكن لم يكن لديهم كيس لوضع الحبوب فيه. عندئذ قال بطل الخصيتين، "تتمنى أن تطول حياة الرئيس! ها نحن هنا، وبرغم كل ما فعلناه، ما زالـوا يبحثون عن كيس لجمع الحبوب!" وفتح صفنه، وقال، "أحضروا إليّ الحبوب واسكبوها هنا". وفعلوا ذلك، وحمل الحبوب إلى البيت.

حسنًا، من بين هؤلاء الأربعة، الذين مارسوا مواهبهم الخاصة، مَـن كان البطل؟

– هوسا Hausa

(٢٤)

أيهما يقتل؟

ذات مرة كان هناك رجل لا يقوم بأى عمل سوى أن يحفر لإخـــراج سنجاب الأرض المزعج من جحره. وفى يوم ما صحب ابنه ليعمـــل معـــه، وقال، "أنت تسد المدخل الخلفي، وأنا سأحفر". لكن عندما انطلـــق الأب فـــى الحفر فى فجوة سنجاب الأرض، خرج سنجاب الأرض حيث كـــان الابـــن، وهرب. عندئذ ضرب الأب الابن بمقبض المعزقة وأشبعه ضربًا حتى أغمى عليه.

بعد قليل فى ذلك المساء، جاء عربى كان يتجول، ورأى ابـــن حفـــار السنجاب، والوعى يوشك أن يعود إليه. فى ذلك الوقت لم يكـــن لـــدى هـــذا العربى أطفال، لذلك رفع الصبى وأخذه إلى البيت. كان أنفه متـــسخًا مليئًـــا بالنمل، فنظفها العربى وجعل الصبى يغتسل فى ماء ساخن. وعندما اســـترد الصبى وعيه تمامًا، ألبسه العربى ثوبًا فضفاضًا أسود وأبـــيض، وبنطلونًـــا مطرزًا، وثوبًا باللون الأرجوانى الداكن أيضًا، مع عمامة تربـــان، طولهـــا عشرون ذراعًا وعرضها عشرون شريطًا.

عندئذ فى تلك المنطقة، كان أبناء التجار الأثرياء معتادين على الركوب والتنافس فى حلبة سباق. أحضر العربى سرجًا مزينًا بالذهب والفضة، مـــع ركابى سرج من النحاس الأصفر من طرابلس، وكـــل الأطقـــم الزخرفيـــة الأخرى لحصان. ثم طلب من الصبى أن يمتطى الحصان، وقال له، "عندما تصل إلى حلبة السباق، أى شيء ترى أن من يمتطون الجياد يفعلونه – افعل

مثله، تمامًا!". وهكذا انضم الصبى لأبناء التجار الأثرياء وانطلق معهم. انطلقت بعض النقاشات الشديدة بين الناس، حول ابن من يكون هذا الصبي، لكن لا أحد كان يعرف الحقيقة.

عندما عاد أبناء التجار إلى بيوتهم، قال كل منهم لأبيه، "هناك عربى له ابن كانت لديه زينة أغنى مما لدينا". وأجاب آباؤهم، "لا، ليس ابنه فى الحقيقة. هذا غير صحيح". وأضافوا، "الأمر سواء، سوف نختبره. غدًا عندما تنطلقون على ظهور جيادكم معه، فليهدِ كل منكم جواده لأى شخص، وكذلك التجهيزات قبل عودته إلى البيت. عندئذ سوف نرى! لأن الكرم هو طريقة إظهار الثروة الحقيقية".

هكذا انطلق الأبناء فى اليوم التالي، وبعد ذلك أهدوا جيادهم. وراقبوا بانتباه، ابن العربي، أيضًا، وهو يهدى جواده.

بعد ذلك، أعطى التجار أبناءهم جيادًا أخرى، كل منها يساوى مليون صدفة، وقالوا لهم، "عندما تنطلقون على جيادكم، وقبل أن تعودوا إلى البيت، اقتلوا جيادكم!". واعطوا لصبى العربى جوادًا يساوى عشرة ملايين. وعندما انتهوا من العدو السريع، حمل كل منهم سيفه وقتل جواده. وابن العربي، دون حتى أن يتجشم عبء خلع السرج، قتل عندئذ جواده وعاد إلى البيت.

وقالوا، "هل رأيتم؟ لقد قتل جواده"، ومرة أخرى، "حسنًا! لم يخلع ابن العربى حتى تجهيزات جواده، لقد تركها وراءه". عندئذ قال الناس، "هكذا يبدو أنه ابنه، رغم كل ذلك!".

انقضى الزمن واقترب عيد المسلمين. وفى الصباح، بدأ موكب امتطاء الجياد المعتادة، وفى كل المدينة، لم يكن هناك شاب، لم يكن جواده مجهزًا بما يماثل جواد العربي. وبينما كانوا عائدين من المسجد، مروا بين أناس عاديين كانوا قد جاءوا من الريف إلى المدينة للصلوات.

حسنًا، حدث أن حفار السنجاب، الأب الحقيقى للصبي، كان قد جاء إلى المدينة من أجل العيد، وانضم إلى الحشد الغفير من الناس. عندئذ رأى ابنه، وصاح، "هاي! انزل من على ظهر هذا الجواد _ أنت تعرف أنه ليس أباك، أيها الوغد! انظر إلى آبائك هناك _ أحدهم قتل تسعة من سنجاب الأرض، وآخر عشرة منها، وأنتم _ ها أنتم فى إسراف وتكاسل!". وقال له العربي، "من فضلك، من فضلك احتفظ به لنفسك! ها هو _ خذ ابنك!".

وفى المساء، اختار العربى جوادين ووضع سرجين عليهما، وحمل ثوبين فضفاضين، أحدهما أسود والآخر أبيض، وأعطاهما لوالد الصبي. وأعطاه العربى عشرين ألف صدفة وتزويدات للرحلة. عندئذ ركب الثلاثة الجياد وانطلقوا على الطريق.

ابتعدوا عن المدينة ووصلوا إلى الدغل. وفجأة، سحب العربى سيفًا وأعطاه للصبي، قائلاً، "الآن! إما أنا أو أبوك _ أطح بواحد منا!".

حسنًا هذا هو السؤال _ العربي، هو الذى أعطاه الكثير من الأشياء؟ أم أبوه، الذى ضربه حتى فقد الوعى بسبب السنجاب الأرضي؟ أيهما يقتل؟

– هوسا Hausa

(٢٥)

فضيلة القتل

يحكى أنه فى سالف العصر والأوان، أن رجلاً ذهب ليصطاد فى دغل بعيد. وأخذ معه زوجته. لكن فى يوم ما تركها بجانب شجرة دهن[٧١] أم القرن ولم يعد، ولم تستطع المرأة أن تعثر على طريقها للعودة إلى البيت فى قريتهما. عندئذ أقامت لنفسها مأوى بالقرب من الشجرة، ولم يمض وقت طويل حتى وضعت طفلاً ذكرًا.

فى ذلك الحين، كانت لبؤة تعيش قريبة جدًا من الشجرة، ووضعت شبلاً ذكرًا فى الوقت نفسه الذى وضعت فيه المرأة طفلها، لكنها لم تكن منتبهة إلى أن المرأة قريبة منها. وفى كل يوم كانت اللبؤة تذهب إلى الدغل للبحث عن لحم، وكانت المرأة هى الأخرى تهيم بعيدًا، باحثة عن جذور وفاكهة. وبينما كانتا غائبتين، التقى الطفلان، طفل الإنسان وشبل الأسد، ولعبا معًا، وأصبحا أوفى صديقين، دون أن تعرف ذلك أى من الوالدتين.

وذات يوم، وثبت اللبؤة المستلقية مترقبة بالقرب من شجرة أم القرن، على المرأة، وهى عائدة إلى مأواها، وقتلتها، وحملت الطفل ليشارك شبلها الحياة. افتقد الطفل البشرى أمه فى الظهيرة، لكن رغم ذلك ذهب ليلعب فى المساء مع شبل الأسد. ومع ذلك، لم يلعب معه الشبل، وظل ينظر إلى

(٧١) دهن shea butter: دهن يؤخذ من بذور شجرة أم القرن، يستعمل فى الغذاء وصنع الصابون والشموع – المترجم

صديقه، الذى قال أخيرًا: "أيها الأسد، ماذا حدث؟. أجاب الأسد: "أيها الإنسان، ليس عندى طعام اليوم، سأخبرك بأمر سوف يزعجك. اتبعني".

وهكذا ذهب طفل الإنسان مع شبل الأسد إلى بيت الأخير، وهناك رأى أمه ملقاة ميتة على الأرض. بدأ يبكي، لكن شبل الأسد قال: "توقف! لقد أقسمت قسمًا عظيمًا اليوم، أنه حيث إن أمى قد قتلت أمك، سوف أكون صديقك الوفى حتى أموت. سوف أنتقم لك، وحتى ذلك الوقت سوف أعتني بك". بعد أن قال ذلك، عاد بطفل الإنسان إلى البيت.

فى كل يوم، ولعدة أشهر بعد ذلك، كان شبل الأسد يحضر نصيبًا كبيرًا من اللحم الذى تعطيه له أمه إلى طفل الإنسان. وكبرا معًا، يلعبان، وأصبحا أكثر فأكثر صداقة، وفى كل صباح ينادى شبل الأسد على طفل الإنسان، واضعًا مخلبه على إثر مخلب أمه، يقول: "قريبًا، قريبًا جدًا، سوف تكون لدى القوة الكافية".

وأخيرًا، جاء اليوم الذى توافق فى إثر المخلبين تمامًا، أثر قدم الشبل وأمه. عندئذ خرج الشبل مع أمه، وقال: "علمينى كيف أحصل على اللحم".

بعد بضعة دروس، ظن الشبل أن لديه ما يكفى من القوة، وقال لطفل الإنسان إنه سينتقم له فى اليوم التالى بأن يقتل أمه. وفى اليوم التالي، قتل الشبل اللبؤة، أمه، وعرض الجثة أمام صديقه، قائلاً: "الآن، لقد أبررت بالجزء الأول من قسمي".

عندئذ ولزمن طويل، عاش الاثنان سعيدين تمامًا مع بعضهما، لكن فى إحدى الأمسيات، قال شبل الأسد لصديقه، "جاء الزمن لأن تعود إلى أخوتك،

وتتزوج، وتعيش فى القرية. لقد رأيت فتاة جميلة جدًا، ابنة الرئيس، يجب أن تكون زوجتك. والآن أنصت لخطتي. اذهب إلى القرية. سوف أخفى نفسى بالقرب من منبع الماء، وعندما أرى الفتاة، سوف أمسك بها، لكننى لن أؤذيها. وسوف يهرب الجميع خائفين، لذلك إذا ذهبت إلى الرئيس وطلبت منه ابنته، فسوف يوافق إذا استطعت إنقاذها. عندئذ اتبعنى وسوف أعيدها إليك. أقم بيتك على طرف القرية. سوف آتى لأراك كل يوم جمعة مساءً، وعليك أن تقابلنى هنا فى الدغل وحدك. لكن تذكر ما أقول، لا تتخذ زوجة ثانية وإلا ستأتى إليك المشكلات بالتأكيد".

اتبع طفل الإنسان تعليمات الأسد، وأنقذ الابنة وتزوجها. وبنى له الناس بيتًا خارج القرية، لكن فى كل يوم جمعة، كان يرسل زوجته لقضاء الليل مع عائلتها، بينما يلعب هو والأسد معًا ويتبادلان أخبارهما.

مر زمن طويل على هذا المنوال، حتى جاءت فى يوم ما إلى القرية امرأة ذات ثروة عظيمة وسلطة كبيرة. رفضت أى عرض بالزواج من أى رجل، وقررت أن تختار هى بنفسها، وكانت تسافر فى كل مكان فى كل البلاد، باحثة عن زوج مناسب. رأت طفل الإنسان، ووقعت فى حبه، وطلبت منه أن يتزوجها. لكنه، وهو يقظ لكلمات الأسد، رفضها. أصرت، فتبادل معها العهد، وجعلها ضمن أسرته.

ومع ذلك، وفى كل يوم جمعة، كان يرسلها إلى القرية مع زوجته. تنبأ الأسد بالمحنة، لكن طفل الإنسان قال إنه لن تكون هناك محنة لأنه لم يتزوج المرأة، كانت تخصه فحسب.

لكن بخلاف زوجته، كان لدى هذه المرأة فضول لا يمكنها كبحه - وفى يوم جمعة، بدلاً من أن تغادر المكان، أخفت نفسها ورأت الأسد يأتى لمقابلة صديقه. انطلقت لإخبار الصياد وفى تلك الليلة، بينما كان الصديقان يمارسان لهوهما العادي، أخفى الصياد نفسه على مسار الأسد. وعندما غادر الأسد فى الصباح، أطلق الصياد عليه سلاحه _ وعلى الفور عاد ليخبر الناس بما حدث. عند سماع الأخبار، هرول طفل الإنسان إلى جثة صديقه، ممسكًا بالسهم الذى قتله، طعن نفسه به ومات. وعندما وصلت زوجته ورأت جثة زوجها وصديقه، عادت مباشرة إلى البيت، وحصلت على حبل، وشنقت نفسها.

"والآن مَن مِن الثلاثة، الأسد، أم الرجل، أم الزوجة، تظن أنه كان الأكثر فضيلة؟".

– أشانتى Ashanti

(٢٦)

تنافس مفعم بالحيوية

حدث ذات مرة أن كان هناك شابان يترددان إلى فتاة واحدة للزواج منها، وكان لكل رجل رمحان. وفى يوم ما، وهما فى طريقهما إلى المنزل معها، ساروا خلال دغل، واعترضهم أسد فجأة. سقطت الفتاة على الأرض قائلة: إن معدتها تؤلمها. وثب الأسد عليهما، وأطلق الشاب الأول رمحه، لكن الأسد تفاداه وسقط الرمح على الأرض. أطلق الشاب رمحه الثانى أيضًا، وسقط هو، أيضًا، على الأرض.

وبدوره، تقدم الشاب الثانى إلى الأمام وهو، أيضًا، رمى رمحه، لكن مثل بقية الرماح سقط على الأرض فحسب. عندئذ أطلق رمحه الثاني، لكنه أخطأ فى إصابة الأسد من جديد. وهكذا تم استخدام كل رماحهما وظل الوحش غير مصاب.

عندئذ قال أحد الشابين للآخر، "أسرع، واجر عائدًا إلى البيت. فى كوخ أمي، على رأس الفراش، سوف تجد بعض الرماح. أحضرها، مع بعض الماء فى ثمرة قرع، وبعض البوتاسيوم، أيضًا". على الفور هرول الشاب لإحضار هذه الأشياء.

وفى غضون ذلك، وثب الشاب الآخر على الأسد، وبعد صراع، أوقع به، واستل سكينه وقطع رقبته. ثم رفع الأسد فى وضع كأنه رابض، وجرت الفتاة واستلقت بجانب الأسد. وذهب الشاب خلف شعر رقبة الأسد واختبأ.

ودون إبطاء عاد الشاب الذى كان قد تركهما ومعه الحراب، والماء، والبوتاسيوم، لكنه لم يجد الشاب الآخر ولا الفتاة. وعلى مسافة قصيرة غير بعيدة اصطدم بالأسد المطأطأ الرأس، وركبتاه مثنيتان هناك، والفتاة مستلقية أمامه، لكنه لم يلاحظها. قال لنفسه، "أى خدعة هذه؟ انطلق الاثنان وهربا، وتركا الأسد ليقتل طفل شخص آخر! حسناً، الآن، لا يمكننى أن أترك الأسد حيًا ليفعل ذلك مرة أخرى". ورمى بعيدًا برماحه وثمرة القرع الصغيرة المليئة بالماء وبالبوتاسيوم، ورمى بنفسه على الأسد. أمسك به بإحكام، وانقلب الأسد مباشرة بالطبع. نهضت الفتاة والشاب الآخر وهما يضحكان.

حسناً إذن – أى الاثنين، الشاب الذى قتل الأسد، أو الشاب الآخر الذى ذهب لإحضار الرماح، وثمرة القرع الصغيرة المليئة بالماء، والبوتاسيوم – من منهما أظهر حيوية أكثر؟

– هوسا Hausa

(٢٧)

كله بسبب الحب

تزوج رئيس من زوجة، لكن لم يكن هناك ما يدل على أنهما سـوف يحصلان على أطفال، لذلك استدعى ساحرًا. "أيها الرجل الحكيم"، قال، "أحب زوجتي، لكن ليس لدينا أطفال. هذا هو الأمر. عليك أن تـساعدني، حتـى نُرزق بطفل". وافق الرجل الحكيم ودخل في غرفته. جلس هناك وقتًا طويلاً، ربما شهرًا. وعندما خرج، قال، "ستُرزق بطفل، أنت وزوجتك. لكن لا يجب أن يراه أحد سواك أنت وزوجتك ومن يطبخ له _ هؤلاء الثلاثة فقط".

لا شك في ذلك، أصبحت الزوجة حاملاً، وعندما جاء الوقت المناسب، وضعت. تم إحضار الطفل إلى البيت، وتجهيز غرفة له في العليـة. وظـل الطفل هناك زمنًا طويلاً، وكبر هناك. وحتى السير تعلمه الطفل بنفسه، حيث إنه كان وحيدًا في العلية، هناك في الأعلى. أصبح شابًا، لكنه ظل مقيمًا فـي العلية، ينظر إلى الناس في الأسفل، مندهشًا من الحياة في الخارج.

في يوم ما، كانت فتاة تسير، خارجة من القرية، وهكـذا اسـتطاع أن يراها من عليائه. تركا عيونهما تتلاقيان، هي والصبي (نسي أنه أُوصي بألا يراه أي شخص آخر). ظلا ينظران كل منهما إلى الآخـر وقتًـا طـويلاً. وقررت الفتاة أن تصل إلى غرفة هذا الشاب الغريب. وبحثـت عـن سـلم طويل، وعندما وجدت واحدًا، صعدت إلى أعلى البيت.

جاء المساء. وتسلقت الفتاة إلى العلية وقالت للشاب، "منـذ أن رأيتـك بالأمس، لم يهدأ قلبي. لذلك أنا هنا، أنا أحبك". شرح الشاب سبب إخفائه. ثم اضطجعا معًا.

عندما أشرقت الشمس، أحضرت المرأة التى تطبخ للفتى المـــاء لكـــى يغتسل، ووجدت الفتاة هناك، والطفل، الصبي، كان ميتاً!. استدعت الــرئيس وأمه. "تعاليا هنا، تعاليا هنا! لقد رأيت شيئًا محيرًا. مات الــصبي، وهنـــاك امرأة فى الغرفة، جالسة هناك فحسب!". حضر الرئيس والأم، وشاهدا جثـــة الصبي، وشاهدا الفتاة جالسة. سألا ما إذا كانت قد قتلت ابنهمـــا، وأجابـــت، "نعم، تسبب حبنا فى ذلك".

استدعى الوالدان المضطربان الرجل الحكيم من جديد. "ها! الطفل الذى نازعتمانا للحصول عليه، هذا الطفل مات". قال الرجل الحكيم، "حسناً، كـــل شيء على ما يرام. هيا نحرق الصبي. استدعيا لى رجـــالاً الآن للحـــصول على أخشاب وتقطيعها وإحضارها إلى القرية". خرج الرجال عندئـــذ لقطـــع بعض الأخشاب. وأحضروها إلى القرية، وألقوا بها، وسأل الرجل الحكيم ما إذا كانت لديهما علبة كيروسين. كان لـــديهما مـــا طلبـــه، وقـــال، "حـــسناً، أحضراها". ثم سكبها كلها على الخشب، وأشعل بها نـــارًا هائلـــة. وعنـــدما تأججت النار، استدار إلى الأب. "آهاه. أيها الرئيس هل تحب ابنك؟". "نعم". "حسناً، إذن، أدخل فى النار". اقترب الرئيس من النار، لكنها كانـــت شـــديدة الحرارة حتى إنه تراجع. واقترب منها مرة أخرى، ثم جلس وبكـــي. قـــال الرجل الحكيم، "آه! أيها الرئيس، توقعت أنك لا تحب ابنك".

استدعى الأم، "حسناً، هل تحبين ابنك؟". "نعم" "حسناً، أدخلى فى النار، حتى تحترقى معه". اقتربت الأم هى أيضًا، لكن الحرارة كانت بالغة الـــشدة. تراجعت. اقتربت منها مرة أخرى، لكنها قالت عندئذ، "حسناً. لن أُحرق أنـــا أيضًا. سأتركها كما هي". "حسناً، كل شيء على ما يرام".

تم استدعاء الفتاة، الشخص الذى وجد الصبى وكان السبب فى موتـــه، "أيتها الفتاة، هل تحبين الرجل؟" "نعم". "حسنًا فى هذه الحالة إلقى بنفسك فـــى النار، ليحترق كلاكما". قفزت الفتاة فى النار. عندئذ احترقا معًا، كلاهما.

عندما هدأت النار، أخذ الرجل الحكيم التراب، وعاد إلى غرفته مـــن جديد. ومرة أخرى أقام شهرًا كاملاً. وهناك صنع امـــرأة ورجلًـــا كـــاملين. جعلهما يشبهان بالضبط شعب الليمبا Limba، وكانت الحياة تدب فيهما. قال، "آهاه، أيها الرئيس. العمل الذى طلبته مني، انتهيت منه. ها هو رجل وهـــا هى امرأة".

قال الرئيس، "أشكرك، أشكرك، أشكرك". كافأ الساحر. وغادر الرجل الحكيم، وخرج الشاب مع زوجته. وقال، "يا أبي، لا يمكننى أن أعيش هنـــا. عليَّ أن أرحل إلى داخل البلاد، بعيدًا جدًا".

"حسنًا، يا ابني، كل شيء على ما يرام. ارحل، مع زوجتك".

استغرقا يومًا كاملاً فى الرحلة. ثم استحوذ الجوع على الرجـــل إلـــى درجة كبيرة حتى إنه أصبح ضعيفًا ولم يستطع مواصلة السير. وهناك فـــى مكان قريب كانت امرأة قد استأجرت بعض الرجال لإخلاء أرض سبخة لها. وكانت قد طهت بعض الأرز مع اللحم وحملته على رأسها، وخرجت حاملة إياه من أجل عمالها. وفى الطريق، وصلت إلى مكان سقوط المسافرين مـــن الجوع، الرجل وزوجته. والمرأة، عندما رأتهما قالت، "هاي، هـــذا الرجـــل وسيم، أليس كذلك! أريد أن أتزوجه". قالت الزوجة، "لا! لا! لا! لا! لن أسمح بذلك". أجابت المرأة، "إذا وافقت على تركى أتزوجه، وسوف أعطيـــه هـــذا

الأرز، يمكنه أن يأكله _ هذا الأرز الذى طهيته لعمالي". قالت الفتاة، "حسنًا". وهكذا أعطتهما الأرز وأكلاه كله.

ثم انطلقت المرأتان وزوجهما معًا. وعلى الفور قابلوا امرأة أخـــرى، وأمًا لطفل صغير، يغتسلان فى الماء. قالت، "هاي، هذا الرجل وسيم! يجب أن أتزوجه". قالت المرأة الأخرى، "لن أسمح بذلك. لا! لا! لا! لا! لقد أخذت أرزي، الأرز الذى أعددته لعمالي، وأعطيته كله إلى الرجل، بـــذلك تركـــت عمالى وليس لديهم أى شيء من أى نوع. والآن تأتين لتقولى ما تقولين بأنك تريدين الرجل. لن أسمح بذلك". وقالت الفتاة، "هل ترين هذا الماء هنا، هـــذا النهر الكبير؟ هناك الكثير من التماسيح فيه، ولا أحد يمكنـــه العبـــور إلا إذا رمى بشخص ما فى الماء، حتى يمكن للتماسيح أن تحصل على طعام لهـــا. حسنًا. إذا جعلتينى أتزوج من هذا الرجل. فسوف أحمـــل طفلـــى وأرميـــه للتماسيح، ومن ثم يمكنكم العبور بأمان فى قارب". وافقت الأخرى، ومن ثم حملت الأم طفلها ورمته فى الماء. عندئذ ركبت الزوجات الثلاث ورجلهـــن فى القارب وعبروا النهر بسرعة. ولم تهجم عليهم التماسيح.

حسنًا، لا يمكن لغريب أن يدخل آمنًا إلى القرية، التى كـــانوا ذاهبـــين إليها، دون أن يمكنه الإرشاد إلى مكان دفن خَلاص(٧٢) الـــرئيس. وعنـــدما وصلوا إلى القرية، قالت ابنة الرئيس، ابنته البكر، "هاى أحب الرجل الـــذى أتى إلى قريتنا. سوف أذهب إلى هناك وأتزوج منه". عندئذ قالت المرأة، "لا! لا! لا! لا! لا يمكننى أن أسمح بذلك. لقد حملت طفلى الـــذى حملـــت فيـــه،

(٧٢) الخلاص: المشيمة والأغشية الجنينية المطروحة من الرحم بعد الولادة – المترجم

ورميت به للتماسيح فى النهر حتى يمكننا العبور. والآن وقد قطعنا كل هــذه المسافة الطويلة وتقولين إنك أتيت إلى زوجنا لتأخذينه بعيدًا وتتزوجين به. لا يمكننى السماح بذلك". قالت ابنة الرئيس، "أووه! إذا سمحت لى أن أتــزوج زوجك، فسوف أعرفكم على سر القرية، ولن يتم قتل زوجك". وهكذا وافقوا جميعًا. قالت ابنة الرئيس، "غدا صباحًا عندما يستيقظ زوجك، إجعليه يخرج إلى الشرفة، ويلقى نظرة حوله. سأكون مشغولة بكنس مجموعة المــساكن. عندما أطرق على المكنسة، يكون هذا هو مكان دفن خلاص الرئيس". وبذلك يكون الرجل قد أشار إلى السر.

لاحقًا فى ذلك اليوم، أتى المسنون فى القرية لتحدى الرجل باختبارهم، وانتهوا إلى القول، "إذا لم تعرف المكان، فسوف نقتلك". قال الرجــل، "أووه، حسنًا، كل شيء على ما يرام. كل شيء سيكون كما يريده الرب الأعظــم". وسار وأشار إلى المكان، "أليس هنا؟ إنه هنا".

كان رئيس القرية رجلاً مسنًا ومات بعد وقت قصير. وعندما حــدث ذلك، تم اعتبار الغريب رئيسًا. وظل فى تلك الرآسة زمنًا طويلاً، وحملــت له كل النساء اللائى تزوجهن خلال رحلته أطفالاً. وعاش طويلاً.

وفى يوم ما عندما كان قد أصبح مسنًا جدًا، توفى. وبقيت زوجاته مع الأطفال، كل هؤلاء الذين كان الرئيس أبًا لهم. المرأة التى كانت قــد ألقــت بنفسها فى النار من أجل الرجل قالت، "يستحق طفلى الميــراث ويجــب أن يصبح الرئيس الجديد". لكن التالية قالت، "ليس طفلك الذى عليه الدور، لأننى أخذت الأرز الذى طهيته لعمالى، وأعطيته للرجل عندما كان عــاجزًا عــن النهوض. لقد أنقذه أرزي". قالت التالية، "لا، ليس هذا عادلاً، لأننى حملــت

طفلي ورميت به للتماسيح. ولو لم أفعل ذلك، لم يكن لزوجنا أبدًا أن يستطيع عبور النهر. ولكانت التماسيح قد أكلته". ثم قالت الأخيرة، "هاي، ماذا عني؟ أتيت وأشرت إلى مكان خلاص أبي، حتى يمكن لرجلنا أن ينجو من القتـــل. ولهذا السبب فقط، حدث أنه بعد موت أبي أن أصبح هو رئيسًا".

حسنًا، من بين كل تلك النسوة، الزوجات، من التي يجب أن يحـــصل طفلها وحده على الميراث؟

– ليمبا Limba

(٢٨)

قتل من أجل حصان

تزوج ابن أحد الرؤساء من ابنة رئيس سابق، وكان لديه حصان، حصان خفيف رمادي. وكانا قد تزوجا منذ بعض الوقت، وكان من عادة الزوج، قبل الدخول إلى الكوخ، أن يقول، "أيها الحصان الرمادي، أيها الحصان الرمادي، أنت تساوى أكثر من امرأة زمننا هذا، تلك النسوة المعاصرات". وعندئذ، عندما كان يدخل إلى الكوخ، كانت زوجته تقول، "عليك أن تقتل هذا الحصان الرمادي، قبل أن تقترب مني". "لا تثيرى نفسك"، قال، "لأننى لن أقتل الرمادي".

واستمر الأمر على هذا المنوال ردحًا من الزمن، حتى سمع ابن رئيس آخر بذلك. وكان لديه فى ذلك الوقت أيضًا حصان رمادي. وضع بعض الملابس فى حقيبة سفره، وامتطى حصانه الرمادي، وانطلق على الطريق. وعندما وصل إلى المدينة نزل فى مجموعة مساكن لامرأة عجوز. وسألها، "أيتها المرأة العجوز، ما الأخبار؟". "الأخبار عن ماذا؟" قالت. "عن ابن الرئيس وابنة الرئيس القديم"، قال. "أووه، الأمر كذلك إذن"، قالت.

"نعم، لقد تزوجا، لكنه لم ينم معها بعد. لأنها تقول إنه لكى يحصل عليها يجب أن يقتل الحصان الرمادي، لكنه، دون وهن، يتغنى كل ليلة بمزايا حصانه". "أليس هذا مثيرًا للدهشة؟" قال. "قولى لي، ما نوع الملابس التى يرتديها ابن الرئيس هذا؟". "إنه يرتدى ثوبًا أبيض وأزرق ذا مربعات، وبنطلونًا مطرزًا، وتربانًا أزرق داكنًا".

حسنًا، فى ذلك اليوم ذهب الزوج الشاب لزيـــارة مجموعـــة مـــساكن صديق له، وجلسا هنا، يثرثران، حتى وقت متأخر. وبينما كان الزوج بعيدًا، ارتدى ابن الرئيس الآخر هذا، ثوبًا أبيض وأزرق، وبنطلونًا مطرزًا، وتربانًا أزرق داكنًا، وذهب إلى مسكنه. وعندما وصل إلى كوخ الزوجة، قال، "أيها الحصان الرمادي، أنت تساوى أكثر من امرأة زمننـــا هـــذا، تلـــك النـــسوة المعاصرات". وكما هى العادة، أجابت ابنة الرئيس، "عليـــك أن تقتـــل هـــذا الحصان الرمادي، إذا أردت أن تقترب مني". "هل هذا هو الأمر كله؟" قال، "نعم"، قالت. خرج وسحب سيفه وذبح الرمادي.

وفى وقت لاحق فى تلك الليلة، عاد ابن الرئيس إلى البيـــت، وعنـــدما دخل مجموعة المساكن وجد حصانه الميت. قال، "شخص ما لديه حقد تجـــاه الرمادى وقتله". وقالت له زوجته، "لقد خسرت مـــن نـــاحيتين _ خـــسرت حصانك وخسرت ما كان لك كحق". "هيمم. فهمت". "لكن لا تنطق بكلمـــة"، قالت، "فقط ابق هادئًا تجاه ذلك. سوف أنتقم لك. لا تزعج نفـــسك". عندئـــذ أحضرت لنفسها موسى، ووضعته فى ســـلة، وجمعـــت بعـــض الملابـــس ووضعتها فى السلة، ووضعت فيها صندوق جلد صغير مليء بحجر الكحل، ومرآة، وثمار الكولا لديها، وأزهار التبغ لديها. وحملـــت الـــسلة وأعطتهـــا لإحدى فتياتها لتحملها لها.

ثم انطلقت على الدرب، وهى تستفسر عن الطريق، حتى وصلت إلى المدينة التى يوجد فيها ابن الرئيس الآخر. وهناك وجدتـــه، مـــع حاشـــيته. صاحوا، "حسنًا! ها هى فتاة! هل هى متزوجة؟" "لا" قال أحـــدهم، ووافقـــوه على أنه ليس من المحتمل أن تكون متزوجة وتسير بمفردها هكذا. ثم قـــال

آخر، "لكن لا بد أنها كانت متزوجة من قبل". قال ابن الـــرئيس، "أريـــدها. خذوها إلى مسكني". فابتعدوا بها وأخذوها إلى هناك.

غربت الشمس، وعاد ابن الرئيس إلى مسكنه، وعندما حل الليل، رمى نفسه على الفتاة. وعندما انتهيا، غلبه النوم، عندئذ نهضت الفتـــاة بـــسرعة، وأخذت الموسى الموجود لديها، وأمسكت بقضيبه وقطعته. أفاق الشاب، وقفز ناهضًا، وحاول أن يقف، لكنه سقط إلى الخلف. حاول مرة ثانية، لكنه سقط، ثم مات. وضعت الفتاة القضيب فى حقيبتها، وأعطتها لخادمتها لتحملها لهـــا. ومرة أخرى سلكتا الطريق، واتخذتا طريقهما إلى البيت.

فى غضون ذلك، دخل الشباب الذين كانوا أصدقاء لابن الرئيس، إلـــى مسكنه ووجدوه ميتًا. وهكذا ذهبوا وأخبروا الـــرئيس. واســـتدعى الـــرئيس فرسانه، قائلاً، حيث إنه لا يوجد حصان فى كل المدينة أسرع مما يمتطيـــه هذا الشاب، اذهبوا بسرعة واطلبوا من أخيه الأصغر أن يُـــسرج الرمـــادي. اطلبوا منه أن يطارد قاتلته قبل أن تأتى أى تعزيزات. وعندما يشتبك معها، أطلبوا منه أن يسحب سيفه ويقتلها".

"حسنًا"، قالها الابن الأصغر، عندما سمع ذلك، وامتطى الرمادى وجعله يعدو حتى لحق بها _ بالقرب من شجرة نخيل كبيرة. سحب سيفه ليقتلهـــا، لكنه قال لنفسه، "بالتأكيد فتاة بكل هذا الجمال لا يجب قتلها". "انتبهى أيتهـــا الفتاة، هيا نضطجع معًا، أنت وأنا، وعندئذ سوف أتركك تسيرين فى طريق آخر قبل أن يفاجئنا أصدقائي". لكن الفتاة أجابت بجرأة، "ماذا تقول؟ وتطلب ذلك هنا؟ فى الهواء الطلق هكذا؟ لا، بالتأكيد لا أريد أن أضـــطجع معـــك! أخشى أن عليك قتلى فحسب. ولكن، إذا تسلقت شجرة النخيل هذه وأســـقطت

بعضا من أوراقها الكبيرة ثم هبطت، فلما لا نبسطها، وعندئذ يمكنك أن تضطجع معي". "أنت لى _ هل هذا هو كل ما فى الأمر؟" قال، وتابع خلع أثوابه، وبنطلونه، وعمامته، حتى أصبح لا يرتدى سوى مئزر لستر العورة، وحمل سيفه لكى يقطع به الأوراق. ثم صعد شجرة النخيل. لكن عندما رأته الفتاة ينهى ضربته الأولى، تقدمت هى وعبدتها الفتاة ونخستا الحصان، فانطلق هاربا. وكل ما كان فى استطاعة الشاب قوله هو، "عودي، أرجوك، أرجوك عودي، أستحلفك بالله والنبي. لن أقتلك. فقط دعينى أعود بحصاني!".

وهكذا كان فى ذلك الوضع، جاثما على الشجرة عندما جاء الفرسان الآخرون يبحثون عنه، فى المكان الذى كان الحصان قد وقف فيه. "ربما يكون قد قتل الفتاة"، قال أحدهم. لكن آخر أجاب، "ليس هذا هو المرجح! لأنه لو كان قد قتل الفتاة، لكنا رأينا دمًا هنا _ ولا يوجد أى دم". عندئذ رفع أحدهم رأسه ورآه وهو جاثم هناك على الشجرة، وقال للآخرين، "حسنًا، انظروا، ها هو هناك، فى الأعلى على شجرة النخيل!". "هذا صحيح!" قال الآخرون فى دهشة. "كيف صعدت بهذه الملابس؟" "حسنًا – كما ترون – لقد أخذت حصاني"، أجاب. عندئذ قال الآخرون جميعًا، "لعله من الأفضل ألا نعتبرها تافهة". وهكذا توقفوا هناك، واقترحوا عليه أن يهبط من فوق الشجرة. ثم جعلوا أحد خدم أخيه يترجل عن حصانه، وأعطوه إياه ليمتطيه. وهنا عادوا إلى البيت.

وواصلت الفتاة طريقها وعادت إلى زوجها. "ها أنت هنا"، قالت، "قلت لك إننى سأنتقم لك، ألم أفعل ذلك؟ انظر – لقد فعلت ما يلي، قطعت قضيبه،

وأحضرت لك حصانه، ولا يمكن لأى شخص أن يميز بينه وبين حـصانك. إنهما يبدوان كما لو كان توأمين".

حسنًا والآن، أى من الأربعة يمكنك أن تقول إنه قد أصابه مكروه أشد من الآخر – الفتاة، أم زوجها، أم ابن الرئيس، أم الابن الآخر للرئيس؟

– هوسا Hausa

(٢٩)

زوجات ثلاث

يحكى أنه فى سالف العصر والأوان أنه كان هنا رجل له ثلاث زوجات. وحدث أنهن كن على وشك الحمل بأطفال له، وسألنه الإذن بالرجوع إلى بيوت أهاليهن. وافق على ذلك، وفى اليوم المحدد خرج معهن لإرشادهن إلى الطريق.

وفى ذلك الوقت، وصلوا إلى مكان حيث يتفرع الطريق إلى ثلاثة اتجاهات. استدار الرجل إلى نسائه، وقال، "هنا سوف أترككن، حيث ها هنا سوف تتخذ كل منكن طريقًا مختلفًا". وعندما قال ذلك سقط ميتًا.

عندئذ بدأت النسوة يصنعن ضجة كبيرة. قالت المرأة الأولى إنها لن تترك زوجها بهذه الطريقة، لكنها ستتبعه، ثم مضت وشنقت نفسها. وقالت المرأة الثانية إنها لا يمكنها ترك جثة زوجها للنسور والضباع لتلتهمها، وبقيت بجانب الجثة وأبعدت كل شيء عنها. وجرت الثالثة فى الدغل وهى تتفجع على مقتل رجلها، وهناك رأت رجلاً سألها عما حدث. وعندما عرف الأمر، قال إنه قد يقدم مساعدة، ورجع مع المرأة إلى تقاطع الطرق. وهناك أخرج من لديه ذيل البقرة السحرية، ونقر على المرأة والرجل الميتين، وبعثهما من الموت وأعاد لكل منهما حياته.

والآن من الفضلى بين تلك النسوة؟

– داجومبا Dagomba

(٣٠)

المعاونون الخمسة

يحكى أنه كانت توجد فتاة جميلة، ابنة رئيس. وكان من الرائع النظر إليها أكثر من أى فتاة يمكن للرجال رؤيتها. لكن لم يكن هناك من توافق على الزواج منه.

جاء الرجال من كل البلاد، لكنها لم توافق عليهم. وسمعت كل البلاد عن أخبار هذه الفتاة، وأنها رغم وصولها إلى سن الزواج، لم تختر أى شخص.

وكان هناك أيضًا ثعبان أصلة يسكن فى بحيرة واسعة بالقرب من النهر. وعندما سمع عن الفتاة، قرر أن يتزوجها. عندئذ غير نفسه إلى هيئة رجل وجاء إلى القرية.

بمجرد أن رأت الفتاة الرجل الشاب امتلأت بالبهجة، وقالت إنها توافق على الزواج منه على الفور. وسعد الجميع، وفى تلك الليلة أخذوا الشاب والفتاة إلى السطح العلوى للبيت، لأن البيوت فى هذه القرية كانت لها أسقف مستوية، وتركاهما هناك.

وفى خلال الليل، لحس الثعبان الفتاة فى كل مكان وابتلعها، وبعد أن تحول من جديد إلى هيئة الثعبان، هرب إلى البحيرة الواسعة.

فى اليوم التالى أتى الناس إلى البيت وطلبوا من الفتاة والشاب أن ينزلا إليهم. ولم يجب عليهم أحد، وطلب الرئيس من الناس أن يصعدوا ليروا ما حدث. فعلوا ذلك، وأخبروه أن كلاً من الفتاة والرجل غير موجودين.

أصاب الغضب الرئيس، وعلى الفور أمر كل الناس أن يلاحقوا الفتاة وحبيبها. لكنهم لم يعثروا على أى آثار. عندئذ استدعوا رجلاً يمكنه أن يشم كل شيء. شم على الفور أثر الفتاة، وتتبعه حتى وصل إلى البحيرة. وهناك لم يستطع السير أبعد من ذلك. والناس، وقد حفزهم غضب الرئيس، استدعوا عندئذ رجلاً مشهورًا فى البلد كله بعطشه. وطلبوا منه أن يشرب البحيرة. وهذا ما فعله. لكن لم يكن هناك أيضًا أى أثر للرجل أو الفتاة. ثم استدعى الناس رجلاً مشهورًا بقدرته على العمل وطلبوا منه أن يُخرج كل الطين من البحيرة. وهذا ما فعله، وبتلك الوسيلة ظهرت فجوة. لكنها كانت شديدة العمق حتى إن أحدًا لم يستطع أن يصل إلى قاعها. عندئذ تذكروا أنه كان هناك رجل له ذراع يمكنها أن تمتد عبر كل جزيرة داجومبا Dagomba. طلبوا منه أن يمد ذراعه فى الفجوة ويسحب ما فيها. أخرج ثعبان الأصلة الضخم، وتم قتله على الفور. وعندما فتحوا معدته، عثروا على الفتاة داخلها، لكنها كانت ميتة. عندئذ تذكر الناس رجلاً لديه قوة سحرية، ولديه القدرة على إحياء الموتى. أتى على الفور وأعاد الفتاة إلى الحياة.

والآن أى من هؤلاء الرجال هو الأفضل؟

– جرامشى Grumshi

(٣١)

معجزات كثيرة

أراد مدرس تقى يعلِّم الإسلام، أن يترك مدينته ويذهب لبعض الوقت إلى مدينة أخرى. التقى رجلاً معه هراوة يعرف كيف يحارب جيدًا، وطلب منه الرجل أن يرافقه. "إذا أردت، افعل ذلك من فضلك!" أجاب المعلم. ثم جاء صياد، وقال، "أعرف كيف أصيب بسلاحى جيدًا، هل تحب أن أصطحبك؟". "إذا أحببت، من فضلك إفعل ذلك". حمل الصياد قوسه وسهامه وانطلق الثلاثة على الطريق.

قبيل المدينة كان هناك نهر واسع، لكن حيث إن الموسم، كان وقت جفاف، لم يحتاجوا إلى قارب "كانو" لأنهم استطاعوا أن يجتازوا النهر. وهكذا وصلوا إلى مدينة أخرى، حيث أقاموا فيها شهرًا. عندئذ قال المدرس التقي، المعلم، إن عليهم مغادرة المدينة، حتى يمكنه اجتياز النهر قبل موسم الأمطار. لكن قبل أن يصلوا إليه، كانت الأمطار الأولى قد بدأت تهطل، وكان النهر فى حالة فيضان. ولأنه لم يكن هناك قارب "كانو"، طلب المعلم منهم الانتظار يومًا حتى يهبط مستوى الماء. وخلال انتظارهم لم يكن لديهم ما يأكلون.

ظهر ملك بلدهم على الضفة الأخرى، جاء ليرى النهر وقد زاد. ورأى المعلم التقى وناداه عبر النهر: "مرحبًا، أيها المعلم، ماذا تفعل عندك هناك؟". "جئنا مبكرين صباح اليوم، لكننا لم نستطع العبور". "لا أعتقد"، صاح الملك، "إن النهر سينخفض قريبًا، وليس لدينا أى قوارب". "إذن سوف أجرب العبور

دون قارب"، رد المعلم، الذى أخرج أوراقه، ووضعها على المـــاء، ووقـــف عليها، ووضع المزيد من الورق أمامه، وداس فوقه، والتقط الورقـــة خلفـــه ووضعها أمامه، وداس فوقها، وهكذا، حتى وصل إلى الضفة الأخرى آمنـــا. ولم يكن على الرجل أو الورق قطرة ماء.

عندما رأى الصياد ذلك، احتذى حذو المعلم، أطلق سهمًا فـــى المـــاء، داس فوقه، وأطلق سهمًا آخر فى الماء، وداس فوقه، الـــتقط الـــسهم الأول، وأطلقه مرة أخرى فى الماء، وهكذا، حتى وصل هو أيضًا إلى الشاطئ البعيد آمنًا. عندئذ فكر صاحب الهراوة: "ما استطاع الاثنان فعله، يمكننى أن أفعله أيضًا". وبهراوته ضرب الماء، الذى قسم نفسه على الفور. وعبر قعر النهر بقدمين جافين، وانغلق الماء من جديد خلفه.

وانضم الثلاثة لحاشية الملك. وخلال الطريق، مروا بـــامرأة عجـــوز، سألها المعلم ما إذا كان لديها شيء من أجله ليأكل، حيث إنه لم يأكـــل منـــذ الصباح. أجابت المرأة، "ليس لدى شيء. عندما عرفت أن الملك قادم، ومـــع ابتهاجي، سكبت الماء البارد على الماء الذى يغلـــي. والآن أنفـــضه علـــى الحصيرة لكى أفصل الماء الذى يغلى عن الماء البارد من جديـــد". واصـــل الثلاثة طريقهم. وبالقرب من المدينة، التقوا رجلاً كان يحفر بئرًا. "أليس لديك بعض الطعام تبيع؟" سأل المعلم. "لا"، قال الرجل، "لكن هنا الحر شديد، وهو من الشدة حتى إننى كنت أستعد الآن لنقل بئرى إلى ظل هذه الشجرة هناك. وعند غياب الشمس، سوف أعيدها مكانها". واصل الثلاثة طريقهم، ووصلوا إلى موطنهم.

من الآن، يسأل راوى القصة، من هو الأكثر إعجازًا من بين الخمسة؟ المعلم، الذى عبر النهر على أوراقه، أم الصياد الذى عبر النهر على سهامه، أم الرجل الذى شق النهر بهراوته، أم المرأة التى فصلت الماء المغلى عن الماء البارد، أم الرجل الذى نقل بئره تحت شجرة ثم أعادها مكانها من جديد؟

- كاريكار Karekare

(٣٢)
خرجت عيونهم

كان رجل ذات مرة فى رحلة تجارة مع أمه، وأخته الصغرى، وزوجته، وحماته. كانوا قد قطعوا مسافة من الطريق وجعلتهم حرارة الشمس يشعرون بالظمأ الشديد. وعندما وصلوا إلى جذع شجرة جلسوا أسفلها.

نظر الزوج بعيدًا ورأى ما يبدو أنه بئر، وقال لأخته، "اذهبى وانظرى ما إذا كان هناك أى ماء فى البئر. إذا كان فيها ماء، إجلبى بعضًا منه وأحضريه لنا". ذهبت وحدقت من فوق حافة البئر، وخرجت إحدى عينيها وسقطت فى البئر. وبسرعة قبضت بيدها على العين الأخرى ونزلت على ركبتيها هناك دون أقل انزعاج.

مضى بعض الوقت، وعندما لم تعد، قالت الزوجة، "دعنى أذهب لأرى ما يحدث لهذه الفتاة". ذهبت إليها فوجدتها جالسة بجانب البئر. قالت، "ما الذى جعلك تجلسين هنا دون جلب أى ماء شرب لنا؟ أليس هناك أى ماء؟". وصعدت وحدقت فى البئر _ وخرجت إحدى عينيها وسقطت، أيضًا. وجلست هى أيضًا يملأها الشك فى ما عليها أن تفعله.

لاحقًا، قالت أم الرجل، "ما الذى جعلهما يتأخران كل هذا الوقت؟" وذهبت عقبهما. عندما وصلت إلى هناك، سألت عن سبب جلوسهما هكذا. "أليس هناك أى ماء؟" سألت. وحدقت إلى أسفل فى البئر – وسقطت إحدى عينيها أيضًا فيها. عندئذ غطت بسرعة عينها الأخرى. وهى أيضًا جلست هناك.

مر المزيد من الوقت، وقال الرجل، "حسنًا، ما الذى يحدث هنا؟ أظـن أن على أن ألحق بهن وأرى ما يحدث". وفعل ذلك، وعندما اقترب من البئر، قال، "ماذا حل بكن جميعًا، جالسات فحسب على هذه الهيئة؟" حاولت زوجته أن تجعله يعود مبتعدًا بأن أشارت إليه، لكنه لم يلاحظ ذلك وحدق فى البئر، وسقطت إحدى عينيه أيضًا فيها. ممسكًا بالأخرى، جلس. وحدث الشيء نفسه لحماته. وأخيرًا أصبح الخمسة ينوحون هناك وكل منهم بعين واحدة.

وأخيرًا، وصل إليهم جندى، خارجًا من الدغل، ورآه الرجل. ورآهـم الجندى أيضًا، واتجه نحوهم. "توقف عندك، أيها الصديق، حتى آتى إليـك"، قال الرجل. أطاعه، وأتى إليه الرجل، وهو لا يزال ممسكًا بعينـه. وقـال، "أوقفتك لأمنعك من الاقتراب من هذه البئر. أنا، وأمي، وحماتي، وزوجتي، وأختى الصغرى، كلنا له عين واحدة بسبب التحديق فى البئر". "حقًا؟" قـال الجندي. "إذن أنتم لم تسمعوا شيئًا عن هذه البئر. يوجد جنى فيها". "لا أعرف شيئًا" قال الرجل. سأل الجندي، "إذا نزلت فى البئر وأحضرت عيونكم، هـل آخذ واحدة منها؟" "نعم"، أجاب الرجل.

هبط الجندى فى البئر، التى كان عمقها يتجـاوز مائـة ذراع. وعـاد سريعًا إلى أعلى ومعه خمس عيون. أعطى للرجل أربعة، ووضع واحدة فى جيبه، وابتعد. أخذ الزوج واحدة ووضعها مكان عينه. وبقيت ثلاث. حـسنًا، لمن سوف تعطى هذه الثلاث؟ ومن سوف تحرمه من العين؟

– هوسا Hausa

(٣٣)

يُجوع أباه

ذات مرة كان هناك رجل له زوجة، حامل فى طفل، لكنه أهملها ووقع فى حب امرأة أخرى. وكان من عادته أن يخرج للصيد، لكن بدلاً من إعطاء ما يصطاده لزوجته، كان يعطيه لحبيبته. وعندما اصطاد ظبيًا، لم يعط منه شيئًا لزوجته. وإذا أوقع فى فخه أرنبًا، يذهب أيضًا به إلى امرأته الخبيثة.

الزوجة المسكينة التى تموت جوعًا

ولدت ابنًا،

أعطته الحياة،

يا له من مسكين ضعيف!

عندما وُلد ابنه، كبر واشتكى لأمه من أنه بينما أكل من إنتاج مزرعتها، لم يحصل أبدًا على أى طعام مما اصطاده أبوه، ولا حتى ارتدى ملابس أعطاها إياه.

ذات يوم أعطاه صديق سكينًا، ودون أن تعرف أمه، ذهب إلى الغابات والتلال. حاول اصطياد بعض الفرائس بقذف سكينه عليها، لكن ذلك لم ينجح. حزن على سوء حظه. لذلك قبل أن يشرع فى العودة إلى البيت، قطع سيقان كرمة، وصنع منها حبلاً، ووضع شركًا فى محاولة لاصطياد طائر أو ما شابه.

فى اليوم التالى خرج من جديد، وابتهج عندما وجد دجاجة غرغر فى فخه. عاد إلى البيت مهرولاً مع غنيمته، وبينما كان لا يزال بعيدًا، صاح

منادِيًا أمه: "أماه، جهزى التابيوكا![73]". "التابيوكا! يا بني. كيف ذلك؟ لقد عدت مبكرًا جدًا عن الوقت المعتاد لتناول الطعام، وتطلب تابيوكا؟ لم يحضر أبوك لى طعامًا. ما الذى تقوله، إذن، يا بني، هل معك طعام بالفعل لكى أطبخه؟" "لا يهمك كل ذلك يا أماه، جهزى التابيوكا".

جهزت الأم التابيوكا، ووضع الابن الطائر أمام قدميها. عندما رأت أن ابنها يمكنه أن يحضر لها طعامًا، لم تعد تفكر فى مشكلاتها أو فى زوجها.

وفى نحو ذلك الوقت، كان الأب قد تزايدت متاعبه مع حبيبته وأبعدها عنه، وحينئذ لم يكن لديه من يطبخ له، فتذكر بيته وهو جائع.

وعندما سمع أن ابنه يخرج الآن ليصطاد، وأن لديه الكثير من الطعام، تسلل خارجًا من بيته، وتوسل إلى ابنه أن يعطيه طعامًا.

يا بني، هل يمكن أن يكون صحيحًا

إنك تحرمنى من الطعام؟

على ركبتاى أتوسل،

يا بني، لا تتركنى أموت.

عندئذ أجابت الأم:

أنت حرمتنا أولاً من الطعام،

وجعنا وكدنا نموت من الجوع،

---

(٧٣) التابيوكا tapioca: مستحضر نشوى، يستخرج من جذور نبات القُرَيسة ويستخدم لصنع البودنج (نوع من الحلوى)، وكمادة مكثفة فى الطبخ _ المترجم

لن نعطيه طعامًا

هو الذى ظل يزود تلك الفتاة بالطعام.

فى يوم آخر، عندما كان حظ الابن حسنًا واصطاد طائرًا، بعد أن ذبحه ونظفه، قال: "أماه، لقد أتى زمن كنا نكاد نموت من الجوع، لكن لـــدينا الآن الكثير من الطعام، والآن ها أنا رجل، ولست محرومة من ملابس أو طعام". وبينما كانا يأكلان، زحف الأب، الذى أصبح نحيلاً جدًا وضعيفًا، خارجًا من بيته، وبكى:

أووه، زينجا، ابني، زينجا،

هل تترك أباك يموت؟

أووه، جينجي، زوجتي، كينجي،

ها هنا أموت من الجوع وأنا مستلقي.

عندما سمع الابن أبيهِ يبكى بكل هذه المرارة، اهتزت مشاعره إلى حد كبير، وطلب من أمه أن تضع بعض الطعام فى صحن وترسله إليه. لكن الأم رفضت، قائلة إنه لا يستحق إعطاءه شيئًا. عندئذ بكى الابن وغنى:

يا أماه، عاملنا الأب بشكل سيئ

عندما جعلنا نعانى من الجوع،

دعينا نغذيه الآن، وهو يستنجد بنا،

وإلا فقد يهلكنا الرب.

وعندئذ وضع بعض الطعام فى صحن وكان على وشــك أن يعطيــه لأبيه، عندما سقط أبوه ميتًا من الجوع.

تم إجراء تحقيق حول سبب موت الأب، وعندما استمع الناس إلى كل ما قيل، أصدروا حكمًا. "لقد مات بواسطة يد الانتقام للروح العظيم".

– فجورت Fjort

(٣٤)

الرجل الذكى والرجل الغبى

هيا نحكى قصة أخرى، هيا نذهب!

"تسابقوا!"

هيا نذهب!

"تسابقوا!"

كان هناك أخان، الرجل الذكى والرجل الغبي. وكان من عادتهما أن يخرجا للصيد لإمداد والديهما بالطعام. وهكذا، فى يوم ما، ذهبا معًا إلى مستنقع المنجروف، بمجرد أن انخفض المد، يراقبان الأسماك وهى تقضم برفق وباستمرار عند جذور الأشجار. رأى الغبى سمكة، وأطلق سلاحه عليها واصطادها. أطلق الذكى أيضًا سلاحه، لكنه لم يحصل على شيء. عندئذ اقترب إلى الغبي، وقال: "أيها الغبي، هل اصطدت شيئًا؟" "نعم، أيها الرجل الذكي، أنا غبى _ لكننى اصطدت سمكة".

"نعم، أنت غبي"، أجاب الرجل الذكي، "لأننى عندما أطلقت سلاحى، أصبت السمكة التى انطلقت إلى جهتك، لذلك فإن السمكة التى تظن أنك اصطدتها هى لي. هيا، أعطنى إياها". أعطى الغبى السمكة للرجل الذكي.

بعد ذلك عادا إلى مدينتهما، وقال الذكي، مخاطبًا أباه، "يا أبتاه، ها هى سمكة اصطادها ابنك، لكن الغبى لم يجلب شيئًا". جهزت الأم السمكة وطهتها، وأكلها الأب والرجل الذكي، ولم يعطيا أى شيء للغبي.

ثم ذهبا من جديد إلى مستنقع المنجروف، وأطلق الغبى سلاحه ومع أول طلقة له اصطاد سمكة. "ألم تسمعنى أطلق؟" سأل الرجل الذكي. "لا"، أجاب الغبي. "لا؟" ردد الرجل الذكي. "ألم تر السمكة التى اصطدتها؟". "حسنًا إذن"، قال الغبي، "خذ السمكة".

عندما عادا إلى البيت، أعطيا السمكة لأمهما، وعندما طهتها، أكلها الرجل الذكى وأبوه، ولم يعطيا شيئًا للغبي. لكن بينما كانا يتمتعان بأكل السمكة، انغرزت عظمة فى حلق الأب. عندئذ استدعى الرجل الذكى الغبى وطلب منه أن يذهب لإحضار طبيب.

"لا"، قال الغبي، "لا أستطيع، أخاف أن يحدث شيء". وغنى:

كل يوم تأكل سمكتي، وتسميني "غبي"،
وتتركني أعاني من الجوع.

"كيف تغني"، قال الرجل الذكي، "بينما ترى أن أبانا يتألم؟".

لكن الغبى استمر يغني:

أنت تأكل وتأكل حتى تمرض،
تنغرز عظمة في حلقك،
والآن اقتربت حياتك من الانتهاء،
ستظل العظمة في حلقك.
إذن أنت، أيها الأخ الذكي، اصطدت السمكة،

هل أعطيت الغبى ليأكل؟

كلا! لكنه الآن يموت، هل تتمنى

لو أنك كنت قد أعطيت الغبى ليأكل؟

بينما كان الغبى مازال يغني، مات الأب. عندئذ جاء الجيران وانضموا إلى حلقة العائلة، وسألوا الغبى كيف يمكن أن يستمر فى الغناء الآن وقد مات أبوه.

أجاب الغبي: "أبى صنعنا نحن الاثنان، رجل ذكي، والآخر غبي. الغبى اقتنص الطعام وهما أكلاه، دون إعطاء الغبى أى شيء. يجب ألاَّ يلعناه، إذن، إذن هو غنى بينما هما يتألمان. هو عانى من الجوع بينما كان لديهما الكثير من الطعام".

وعندما فكر الناس فى الأمر قليلاً، قرروا أن الغبى على حق، وغادروا المكان.

مات الأب، وهكذا كان قد تم عقابه، لأنه لم يعط طعامًا للغبي.

"ذلك الذى يأكل الأسماك مع الكثير من الزيت لا بد أن يعانى من سوء الهضم".

والآن لقد أنهيت قصتي.

"هكذا بشق النفس!

– فجورت Fjort

(٣٥)

فضول فمبر

كان هناك رجل اسمه جاربار، قد جاء من بلاد أجنبية ليتزوج فمبر، واستقر فى بلد زوجته. وذات يوم، عندما كان يعمل فى مزرعته، رأى ثعبانًا أفعى بالغ الغرابة، كان هائلاً، وله أجزاء كبيرة وصغيرة متعاقبة، وأينما يذهب فى المزرعة، كان يقابل جزءًا ما من هذا الثعبان.

ومن فوره لاحظ جاربار أنه يفهم لغة الحيوانات، والزواحف، والطيور _ لأن لكل منها جميعًا لغته _ لكن، فى رؤيا، حذرته الآلهة من إفشاء المعرفة، التى يحصل عليها بهذه الطريقة إلى أى شخص، ولكن عليه أن يحتفظ بالسر غير منتهك عن كل شيء يسمعه. كانت موهبة الفهم هذه، نتيجة لرؤية الثعبان. يمكن لهذا الزاحف أن يظهر ويتكلم معه فى أى وقت. وأصبح جاربار معتادًا على موهبته، وعلى تلك الزيارات الغريبة، أيضًا، لكن ظل يحتفظ بها سرًا.

ولفترة زمنية طويلة، أطاع جاربار هذه التعليمات بأن يصمت، وتمتع كثيرًا بطرفة الاستماع إلى ما قد يقال فى مملكة الحيوانات، لأنها تكون غالبًا بالغة الحكمة. ولكن ذات يوم، بينما كان يتناول الغداء مع فمبر، تلقيا أخبارًا عن وفاة أبيها. فى اليوم التالى رتبت بيتها واستعدت للذهاب إلى قريتها الأصلية، للانضمام لمن سيحضر الجنازة من الأقارب.

في الصباح، بعد أن رتبت كل شيء وكانت مستعدة للانطلاق في رحلتها، سمع زوجها صوتًا يقول، "حيث إنك تضع كل شيء في موضعه، ماذا عنا نحن الذين ستتركهم هنا؟" وضحك.

أصاب الغضب زوجته وأعلنت أنه يضحك على فجيعتها، ورغم إنكاره ذلك، ظلت مرتابة. وفي النهاية، وهو في حالة تهور ناتج عن اليأس، أخبرها بأنه لو شرح لها سبب ضحكه، ستكون النتيجة موته. أصرت، مع ذلك، وأخيرًا أذعن وكشف عن السر. بعد ذلك بوقت قصير، مات لأنه عصى أمر الزاحف.

هذه الحادثة المحزنة علمت الزوجة أن على الإنسان ألا يكون أبدًا بهذا الفضول، الذي يجعله يصر على معرفة شيء ما، قد يكون من الأفضل له عدم معرفته.

– ليبيريا Liberia

(٣٦)

نصيحة أب

استدعى رجل مسن ابنه إليه، وقال، "أنا أموت، لكن قبل أن أرحـــل، هناك ثلاثة أشياء، أدعوك إلى أن تحذر من فعلها: أولاً، لا تخبـــر زوجتـــك بشئونك الخاصة، وثانيًا، لا تصادق رجل شرطة، وثالثًا، لا تقترض مالاً من رجل فقير، بل من رجل ثري". وبعد أن نطق بهذه التحذيرات، مات الرجـــل المسن.

وما انتهت مراسم الدفن، حتى كان الابن قد فكر مليًا فى كلمات أبيـــه وقرر أن يحاول معرفة ما إذا كانت هناك حكمة فيها. وهكذا ذهب إلى رجل فقير واقترض منه ستة بنسات، وإلى رجل ثرى واقترض منه عملة ذهبيـــة، ثم عاد إلى بيته.

لم يقل شيئًا عن النقود، وغادر بيته فى الصباح التالى واشترى ماعزًا. وانتظر فى الدغل حتى حل الليل، وذبحها، ثم حزم الجثة فى بعض الأعشاب وحملها إلى كوخه. وهناك، أخبر زوجته باهتياج أنه قتل رجلاً، ويريد دفـــن الجثة، التى أحضرها معه، تحت أرضية الكوخ. وهكذا احـــضرت المـــرأة معزقة، ومعًا حفرا فجوة فى وسط الأرضية ووضعا الجثة فيها. وتم مـــلء الحفرة، وأعادت المرأة تغطيتها بالطين، وجعلت نار طبخها فى هذه البقعة.

"الآن" قال الشاب لنفسه، "أوصانى أبى بألا أقول لزوجتى أى شـــئون تخصنى وألا أقترض مالاً من رجل فقير. لقد فعلت كلا الأمرين. وبقى شيء واحد - على أن أعثر على رجل شرطة لأصادقه". بعد أن خرج، قابل رجل

شرطة، فقال لأحدهما، "أحب أن أكون صديقًا لك، تعال إلى بيتي". ووافق رجل الشرطة وذهب معه. قدم رجل الشرطة إلى زوجته، وبدأت تطهو ثريدًا. وعندما أصبحت جاهزة، أحضرتها، وأحضرت ماءً ليغسلا أيديهم، للرجلين اللذين كانا يجلسان في الشرفة. وبدأ الرجلان يأكلان. ثم استدعى الرجل زوجته، قائلاً إن الثريد لم يطه جيدًا - "إنه لا يناسب سوى الكلاب!" - ووجه ضربة مفاجئة إلى زوجته. توسلت المرأة على الفور إلى رجل الشرطة ليحميها، قائلة إن زوجها قد يقتلها، كما قتل الرجل منذ وقت قصير.

وهكذا اعتقل رجل الشرطة الرجل، وأخذه معه. ثم أمر الحاكم بعودة الشرطة مع الرجل للعثور على الضحية. تم التعرف على مكان الميت بواسطة المرأة، وبعد الحفر، وجدوا الجثة مربوطة بالحشائش. وقال الجميع، "الأمر كما ذكرته المرأة تمامًا" وبدأوا يضربون الرجل وجعلوه يحمل الجثة عائدين إلى الحاكم.

في الطريق التقوا الرجل الفقير، الذي عندما رأى المدين له صاح، "إلى أين أنت ذاهب، أين البنسات الستة الخاصة بي؟" "أنا ذاهب إلى الحاكم. يُظن بأني قتلت رجلاً"، أجاب، "أين البنسات الستة الخاصة بي؟ سوف يشنقونك وسأكون الخاسر!" صرخ الرجل الفقير. "انتظر قليلاً، قد لا يتم قتلي"، قال الرجل، "قد أستطيع أن أرد لك مالك قريبًا". "لا لن تستطيع، سوف تُشنق"، كانت الإجابة، وضربه الرجل الفقير وهو يمر أمامه.

لاحقًا، التقت الجماعة الرجل الثري وناداه المتهم، "أنا في مشكلة ولا أعرف متى قد أستطيع أن أرد إليك ما أقترضه منك". وأجاب الرجل الثري،

قائلاً، "لا تشغل بالك بذلك الآن. أنا آسف أنك فى مأزق". وعندما وصلوا فى النهاية أمام الحاكم وأنزل الرجل حمولته، كانت مفكوكة وكُشفت جثة الماعز. أوضح الرجل للحاكم أنه كان يختبر نصيحة أبيه _ وثبتت أنها سليمة كلهــا حقًا.

- واياوو Wayao

(٣٧)
هل صحيح أن على الثعبان أن يعضني؟

حدث فى وقت ما، أن سقطت صخرة كبيرة على ثعبان وغطته وعجز عن رفعها. ويُقال إن رجلاً جاء إلى المكان ورفع الصخرة، لكن عندما فعل ذلك، أراد الثعبان أن يعضه. قال الرجل، "توقف! دعنا أولاً نذهب إلى كائن حكيم". ذهبا إلى الضبع، وسأله الرجل، "هل صحيح أن على الثعبان أن يعضني، حتى رغم أننى قدمت إليه مساعدة كبيرة؟".

قال الضبع (الذى كان يتطلع إلى نصيبه الخاص من جسد الرجل)، "لو أنه عضك، ما أهمية ذلك؟".

ظن الثعبان أن الموضوع قد انتهى، لكن الرجل قال من جديد، "انتظر قليلاً، ودعنا نذهب إلى كائن حكيم آخر، لأسمع منه ما إذا كان هذا من حقك أم لا".

وواصلا الطريق، حتى قابلا ابن آوى، وطرح عليه الرجل السؤال نفسه.

أجاب ابن آوى، "لا أصدق أن الثعبان يمكن فى أى وقت أن تغطيه صخرة، بحيث لا يمكنه رفعها. ودون أن أرى ذلك بعيني، لن أصدق أنه حدث. خذنى إلى المكان الذى تقول إن هذا حدث فيه، حتى يمكننى أن أرى بنفسى ما إذا كان من المحتمل أن يكون هذا حقيقيًا أم لا".

ذهبوا معًا إلى المكان، وقال ابن آوى، "أيها الثعبان استلق ودعنا نغطيك".

فعل الثعبان ما طُلب منه، وغطاه الرجل بالصخرة، ورغم أنه حاول بكل قوته أن ينهض فإنه فشل فى ذلك. عندئذ أراد الرجل أن يحرر الثعبان من جديد، لكن ابن آوى منعه، قائلاً، "لا ترفع الصخرة، لقد أراد أن يعضك، لذلك دعه ينهض ويرفعها بنفسه".

عندئذ ابتعدا وتركا الثعبان فى المكان، كما كان من قبل بالضبط.

– أمالوو Amalouw أو أماكوسا Amakosa

(٣٨)

عاملنى بحرص..

بحرص

يحكى أنه فى سالف العصر والأوان، كان هناك رجل، وكان لهذا الرجل زوجة، وهما معًا كان لديهما خمسة أطفال، كلهم أولاد. كانت حديقة الرجل واسعة، ولكن عندما تتم زراعتها، يأكل طائر، البذور باستمرار. جهز الصبى الأكبر فخًا للطائر، لكن مر وقت طويل ولم يستطع صيده.

ثم فى يوم ما، عندما ذهب الصبى لفحص الفخ، وجد الطائر فيه. وبحرص، أخرج الصبى الطائر من الفخ فتكلم الطائر حينئذ، مغنيًا:

عاملنى بحرص، بحرص!

فى العام القادم

سوف تذكر الطائر،

طفل الدغل!

أخذ الصبى الطائر إلى البيت. لم يرغب فى قتله لأنه كان بالغ الرقة، لذلك احتفظ به بدلاً من ذلك.

وحدث بعد وقت قصير، أن طاردت أمه وأبوه الطائر، لأنه أكل من ثريدهما، لكن عندما همَّ الصبى بقتل الطائر، غنى من جديد:

اقتلنى بحرص، بحرص!

فى العام القادم

سوف تذكر الطائر،

طفل الدغل!

قتل الصبى الطائر، وبينما كان يتم طهى لحمه، غنى مرة أخرى:

اطهنى بحرص، بحرص!

فى العام القادم

سوف تذكر الطائر،

طفل الدغل!

عندما أصبح اللحم جاهزًا، تم تقسيمه حتى يمكنهم جميعًا أكلـه مـع الثريد، ثم غنى مرة أخرى:

التهمنى بحرص، بحرص!

فى العام القادم

سوف تذكر الطائر،
طفل الدغل!

رفض أحد الأطفال الأصغر أن يأكل اللحم المتكلم، لكن كـل أخوتـه وأباه وأمه أكلوا. وبعد أن انتهوا من الأكل، بدأت بطونهم تنتفخ. انفجر الأب وزوجته وأطفالهما، ثم ماتوا. وعندما انتفخوا، تجمع اللحم الذى أكله كل منهم مع بعضه البعض، ثم من جديد عاد الطائر تمامًا، كما كان من قبل، ثم طار منطلقًا فى الدغل.

– كاجارى Kaguru

(٣٩)

النمر يزدرى السلحفاة

ذات مرة دعا النمر كل الحيوانات فى مدينته _ باستثناء ذكر السلحفاة البرية ليعملوا لديه فى مزرعته. لم يكن ذكر السلحفاة قد أُهين فقط، ولكنه أيضًا أُحرج عندما تم تجاهله، وقرر أن يتفقد الأمر. اكتشف أن النمر لم يدعه، لأنه يظن أنه أضعف من أن يعمل فى المزرعة. تأثر السلحفاة بشدة من هذا الاستخفاف وقرر الانتقام من النمر. فى صباح اليوم التالي، اجتمعت كل الحيوانات فى مزرعة النمر، وشرعت فى العمل. عندما اقترب الظهر، أرسل النمر ابنه الأكبر إلى البيت لتنبيه زوجاته بأن يحضرن الطعام ونبيذ النخيل لكل حيوان.

فى غضون ذلك، استأجر السلحفاة الأرنب، الذى أتى من مدينة مجاورة، ليحفر نفقًا إلى مكان بجانب مزرعة النمر. وعندما تم حفر النفق، أخذ السلحفاة قيثارته وسار تحت الأرض من خلال الفجوة وبدأ يعزف.

أيتها الحيوانات الحمقاء التى تعمل لدى النمر،

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri

حيوانات حمقاء تعمل لدى النمر،

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri

تخلوا عن معازقكم، أيتها الوحوش الحمقاء،

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri

تخلوا عن سكاكينكم، أيتها الوحوش الحمقاء،

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri

لأنكم ستحطمون ظهوركم فى مزرعة شخص آخر،

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri

لأنكم ستموتون من العمل لشخص آخر،

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri

وفروا قوتكم لمزرعتكم الخاصة،

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri

أيتها الحيوانات المسكينة، الوحوش الحمقاء

كيرى بامبا كيرى Kiri bamba kiri.

غنى السلحفاة قصيدة إيقاعية جميلة، مختلفة عن كل ما سمعته الحيوانات من قبل.

وأثناء عودته إلى البيت، سمع ابن النمر الموسيقى، وتوقف، ونظر حوله، باحثًا عن المغنى والعازف. ورغم أنه لم يعثر على أى أحد، كان مفتونًا بالصوت حتى إنه نسى تمامًا المأمورية التى كان مكلفًا بها، وبدلاً من ذلك بدأ يرقص.

وفى غضون ذلك، كان النمر ينتظر قلقًا، وصول زوجاته أو ابنه من البيت، لأن كل العمال كانوا جوعى ويريدون أن يأكلوا. وعندما لم يأت أحد، أصبح النمر بالغ القلق حتى إنه ذهب بنفسه لمعرفة سبب عدم إحضار الطعام والنبيذ إلى المزرعة.

فى ذلك الوقت كانت زوجاته قد وصلن أيضًا إلى المكان، حيث الغناء والرقص كانا على أشدهما. وضعن الطعام والنبيذ اللذين كن يحملنهما على الأرض، وبدأن، هن أيضًا، فى الرقص. رآهن النمر من مسافة بعيدة. ثارت ثائرته وقطع عصى طويلة من شجرة، لكى يضربهن بها. ومع ذلك، عندما اقترب، جذبت الموسيقى سمعه، أيضًا، وبدأ يؤرجح رأسه مع إيقاعها. وعندما وصل إلى هناك، ومن دون حتى معرفة ما يحدث، أسقط العصي، وبدأ هو نفسه يرقص.

وفى ذلك الوقت كان العمال قد استنزفوا تمامًا. توقفوا عن عملهم وكان ينتظرون الطعام والشراب بضجر. وعندما لم يصل أى أحد حملوا معازقهم ومناجلهم الكبيرة وانطلقوا عائدين إلى مساكنهم. ودمدموا وتذمروا وهم يغادرون المكان: "يبدو أن النمر لا يدرك أن الحصان يمكنه أن يجرى فقط بما لديه فى بطنه".

فى طريقهم إلى البيت، وصلوا إلى الراقصين، وكما لو أن غضبهم قد زال فجأة، هم أيضًا، بدأوا يرقصون باستمتاع. وبعد أن تحقق من أن الجماعة قد اجتمعت بالكامل، وضع السلحفاة المزيد من النكهة فى موسيقاه وأضاف كل أنواع التجميلات المبهرجة. وأصبحت كلمات الأغنية أكثر تميزًا، وبينما كان كل عامل يرقص، جعل يلوم نفسه، أنه ذهب ليعمل من

أجل النمر. واصل السلحفاة عزف موسيقاه حتى أصبح المبتهجون مــرهقين من الرقص.

عندئذ توقفت الموسيقى بشكل مفاجئ، وطلع السلحفاة من حفرته. وقال للنمر، "حيث إنك لم تدعني للعمل لديك، دعوت نفسي. إذا لم تكن لدى القوة الكافية للعمل بمعزقتي، فإن لدى القدرة الكافية لإلهاء العمال بقيثارتي. أتمنى أنك من الآن فصاعدًا لن تنسى الحاجة إلى كل زملائك الحيوانات".

وللآخرين، قال السلحفاة، "وداعًا، يا عماله، وداعًا، أيهــا الراقــصون معي".

– إجبو Igbo

(٤٠)

طبيعة الوحش

ذات مرة كان هناك فلاح يعمل فى أرضه، عندما جابهه ثعبان، وقال إن الكثير من البشر كانوا يطاردونه.

"يجب أن تخبئنى"، قالها الثعبان.

"أين يمكننى أن أخبئك؟" سألها الفلاح.

"أنقذ حياتى فحسب"، قال الثعبان، "هذا هو كل ما أطلبه".

لم يستطع الفلاح التفكير فى أى مكان ليخفى فيه الثعبان، ومن ثم انحنى بقامته، مطاطئًا الرأس، وسمح للثعبان أن يزحف إلى بطنه. وعندما جاء المطاردون، قالوا، "هاى أنت، أين الثعبان الذى كنا نطارده _ لقد جاء إلى مكانك هنا".

"لم أره" قال الفلاح.

بعد أن رحل الرجال، قال الفلاح للثعبان، "الطريق آمن _ يمكنك الخروج الآن".

"ليس من المرجح أن أفعل ذلك، قال الثعبان، "لقد وجدت سكنًا لنفسي".

أصبحت بطن الفلاح الآن منتفخة إلى حد أنك قد تظن أنه امرأة حامل فى طفل. كان على وشك الانطلاق إلى البيت، عندما رأى طائر البلشون. أومأ إليه وأخبره هامسًا بما حدث.

"هيا قرفص هناك"، قال طائر البلشون، "وعندما تفعل ذلك، لا تنهض، استمر فى بذل مجهود قوى حتى آتي".

فعل الفلاح ما طلبه منه، وبعد قليل من الوقت، أخرج الثعبان رأسه وبدأ يلتقط الذباب. وبينما كان يفعل ذلك، اندفع البلشون كالسهم إلى الأمام وأمسك برأسه فى منقاره. وعندئذ سحب بقية الثعبان بالتدريج خارج بطن الفلاح، وقتله.

نهض الفلاح وقال للبلشون، "لقد خلصتنى من الثعبان، لكننى أريد الآن أن أشرب جرعة ضد السموم فقد يكون ترك بعضًا من سمه خلفه". "عليك أن تنطلق للعثور على ستة طيور برية بيضاء"، قال البلشون، "وقم بطهيها وتناولها كطعام _ هذا هو العلاج". " هذا ما فكرت فيه" قال الفلاح، "أنت طائر برى أبيض، لذلك ستكون مناسبًا كبداية".

ومع قوله هذا، أمسك بالبلشون، وحزمه، وحمله فى طريقه إلى البيت. وهناك، علقه فى كوخه وأخبر زوجته بما حدث. "أنا مندهشة منك"، قالت الزوجة. "قدم لك الطائر إحسانًا، خلصك من الشرير الذى كان فى بطنك، وبالفعل أنقذ حياتك، ومع ذلك تمسك به وتتحدث عن ذبحه". وبهذه الطريقة أطلقت سراح البلشون وطار مبتعدًا. لكنه وهو يبتعد فقأ إحدى عينيها.

هذا هو الأمر كله. عندما ترى الماء يتدفق صاعدًا التل، فإن ذلك يعنى أن شخصنا ما يرد إحسانًا.

– هوسا Hausa

(٤١)

الأختان المتمردتان

منذ زمن بعيد جدا، كان الناس فى إحدى القرى يعيشون فى رعب من المتوحشين فى البر والبحر، لأن هؤلاء المتوحشين، يتعدون عليهم أحيانًا ويخطفون الكثير من أطفالهم.

كانت أوميلاما وأوميلاكبافام، الأختان، طفلتين صغيرتين جدًا خلال زمن الخوف الكبير هذا. وكان والداهما، مثل كل الآخرين فى القرية، قلقين على أمن طفلتيهما. وأينما سافروا فى رحلة، كانا يتركان للطفلتين الكثير من الطعام، ويطلبان منهما البقاء داخل البيت.

فى يوم ما، كان على الوالدين أن يذهبا إلى سوق بعيدة. وقبل أن ينطلقا فى رحلتهما، نبها الأختين لأن تكونا بالغتى الحرص. قالا، "يا طفلتين، بينما نكون بعيدين، لا تدعا دخان نار الطهى يخرج إلى الهواء. وعندما تطحنان الحبوب لعمل وجبة، لا تدقا وعاء الطحن بشدة بالهاون. وأهم شيء يا فتاتين، لا تصحبا الأطفال الآخرين للعب فى الأرض البراح".

لكن أوميلاما وأوميلاكبافام كانتا مستهترتين، ولم تنتبها إلى تحذيرات الوالدين. وبمجرد أن أصبحتا بمفردهما، بدأتا تفعلان بالضبط الأشياء التى حذرتهما منها التعليمات. أشعلتا نارًا ضخمة وتركتا الكثير من الدخان يتسلل إلى الفضاء. ودقتا بشدة على الهاون وهما تطحنان الحبوب. والأسوأ من

ذلك، بمجرد سماعهما صياح وضحك الأطفال الآخرين فى الحقل، خرجتا بسرعة وانضمتا إليهم.

ولم تلعبا وقتًا طويلاً عندما - تمامًا كما كان يخشى الكبار - غزى متوحشو البحر والبر الحقل. جرى الأطفال لإنقاذ حياتهم، كل منهم فى اتجاه مختلف. أمسك متوحشو البحر بأوميلاما، بينما أمسك متوحشو البر بأختها الصغرى. ومن ثم تم الفصل بينهما واستعبادهما.

تم بيع أوميلاما لاحقًا إلى شاب أحبها إلى درجة أنه تزوجها. ولم يكن لأوميلاكبافام الحظ نفسه. تم بيعها لشرير بعد الآخر، واستخدموها فى كل الأعمال الغريبة.

وبعد سنوات من أسرهما، بعد أن أصبحت الفتاتان امرأتين، وضعت أوميلاما طفلاً ذكرًا. وذهب زوجها إلى السوق واشترى خادمة لها - وقضى حسن الحظ - أن تكون أوميلاكبافام. ولم تتعرف أى من الأختين على الأخرى.

عاملت أوميلاما أوميلاكبافام بقسوة شديدة. فقبل أن تذهب أوميلاما إلى السوق، تحدد قائمة طويلة من الأعمال التى يجب على أختها استكمالها عندما تكون هى فى الخارج. ونبهتها أيضًا إلى أن تحافظ على راحة الوليد حتى لا يبكي. لكن إذا وضعت أوميلاكبافام المولود على الحصيرة حتى تستطيع أداء أعمالها، فقد يبكى بمرارة، وأوميلاما الغاضبة، قد تضربها عند عودتها. وإذا من الناحية الأخرى، حملت الوليد وتجولت به فقد لا يبكي، وقد تضربها أوميلاما لأنها لم تنته من مهامها. وحتى تكون الأمور أسوأ، يبدو أن الوليد

يبكى غالبًا أيًا كان ما تفعله، والجيران دائمًا يخبرون أوميلاما بمـــا يحـــدث. كانت أوميلاكبافام فى مأزق حقيقي.

وفى يوم ما، بينما كانت أوميلاكبافام تحاول القيام بعملها، بكى الطفل بصوت مرتفع جدًا جدًا. وضعته فى حضنها وغنت له. حينئذ تمامًا عبـــرت إحدى الجارات، وسألتها عن سبب عدم أدائها لعملها. وثبت، ثم فـــى يـــأس، عادت فجلست والوليد فى حضنها، وغنت له أغنية هدهدة.

أيها الطفل، توقف، توقف، توقف عن البكاء،

زيميليليزى Zemililize

توقف عن البكاء، يا طفل أوميلاكبافام،

زيميليليزى Zemililize

نبهتنا أمنا ألا نجعل الدخان يتسرب،

زيميليليزى Zemililize

لكننا جعلنا الدخان يتسرب،

زيميليليزى Zemililize

نبهنا والدنا ألا ندق بشدة فى الهاون،

زيميليليزى Zemililize

لكننا دققنا بشدة فى الهاون،

زيميليليزى Zemililize

استمرت أغنية الهدهدة تحكى حتى بقية قصة هذا اليوم المصيرى عندما انفصلت أوميلاكبافام عن أختها.

سمعت امرأة عجوز فى التجمع السكانى المجاور أوميلاكبافام وهى تغنى هذه الحكاية الحزينة. ولأنها كانت قد سمعت ذات مرة القصة نفسها من أوميلاما خطر ببالها أن الخادمة لا بد أن تكون أخت أوميلاما المفقودة. خرجت العجوز للبحث عن أوميلاما قبل أن تعود إلى البيت وتضرب أختها من جديد، وأخبرتها بقصة أغنية الهدهدة. فى اليوم التالي، بعد التهديدات والتعليمات المعتادة، تظاهرت أومولاما بأنها ذاهبة إلى السوق، لكنها فى واقع الأمر اختبأت خلف البيت.

عندما بدأ الوليد يبكى، ولم يكن يبدو أنه سيتوقف عن البكاء. غنت أوميلاكبافام أغنية الهدهدة، مروضة نفسها على تلقى أى معاملة سيئة قد تتلقاها لأنها لم تعمل. وفجأة، اندفعت أوميلاما، وهى تبكى بمرارة، من مكان اختبائها واحتضنتها بانفعال شديد. بعد أن أجفلت وخافت، حاولت أوميلاكبافام أن توضح سبب عدم قيامها بعملها، لكن اختها قاطعتها قائلة، " أوميلاكبافا/ ، أنا أختك أوميلاما". ارتمت كل منهما بين ذراعى الأخرى تبكيان، بينما استمرت أوميلاما دون توقف فى الاعتذار عن وحشيتها السابقة.

ومنذ هذا اليوم، عاشتا كلاهما فى سعادة كأختين حبيبتين. وعزمت أوميلاما على ألا تسيء أبدًا معاملة خادمة مرة أخرى.

– إجبو Igbo

(٤٢)

رجل ثرى ورجل فقير

حدث ذات مرة، منذ زمان بعيد جدًا جدًا، أن كان هناك فى إحدى قرى أكامبا رجلان يعيشان كجارين. كان أحدهما ثريًا، والآخر فقيرًا، لكنهما كانا صديقين. كان الرجل الفقير يعمل لدى الرجل الثري، يساعده. عندئذ حلت مجاعة على البلد. وعندما أصبحت المعاناة شديدة، نسى الرجل الثرى الرجل الفقير، والرجل الفقير، الذى تعود أن يأكل فى بيت صديقه كان عليه الآن أن يستجديه. وفى النهاية، طرده الرجل الثرى شر طردة، لأن الرجل الثرى لا يمكنه أن يظل صديقًا للرجل الفقير زمنًا طويلاً، وشعر بأنه حتى الفضلات التى يعطيها الآن لجاره الفقير، كانت دون شك ذات قيمة كبيرة جدًا.

ذات يوم، كان هذا الرجل الفقير يستجدى هنا وهناك فى القرية أى شيء يأكله. وأعطاه رجل أشفق عليه ذرة صفراء، عاد بها إلى البيت من أجل زوجته، وطهتها. لكن لم يكن لديهما لحم لعمل حساء به، ولا ملح لتتبيله. لذلك قال الرجل، "سوف أذهب لأرى ما إذا كان الصديق الثرى لديه حساء طيِّب هذه الليلة". ذهب ليجد أن وجبة الطعام التى يتم طهيها هناك تُصدر رائحة طيبة محببة. فعاد إلى بيته، وأحضر الذرة المطهية، وعاد بها إلى بيت الرجل الثري، حيث جلس بجانب الحائط وأكلها، وهو يستنشق

الرائحة الآتية من وجبة الرجل الثري. وبعد أن انتهى من طعامه، عاد إلى بيته.

في يوم آخر، رأى الرجل الفقير الرجل الثرى ونهض إليه وقال، "جئت منذ عدة أيام، بينما كنت تأكل طعامك، وجلست بجانب الحائط، وأكلت طعامى مع الرائحة الشهية الآتية من طعامك".

غضب الرجل الثري، وقال، "إذن هذا سبب أن طعامى كان بلا مذاق فى ذلك اليوم! كنت أنت الذى أكل الطعم الطيب من طعامي، عليك إذن أن تدفع ثمن ذلك. سوف أصطحبك إلى القاضى لرفع قضية ضدك". وفعل ذلك، وحُكم على الرجل الفقير بأن يدفع ثمن ذلك، معزاة يعطيها للرجل الثرى لأنه أكل الرائحة الطيبة التى كانت فى طعامه. لكن الرجل الفقير لم تكن لديه حتى معزاة واحدة، ولم يتمالك نفسه، وانفجر باكيًا وهو عائد إلى بيته.

وفى طريقه إلى البيت، التقى رجلاً حكيمًا وخطيبًا، وأخبره بما حدث. أعطاه الرجل الحكيم معزاة، وطلب منه أن يحتفظ بالمعزاة حتى يعود. عندئذ، كان القاضى قد حدد يومًا معينًا يدفع فيه الرجل الفقير الغرامة للرجل الثري، وفى ذلك اليوم، جاء الكثير من الناس ليشاهدوا توقيع الجزاء. وجاء الرجل الحكيم أيضًا، وعندما رأى الناس يتكلمون، سأل، "لماذا تصنعون كل هذه الضجة هنا؟". قال القاضي، "من المفترض أن يعطى هذا الرجل الفقير معزاة للرجل الغني، تعويضًا عن الرائحة التى استنشقها من طعام الرجل الثري". طرح الرجل الحكيم سؤاله من جديد، وتلقى الإجابة نفسها. وعندها قال الرجل الحكيم، "هل تسمح لى بأن أقضى بحكم آخر فى هذه القضية". قال

الناس، "نعم، إذا كنت قاضيًا صالحًا!". استمر بعد ذلك فى الكـــلام، وقـــال، "الرجل الذى يسرق، عليه أن يعيد فقط مقدار ما أخذ، لا أكثر ولا أقل".

عندما سأله الناس كيف يمكنه أن يدفع تعويضًا عمًا شـــمه فقـــط مـــن الطعام الطيب، أجاب الرجل الحكيم، "سوف أريكم!". ثم استدار إلى الرجـــل الثري، وقال له، "أيها الرجل الثري، سوف أضرب هذه المعـــزاة، وعنـــدما تثغو، أريد منك أن تأخذ صوت ثغائها! لا تلمس معزاة هذا الرجل الفقيـــر، حيث إنه لم يلمس طعامك". ثم قال مرة أخرى للناس، "انتبهوا الآن، وأنا أدفع التعويض للرجل الثري". ثم ضرب المعزاة، وثغت، وقال للرجل الثري، "خذ هذا الصوت كتعويض لرائحة طعامك الطيب".

– أكامبا Akamba

(٤٣)

من يجد شيئًا يأخذه

كانت هناك ذات مرة مجاعة شديدة، وكان ذكر السلحفاة البرية، مثل كل كائن آخر، مشغولاً بالبحث عن طعام لأطفاله. وأحضر الكثير من الذرة الصفراء وجعل منها حمولة كبيرة. وفى طريقه إلى البيت وصل إلى شجرة ساقطة ممتدة عبر الطريق، ولم يستطع تخطيها. صعد وهبط حول جذع الشجرة، وفى النهاية انزلقت حمولته وسقطت على الجانب الآخر. وفى هذا الوقت تمامًا تصادف مرور ذكر سحلية آكلة لحم، وعندما رأى الحمولة صاح - "حسنًا انظروا ماذا وجدت". والسلحفاة (وكان قد شق طريقه فى هذا الوقت حول الشجرة) قال له، "هذه لى - إنها انزلقت فقط من فوق رأسى وسقطت فى هذا الجانب". أجاب ذكر السحلية، "لا علم لى بما تقول، كل ما أعرفه أننى التقطتها. من يجد شيئًا يأخذه، والخاسرون يبكون". قال السلحفاة، "دعنا نذهب إلى الراشدين وعليهم أن يحكموا بما علينا فعله".

عندما وصلا إلى الراشدين، شرح السلحفاة ما حدث: "عدت من جمع الطعام وكانت هناك شجرة ساقطة تغلق الطريق. وانزلقت حمولتى من الطعام وسقطت على الجانب الآخر من الشجرة. عندئذ رآها السحلية

واستولى عليها". قال الراشدون للسلحفاة، "أنت تعرف أن من يجدون مثل هذه الأشياء مسموح لهم بالاحتفاظ بها. هذا هو قانوننا". عندها شق السلحفاة طريقه مبتعدًا، وأخذ السحلية ما "وجده" وحمله إلى أطفاله.

والآن، حدث ذات يوم أن ذهب السلحفاة ورفاقه للصيد، وأشعلوا نارًا ليجذبوا الفريسة إلى فخهم. وفى العشب الذى أشعلوا فيه النار، كان ذكر السحلية نائمًا. استيقظ وجرى هنا وهناك، ووجد حفرة صغيرة اختبأ فيها، لكن ذيله برز منها. والسلحفاة، عندما رأى ذيل السحلية ظاهرًا، مد يده وأمسك به، قائلاً، "من يجد شيئًا يأخذه، والخاسرون يبكون".

قال السحلية، "لقد أمسكت بذيلي، أيها الصديق، دعنى فى حالي". قال السلحفاة، "لم ألمس ذيلك، لقد وجدت شيئًا سوف أسميه سيفًا جميلاً". توسل إليه السحلية، "أيها الصديق هذا ذيلي، لا يمكنك أن تستولى عليه كأنه غنيمة". قال له السلحفاة، "دعنا نذهب إلى الراشدين". عندما وصلا إليهم، قال السحلية، "كنت أهرب من النار ودخلت حفرة صغيرة، لكن ذيلى كان فى الخارج، ثم أتى هذا الكائن وقال، (إنه سيف)، وأنا قلت، (هذا ذيلي)، لكنه لم يصغ إليَّ". قال السلحفاة، "أنت اليوم مندهش. ومنذ وقت قريب أخذت ما جمعته من الطعام، ولم تول هذا الأمر أدنى تفكير". قال الراشدون، "تذكر ما فعلته فى صديقك منذ وقت قريب". قال السحلية، "لقد كان الطعام هو الذى أخذته فقط فى ذلك اليوم. انتظر هنا يا صديقي، وسوف آتى بما أخذت". قال السلحفاة، "اليوم غير أى يوم آخر". قال الراشدون للسحلية، "إعط لرفيقك

السيف". قال السحلية، "لكنه ليس سيفاً، إنه ذيلي". قالوا، "إعطه إيـــاه"، وتـــم قطع الذيل. قال السلحفاة، "اقطعه من أعلى، فقد أحتاج إلى مقـــبض جيـــد". وهكذا تم قطع ذيل السحلية، وإعطاؤه للسلحفاة، وفى طريقه إلى البيت، رمى به بعيدًا، قائلاً، "أردت فقط أن أتساوى معه". وتلوى الـــسحلية ومـــات. إذا ارتكب شخص إساءة ضد شخص آخر، عليه أن يتذكر أنها قد تُرد إليه فـــى يوم آخر.

– بوندى Bondei

(٤٤)

المرأة الفهد

كان هناك رجل وامرأة قاما برحلة صعبة فى الدغل. وكان لدى المرأة طفل صغير مثبت بشريط فوق ظهرها، وهى تسير عبر درب يصعب المرور فيه مغطى بالنباتات المتسلقة والشجيرات. ولم يكن من بينهما ما يمكنهما أكله، ومع استمرارهما فى الرحلة أصبحا جائعين جدًا.

فجأة، بعد خروجهما من الغابة المليئة بالأشجار الكثيفة إلى أرض منبسطة مغطاة بالعشب، عثرا على قطيع من أبقار الدغل ترعى فى هدوء.

قال الرجل للمرأة، "لديك القدرة على تحويل نفسك إلى أى شيء ترغبين فيه، غيرى نفسك الآن إلى أنثى فهد وأمسكى بإحدى أبقار الدغل، حتى يكون لدى شيء آكله ولا أهلك". نظرت المرأة إلى الرجل بطريقة ذات مغزى، وقالت، "هل تعنى بالفعل ما تطلبه، أو أنك تمزح؟". "أعنى ما قلت"، قالها الرجل، لأنه كان يعانى من جوع شديد.

فكت المرأة الطفل من فوق ظهرها، ووضعته على الأرض. بدأ الشعر ينمو على رقبتها وعلى جسمها. أسقطت مئزرها، واعترى وجهها تغيرات. تحولت يداها وقدماها إلى مخالب. وفى لحظات قليلة، كانت أنثى فهد شرسة تقف أمام الرجل، تحدق فيه بعينين ناريتين. خاف الرجل المسكين وأوشك على الموت، وتسلق شجرة لحماية نفسه. وعندما أوشك على الاقتراب من القمة، رأى الطفل الصغير المسكين على وشك أن يصبح بين فكى أنثى

الفهد، لكنه كان بالغ الخوف، حتى إنه لم يستطع دفع نفسه إلى الهبوط لإنقاذه.

عندما رأت أنثى الفهد أنها جعلت الرجل مطيعًا بالفعل وخائفًا، ومملوءًا بالرعب، انطلقت إلى القطيع المحتشد لتفعل من أجله ما طلب منها أن تفعله. أمسكت ببقرة صغيرة ضخمة، وسحبتها عائدة بها إلى أسفل الشجرة عند الجذع. والرجل، الذى كان لا يزال بعيدًا على القمة بقدر ما استطاع أن يصل، صاح، وتوسل إلى أنثى الفهد بطريقة مثيرة للشفقة أن تحول نفسها وتعود امرأة من جديد.

ببطء، انحسر الشعر، واختفت المخالب، حتى وقفت المرأة، فى النهاية، أمام الرجل مرة أخرى. لكنه كان لايزال خائفًا، لدرجة أنه لم يستطع أن يهبط إلا عندما رآها ترتدى ملابسها وتربط طفلها على ظهرها. عندئذ قالت له، "لا تسأل امرأة أبدًا أن تقوم بعمل الرجل مرة أخرى".

يجب على النساء أن يقمن برعاية المزارع، ويجعلن عجينة الخبز تنتفخ، ويصطدن الأسماك...إلخ، لكن الصيد وإحضار اللحوم للعائلة من عمل الرجال.

– ليبيريا Liberia

المؤلف فى سطور

روجر د. أبراهامز

روجر د. أبراهامز بروفيسور الفلكلور والحياة الشعبية فـــى جامعـــة بنسلفانيا فى فلاديلفيا.

- كان رئيسًا سابقًا لجمعية الفلكلور الأمريكية.

- من بين أكثر كتبه حداثة "الحكايات الشعبية الإفريقيـــة الأمريكيـــة African – American Folktales"، و"عن إفريقيا After Africa" (مع جون سزويد John Szwed)، و"غناء السيد Singing the Master".

المترجم فى سطور

عزت عامر

- حاصل على بكالوريوس هندسة طيران جامعة القاهرة ١٩٦٩.
- مدير مكتب مجلة "العربي" الكويتية فى القاهرة.
- محرر علمى ومترجم عن الإنجليزية والفرنسية، ينشر فى العديد من المجلات والصحف العربية.
- عمل محررًا لصفحة العلم والتكنولوجيا فى صحيفة "العالم اليوم" المصرية، ومسئولاً عن صفحة يومية وصفحة طبية أسبوعية فى صحيفة "الاقتصادية" السعودية.
- طُبعت له فى المجلس الأعلى للثقافة فى مصر ترجمات عن الإنجليزية لكتب: "حكايات من السهول الإفريقية" لآن جاتي، و"بلايين وبلايين" لكارل ساجان"، و"يا له من سباق محموم" لفرانسيس كريك، الذى أُعيد نشره فى مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤، و"الانفجار العظيم" لجيمس ليدسي، و"سجون الضوء..الثقوب السوداء" لكيتى فرجاسون، و"غبار النجوم" لجون جريبين، و"الشفرة الوراثية وكتاب التحولات" لجونسون يان.
- شارك فى ترجمة ومراجعة مجلدى جامعة كل المعارف "الكون" و"الحياة" عن الفرنسية، طباعة ونشر المجلس الأعلى للثقافة فى مصر.

- له تحت الطبع: "قصص الحيوانات" لدينيس بيبيـر، متـرجم عـن الإنجليزية، و"ما بعد الواقع الافتراضي" لفيليب ريجو عن الفرنسية، و"أينشتاين ضد المصادفة" لفرانسوا دو كلوسيت عن الفرنسية.
- نُشرت له ستة كتيبات للأطفال تحت عنوان "العلم فى حياتنا" عـن طريق المركز القومى لثقافة الطفل فى مـصر، وينـشر قصـصًا مصورة ومواد علمية للأطفال فى مجلة "العربى الصغير" الكويتية، ومواد علمية فى مجلة "العربي" الكويتية وملحقها العلمي.
- نُشر له ديوانان "مدخل إلى الحدائق الطاغوريـة" و"قـوة الحقـائق البسيطة" ومجموعة قصصية "الجانب الآخر من النهر"، وتحت الطبع ديوان "روح الروح".

التصحيح اللغوى: **عزت سلامة**

الإشـــراف الفنى: **حسن كامل**